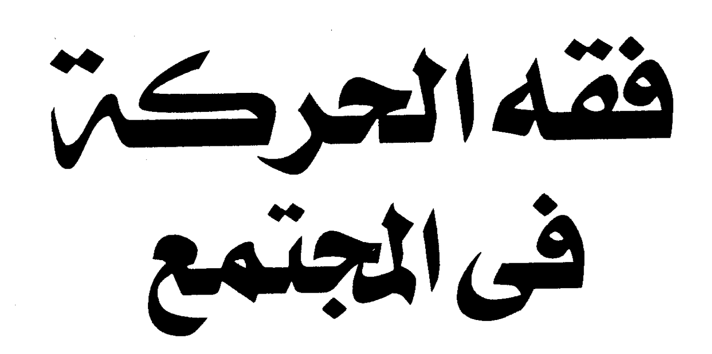
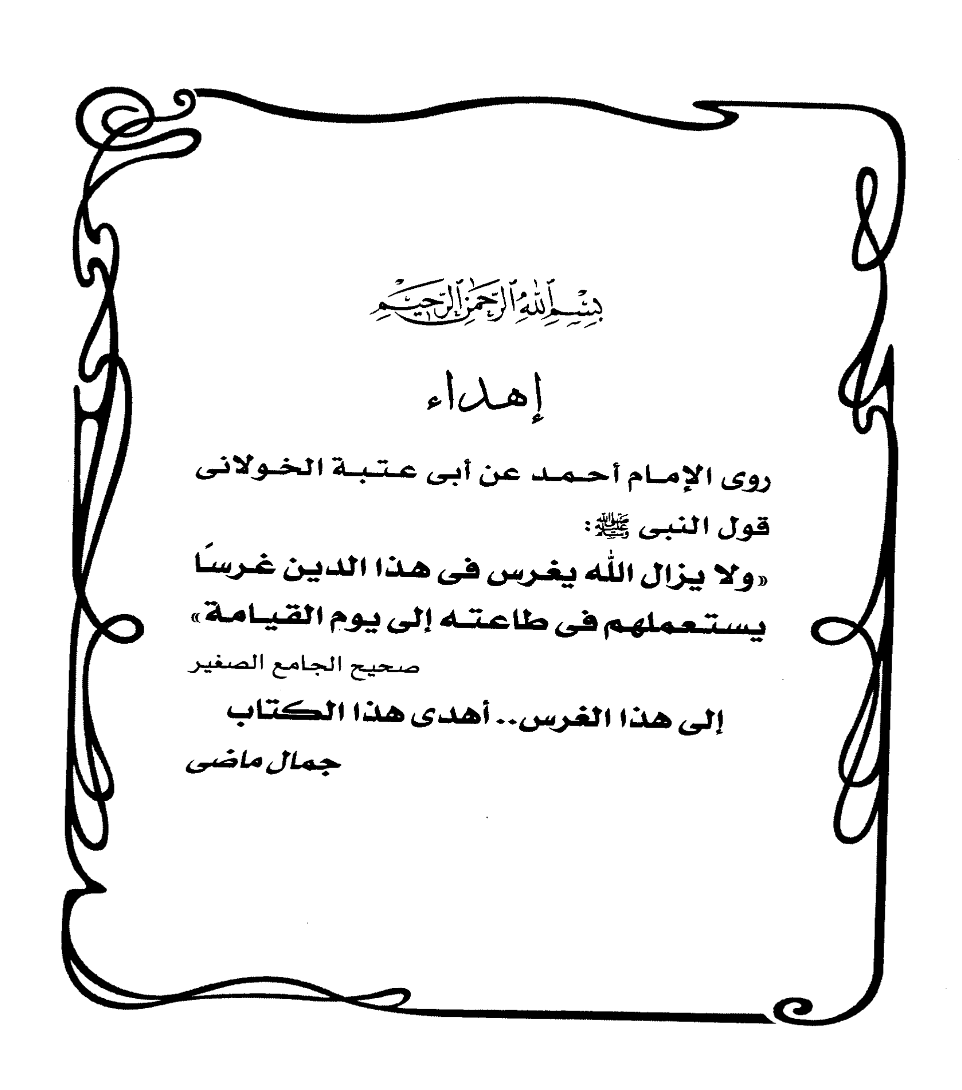


جمال ماضى

دار الدعوة
دار المدائن



بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

روى الإمام أحمد عن أبى عتبة الخولانى

قول النبى ﷺ:

«ولا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرسًا يستعملهم فى طاعته إلى يوم القيامة»

صحيح الجامع الصغير

إلى هذا الغرس.. أهدى هذا الكتاب

جمال ماضى

فقه الحركة
في المجتمع

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/١٧٥٤
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-5339-80-4

دار المدائن للنشر والتوزيع

العجمى: البيطاش - مدينة الأندلس والحجاز - عمارة ١٤

سموحة: ٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثانى

الإسكندرية - تليفاكس: ٤٢٤٠٢٠٣

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

هذا الكتاب

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على أكمل خلق الله رسول الله ﷺ

وبعد ،

حدثنى الكثير من الناس وطلب منى البعض فى الكتابة عن حركة الإنسان الصالح فى المجتمع وتفاعله مع الدوائر المحيطة به من أسرته وعائلته وأقاربه وزملاء عمله وقاطنى عمارته أو قريته من الجيران ، ومن يتعامل معهم فى مجتمعه يومياً حتى رفقاء السفر أو نزلاء المستشفى أو الفندق أو السجن أو المطعم وفى سائر مناحى حياته الخاصة والعامة .

ولما كنت قد انتهيت من كتابة كتاب « المشاعر المؤثرة » وهو يمثل الخيوط السحرية لهذه العلاقات السوية بين أفراد المجتمع، فكأنها كانت المدخل والمقدمة والتهيئة لهذا الكتاب، حيث لا يتفاعل إنسان مع المجتمع ولا يتحرك حركة صالحة إلا من حمل المشاعر ونفد بها إلى أغوار الناس فغاص فى أحلى محيط وأروع بحار ليقتنى الدر ويستخرج الياقوت ويحصل على الجوهرة الثمينة التى بها يحيى الحياة الطيبة وينعم بالأنس إيذاناً بالخلود فى الجنات وتلك عاجل بشرى المؤمن فى الدنيا .

فشرعت فى الكتابة متوكلاً على الله طالباً منه العون والسداد والفتح فالفضل والأمر منه وحده، خاصة بعدما رأيت الحاجة الماسة لمن يطرق الباب فلعل تتبعنى كتابات أكثر عمقاً وأروع أسلوباً وأغزر مادة، وقد أصبح الناس بين أمرين: إما مقبل يريد المعرفة لينفذ ويطبق ويمارس فيحظى بالخيرات ، وإما الموضوع ليس فى بؤرة أفكاره ، فهو يحسب أنه وحده لا شأن له بأحد فدرج على طبائع وأخلاق أصبح لها أسيراً وعن غيرها مقيداً، فالأول يتحرك بين الخطأ والصواب والثانى مشلول عن الحركة ، ولذلك فإننى أوجه هذا الكتاب للاثنين معاً ليسير المتحرك على بينة ويتحرك الثانى، وفى كلٍ خير وصلاح ثم إرشاد وإصلاح .

والله تعالى أسأل أن تتحول هذه الخواطر والكلمات إلى ممارسات وحركات فى المجتمع، لنرى مجتمع الأمن والسلام والأمان والاطمئنان، وهذا ما خلقنا الله من أجله« العبادة » ، وهى دعوة أيضاً غير مباشرة إلى كل ناقم على المجتمع متخاصم فأغلق الأبواب والنوافذ، قد توهم الفوز بهذا المسلك، وإنما النجاة

الحقيقية فى الآخرة تبدأ للإنسان من أبواب المجتمع، من بره لأسرته ولوالديه، وزوجته وأولاده وأقاربه وجيرانه وسائر مجتمعه.

فما خصائص الحركة فى المجتمع؟ وما صفات الإنسان الذى يتحرك فى المجتمع؟ وما الثمار التى يجنيها الإنسان والمجتمع معاً؟ ولماذا نتحرك وكيف نتحرك؟ وهل تختلف الدوائر فى المجتمع عن بعضها؟ وما الوسائل التى تنفذ بها إلى هذه الدوائر؟ وما المهارات الخاصة بالحركة فى المجتمع؟ كل هذه الأسئلة وأجوبتها هى محتوى هذا الكتاب الذى أسميته «فقه الحركة فى المجتمع» لكل أفراد المجتمع وليس المعنى به (ناس دون ناس) فالمجتمع الصالح ماهو إلا أفراد صالحون، وكلنا مطالب بهذا الفقه من أجل حياة رغدة طيبة سعيدة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

جمال ماضى

القاهرة ٣٠/٦/٢٠٠٣

***



لماذا فقه الحركة فى المجتمع؟

ما فائدة أن يكره الناس بعضهم بعضاً؟ وما فائدة التحاسد والتباغض والتقاطع والتعارك والتصارع؟ ما الفائدة التى تعود على الإنسان والمجتمع إذا انقطعت الأواصر - وتفككت الروابط فلا أسرة ولا قرابة ولا جيران ولا معارف؟! ما فائدة الأفهام العقيمة التى تكفر المجتمع والناس بل وتحاربهم وتسلبهم لأن الدين يأمرها بذلك والدين منهم براء؟!

إن حياة نقية طاهرة بارئة كلها أمان وسلام وطمأنينة ووئام هى التى جاء بها الإسلام ولنا أسوة فى أكمل البشر رسولنا الحبيب ﷺ وهو يضع لنا القواعد ويعلمنا كيفية الحياة السعيدة ويرشدنا إلى أحلى ممارسة فى الوجود وأجمل تطبيق فى الحياة، عجزت كل قوانين الأرض أن توجد قيد أنملة منها فى الواقع. ولذا كان للحركة فى المجتمع أهداف ترمى إليها وكلها صالحة للإنسان والمجتمع معاً نجملها فى التالى:

أولاً: التأثير فى كل أفراد المجتمع

لقيت أسحر الناس:

* فالمعنىُّ بحركتك الإنسان كل الإنسان، علاقاتك به ومعرفتك به، وإصلاحه، ونقل أفكارك إلى رأسه، وخبراتك إلى نفسه، لأن المسلم صاحب رسالة، لقد مر النبى ﷺ ومعه ركب من أصحابه وقد أصابهم عطش شديد، فبينما هم يسيرون وجدوا امرأة ذات أيتام ومعها قربتان ليس فيهما نقطة ماء، فهش لها النبى ﷺ واستقبلها ثم مسح فم القربتين، فشرب الأربعون رجلاً، حتى أتت أهلها فقالت: «لقيت أسحر الناس، أو هو نبى كما زعموا»

فأسلمت وأسلموا

فلماذا نبخل بالحركة فى المجتمع، وتقديم العون لمن نعرف أولا نعرف، إن كان الأمر فى معجزة نبوية فكان بإمكان النبى ﷺ أن يأتيه الله بالماء المنهمر تنشق به الأرض، ولكن اهتمام النبى بامرأة مجهولة ذات أيتام، فتح الخيرات لها ولقومها فأسلمت وأسلموا.

من أجل أم قيس

* وهذه أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه رسول الله ﷺ فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء

فنضحه ولم يغسله (البخارى) ، هل تعمدت أم قيس فعل ابنها ؟ لقد جاءت فرحة إلى النبى ﷺ بوليدها، فأراد النبى أن يمر الموقف دون إحراج لها ، فلم يغضب أو يكره ذلك أو أحدث ضجيجاً أو دعا بغسل الثوب أو تمتم بألفاظ التأفف، فوالله ما فعل شيئاً من ذلك وإنما دعا بماء فنضح الثوب بالماء فقط وانتهى الموقف، فكم تأثرت أم قيس وقد انهارت مشاعرها لفعل الابن والنبى ﷺ يمسح برقة ونعومة، حتى صار ذلك فقهاً فى الحركة وفقهاً فى نضح الثوب من بول الرضيع!!

* رِضِى مَخْرمة ؟:

وفى قصة مخرمة عجب فى هذا الأمر أراد النبى أن يؤثر فى نفس مخرمة بموقف لا ينساه، ربما لو فعلناه فى حياتنا كان التأثير الإيمانى فى حياة الكثير دون أن يكلفنا عناء أو عنتاً، روى البخارى أن المسور بن مَخْرمة رضى الله عنهما قال: قسم رسول الله ﷺ أقبية [نوع من الملابس] ولم يعط مخرمة منها شيئاً فقال مخرمة: يا بنى انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فانطلقت معه، فقال: ادخل فادعه لى، قال: فدعوته له... فخرج إليه وعليه قَباءٌ منها فقال ﷺ: « خبأت هذا لك، قال: فنظر إليه ، فقال ﷺ: رضى مَخْرمة؟ » .

أرأيت التأثير فى نفسى مخرمة وابنه المسور حتى وصلت إلينا القصة بعد هذه القرون وستظل الأجيال تتناقلها وتعى دروسها ربما علم النبى أن شخصية هذا الصحابى من حساسيتها تتأثر! وربما علم النبى أن فيه حساسية خاصة فلماذا لا يتعامل معه بطريقة متميزة عن غيره حتى تؤثر فى نفسه؟! وكم من أفراد فى المجتمع يحتاجون منا إلى معاملة خاصة أو إلى تميز عن غيرهم فلماذا نشح عليهم بمعاملة توافق ذلك؟!

كم كانت فرحة مخرمة حتى أنه أخذ ينظر إلى القباء والمداعبة الرقيقة من النبى ﷺ رضى مخرمة؟

ثانياً: تخفيف معاناة الناس

كم تعانى مجتمعات اليوم من مشكلات وصعاب وتبدأ حلولها من الإنسان، ولكن من يتحرك إلى الإنسان، ويشعر بمعاناته ويخفف عنه آلامه، ويدفعه إلى الاستمرار وينتشله من براثن اليأس والاكتئاب والمهاوى العميقة سواء كانت اقتصادية أو نفسية أو اجتماعية أو شخصية... الخ .





أين المحترق :

* روى البخارى فى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : أتى رجل النبى ﷺ فى المسجد فقال : احترقت، قال : مم ذاك قال : وقعت بامرأتى فى رمضان .

قال له : تصدق، قال : ما عندى شئ، فجلس، وأتى إنسان يسوق حماراً ومعه طعام إلى النبى ﷺ فقال : أين المحترق؟ .

فقال : ها أنا ذا! قال : خذ هذا فتصدق به .

قال : على أحوج منى؟ ما لأهلى طعام ، قال : فكلوه

المشكلة التى تحيط بالإنسان تملك عليه حياته ولابد أن نشعر بقيمتها ومقدارها من نفسه هو لامن نفسنا نحن، فقد تكون لدينا هينة ولكنها عند صاحبها كبيرة جداً، حتى بلغ قول الرجل : احترقت، والأمر لا يحتاج إلى صدقة ولكن الرجل ما عنده شئ، هل يصرفه النبى وينتهى الأمر؟ ما هكذا يكون التعامل مع الناس ! .

أول شئ سأله النبى عن مشكلته ثم وضع لها حلاً ولكنه مستحيل بالنسبة للرجل، فأخذ ثانياً : يحل له مشكلته حينما جلس، وأول طعام جاء للنبى ﷺ أعطاه إياه ليتصدق به، فكانت المشكلة الثالثة : ليس لديه طعام لأسرته فكان الحل الأخير من النبى ﷺ : فكلوه ، فليس الأمر فى أن تستمع فقط لمشاكل الناس ولكن فى أن تقدم لهم الحلول ، بل وتضحى بما تملك من أجل التخفيف عنهم، ولا ينقطع لك نفسا، فتتوقف عن المساعدة، بل تواصل مهما كانت التضحيات، فالرجل مجهول لا يعرفه أحد، وأتى النبى فى المسجد، ولم يذهب إلى بيته خاصة، وهذه دلالة أن تخفيف المعاناة غير مرتبطة بمعرفة سابقة أو قرابة أو مكانة، وإنما لكل الناس خاصة من قصدك بمشكلته وطلب المعاونة .

الدمعة الغالية :

وروى البخارى عن عائشة قالت : خرجنا لا نرى إلا الحج فلما كنا بسَرَف حِضّتُ فدخل علىّ رسول الله ﷺ : وأنا أبكى

قال : مالك؟ أنفِست؟ قلت : نعم، قال : إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم، فاقض ما يقضى الحاجَ غير أن لا تطوفى بالبيت، قالت : فكنت حتى نفرنا من مِنَى فدعا عبد الرحمن فقال : اخرج باختك الحرم فلتُهل بعمرة ثم افرُغا من طوافكما انتظركما ها هنا، فأتينا فى جوف الليل فقال : أفرغتما؟ قلت : نعم ،



فنادى بالرحيل فى أصحابه فارتحل الناس ومن طاف بالبيت قبل صلاة الفجر ثم خرج موجِّهاً إلى المدينة.

إن دمعة الزوجة أمام زوجها غالية جداً، والزوج الماهر يكتشف سر هذه الدمعة، كما اكتشفها النبى ﷺ، ثم التخفيف والتيسير، فهذا أمر طبيعى فى قوله: «إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم»، ثم يأخذ الزوج فى الحلول العملية، فليس الأمر مجالاً للكلام والتخفيف النظرى فحسب، فقد دعا النبى بعبد الرحمن شقيق عائشة رضى الله عنها فطاف معها وانتظرهما النبى ﷺ حتى ساعة متأخرة من الليل، ولما حضرا لم يبدى أى تأفف من الانتظار بل قال: أفرغتما.. ثم نادى بالرحيل.

وكم من أزواج ينهارون أمام أول المشكلات الزوجية أو الأسرية سواء كانت مع الزوجة أو الأولاد ولكن بهذه الخطوات النبوية الراقية، يستطيعون احتواء أعتى المشكلات، فمن فقه الحركة فى المجتمع أن يخفف الإنسان معاناة الناس وكذلك أسرته سواء بسواء!!

فتجاوز الله عنه:

* وهناك صور مختلفة لا تخفى عن فطنة من أراد أن يتحرك فى المجتمع، من هذه الصور ما قصه النبى ﷺ فيما رواه البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: كان تاجر يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لفتيانه:

«تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه»

فيا تجار المجتمع ويا رجال الأعمال ليس لكم عذر فى أن تقولوا ليس لدينا من الوقت ما نعيش به مع الناس، ونتعرف على مشاكلهم، ليس لكم عذر عند ربكم لعل الله أن يتجاوز عنكم، ولكم أسوة فى هذا التاجر الذى تجاوز فتجاوز الله عنه.

ثالثاً: إكتساب الخبرات بالناس

ولأن الإنسان مجموعة من الخبرات والمواهب وهى التى تميز البعض عن البعض، وصاحب الخير الذى يريده أن ينتشر فى المجتمع صلاحاً وإصلاحاً من أين يكتسب هذه الخبرات إن لم يتحرك فى المجتمع!! وإن لم يتفاعل مع أفراده؟!! فالخبرات تكتسب من الحركة، والمواهب تصقل بالتفاعل، والمعاناة والتأثر والتأثير، هذه الخبرات هى التى تفتح الأبواب للحياة الحلوة، فى الدنيا، التى تضمن لصاحبها الخلود فى النعيم والجنان.



مَنْ أكيس الناس ؟

حينما سئل (أبو حازم) : مَنْ أكيس الناس يا أبا حازم؟ قال : رجل ظفر بطاعة الله فعمل بها ثم دل الناس عليها .

فسأله الخليفة : فمن أحمق الناس؟

قال : رجل انساق مع هوى صاحبه وصاحبه ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

ثم سأله : وكيف نحظى بذلك؟

قال : عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر وإذا عزم العبد على ترك الآثام حظى بذلك .

*** أحب الناس إلى الناس :**

وهذا عروة بن الزبير كان يلخص خبرته فيقول : يا بنى إذا رأيتم من رجل فعلة خير رائعة فأمّلوا به خيراً ولو كان فى نظر الناس رجل سوء فإن لها عنده أخوات .

وإذا رأيتم من رجل فعلة شر فظيعة فاحذروه وإن كان فى نظر الناس رجل خير، فإن لها عنده أخوات أيضاً .

ولذلك كان يوجههم إلى وسائل حب الناس فيقول :

[يا بنى مكتوب فى الحكمة، لتكن كلمتك طيبة وليكن وجهك طلقاً، تكن أحب الناس إلى الناس ممن يبذل لهم العطاء] .

مواصلة بالناس رغم أنوفهم :

أما الامام أبو حنيفة فكان مغرماً بهذا الأمر وهو اكتساب الخبرات بالناس، وودهم، وكان حريصاً على استمرار واستدامة صداقتهم .

فقد عرف أنه ربما مر به الرجل من الناس فقعد فى مجلسه من غير قصد ولا مجالسة فإذا قام سأل عنه، فإن كان به فاقة وصله، وإن كان به مرض عاده، وإن كان له حاجة قضاها، حتى يجره إلى مواصلته جراً .

التواصل مع شرائح المجتمع :

وكان من اتساع معارف النبى ﷺ : أن يتعرف على الحرفيين، فليس الأمر مقصوراً على معارف مهنتك فحسب، أو دائرة ثقافتك بل الأمر يتعدى إن أردت اكتساب الخبرات أن تكون بالناس جميعاً : المثقف والعامل والفلاح والحرفى وكل أفراد المجتمع، فقد روى البخارى من حديث أنس بن مالك، قال : أن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه، قال أنس بن مالك : فذهبت مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام فقرب رسول الله ﷺ : خبزاً ومرقاً فيه دُبَّاءٌ

وقديد، فرأيت النبى ﷺ يتتبع الدُبَّاء من حوالى القصعة، قال: فلم أزل أحب الدباء من يومئذ »

فلم يكن الأمر فى اتساع معرفة النبى ﷺ بأصناف وشرائح المجتمع المختلفة فحسب، بل فى إقباله واكتشافه الأكلات الخاصة بهم واهتمامه بها، حتى ولو كانت جديدة عليه، بدليل أن أنساً أحبها من هذه الدعوة.

رابعاً: أن تحظى بالخلق الخدمى

المبادرة لخدمة الناس أن تعيش نافعاً لغيرك، كالشمعة التى تفنى لتنير للناس ظلامهم، وبأن تفرح كلما نزل خير بالناس، وبأن تكون أول من يبادر لدفع الأذى عنهم، وبأن يقول لسان حالك دائماً: الناس الناس وليس نفسى نفسى، وبأن تكون أنت المبادر فى مجتمعك فيتحقق فيك قوله ﷺ فيما رواه البخارى: [إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة] .. كل هذا هو ما نعنيه بالخلق الخدمى بأن تعيش للناس وفى الناس وللناس ومع الناس، فتكون من السابقين السباقين.

سبقك بها عكاشة:

فى الصحيح عن أبى هريرة قال: سمعت سول الله ﷺ يقول: « يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً تضئ وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » فقام عكاشة بن محصن الأسدى يرفع نمرة عليه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم قال: اللهم اجعله منهم، ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: سبقك بها عكاشة.

هذا جزاء المبادرة على الدوام أن تفوز بالسبق والخير كله، فالتلكؤ والتباطؤ والتقهقر والتفكر أمام الخيرات انتكاسة وانحدار وتأخر .

أمتى أمتى :

والنبى ﷺ من تمام اكتمال هذا الخلق فيه، فنى ﷺ فى نفع الناس لينقذهم جميعاً يوم القيامة، وتأمل معى ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لكل نبى دعوة يدعوها فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة » .

فلم يدعوها لنفسه بل شفاعة لأمته ﷺ يوم القيامة، ولأهل الحركة فى المجتمع أسوة فى اكتساب هذا الخلق حتى يصبح لديهم تحقيقاً دائماً ومستمراً، فيتخلون عن حظ أنفسهم من أجل الناس، أسوة بصاحب هذا الخلق القويم،

فما أخباه من نفيس لا يكن لنفسه بل للناس جميعاً . . . !!

ذهب المفطرون بالأجر :

بل جعل النبى ﷺ قيمة عليا لهذا الخلق، يتعدى صوم التنفل للصائمين، فأعلاه على الطاعات والنوافل، لما فيه من أجر عظيم روى البخارى عن أنس رضي الله عنه قال : كنا مع النبى ﷺ ، أكثرنا ظلاً الذى يستظل بكسائه (أى شدة فى الحر ولا يوجد ما يستظلون به من جدار أو حجر أو شجر أو غيره) ثم يكمل أنس : أما الذين صاموا فلم يعملوا شيئاً وأما الذين أفطروا فبعثوا الركاب وامتهنوا وعالجوا، فقال رسول الله ﷺ : « ذهب المفطرون بالأجر » فليست العبادة والنافلة مدعاة للكسل، إذا كانت الظروف صعبة، لأن العمل الخدمى مقدم حينئذ عليها .

*** أحسن الناس :**

ولن تنجح فى اكتساب هذا الخلق حتى يصير جزءاً منك، وسجية فيك، لا تنفك عنه أبداً، فالتعلق هو البداية والتخلق هو الواقع، والتحقق هو الحياة الحقيقية فى المجتمع، والحركة المنشودة، وهذا هو صاحب الخلق العظيم، أسوة لنا، فيما رواه البخارى من حديث أنس بن مالك : قال : كان النبى ﷺ أحسن الناس وأشجع الناس، وبعد فزع أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت، فاستقبلهم النبى ﷺ وقد استبرأ الخبر، وهو على فرس لأبى طلحة عُرى وفى عنقه السيف، وهو يقول : لم تراعوا لم تراعوا (أى لا تخافوا) .

ففى وقت الفزعات أنت الأسبق، بل فى الشدائد الشديدة، يستقبلك المسرعون والناجدون ، أخذت عدتك، وجهزت سيارتك أو مواصلتك، وهيأت نفسك للتضحية، لتكون من المبادرين لدفع الأذى عن الناس، وهذا هو الخلق الخدمى الحقيقى .

وجوه الخير كثيرة :

وأعمال الخدمات فى المجتمع، لا حدود لها، قد يظن البعض أنها محدودة فى نواحى بعينها، فلا يتعدوها، أو يحصوها بأفهام وأفكار فيصبحون أسرى لها، أو يقيدون أنفسهم بشرائح معينة ولا يقبلوا غيرها، إن الأمر يتعدى كل ذلك، بل إنه يفوق الإنسان إلى النبات والطير والحيوان، مصداقاً لما رواه البخارى عن حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

*** حتى تقول أنا :**

وهكذا كان الأصحاب الكرام الذين تحركت فيهم هذه الحقيقة، فلم يعرفوا مع المجتمع إلا المبادرة، فى حديث عائشة رضى الله عنها فيما رواه البخارى قالت : كان النبى ﷺ سهر فلما قدم المدينة قال : «ليت رجل من أصحابى يحرسنى الليلة» إذا سمعنا صوت سلاح فقال : من هذا؟ فقال : أنا سعد بن أبى وقاص جئت لأحرسك ونام النبى ﷺ .....

فمن كثرة اعتياد سعد على هذا الخلق كانت الحركة قبل الكلمة، وكان الفعل قبل القول، وهو الموطن الذى يحب الاسلام أن يقول فيه الرجل : أنا .

وهذا الزبير يوم سأل النبى ﷺ : من يأتينى بخبر القوم، وذلك يوم الأحزاب، فقال الزبير: أنا ، فقال النبى ﷺ : إن لكل نبى حوارىّ وحوارىّ الزبير ، ثم يكمل الزبير: فانطلقت فلما رجعت جمع لى رسول الله ﷺ أبويه فقال : (فداك أبى وأمى) وهكذا لم ينس النبى ﷺ تقديم الشكر لأهل المبادرة، وأصحاب المهام الصعبة .

المشاركة فى ليالى المرح :

وإن أقل خدمة تسديها للناس أن تشاركهم فرحهم، ولا تقطع عليهم لياليهم المرحة، خاصة فى المناسبات الطيبة كالأحفال والتهانى والعرس وغيرها، وبالخصوص مع النساء والصبيان، فقد يحلو للبعض أن يحرموا الناس من أفراحهم، خاصة الضعفاء منهم، متعللين بأسباب لا ترقى فى نظرى إلى الوهن نفسه، لأن النبى ﷺ شارك القادمين من (عرس) فرحتهم، بل روى البخارى هذا الحديث ليكون لنا سنداً قوياً وللأجيال من بعدنا، ففى حديث أنس قال : رأى النبى ﷺ النساء والصبيان مقبلين (من عرس)فقام النبى ﷺ ممثلاً فقال : « اللهم أنتم من أحبِّ الناس إلىّ » قالها ثلاث مرات .

الخدمة أولاً :

وسار التابعون على نهج هذا الخلق، حتى أصبح شرطاً عندهم من شروط الرفقة، هذا عامر التميمى كان إذا خرج لغزوة مع المجاهدين وقف يتوسم الناس ليختار رفقاءه، فإذا وقع على رفقة توافقه قال لهم : يا هؤلاء إنى أريد أن أصحبكم على أن تعطونى من أنفسكم ثلاث خلال، فيقولون : ما هن؟ فيقول : أولاهن أن أكون لكم خادماً فلا ينازعنى أحد منكم فى الخدمة أبداً، والثانية : أن أكون لكم مؤذناً فلا ينازعنى أحد منكم النداء للصلاة، والثالثة : أن أنفق عليكم بقدر طاقتى فإن قالوا : نعم انضم إليهم، وإذا نازعه أحد منهم

شيئاً من ذلك رحل عنهم إلى غيرهم.

وها هو عامر التميمى كما وضع العمل الخدمى شرطاً للرفقة يضع شرطاً يضمن له النجاح أن يكون لله وحده فى المجتمع، حينما جاء الناس بالغنائم فى معركة القادسية أتى عامر بكنز ثمين فقيل له: هل أخذت منه شيئاً؟ قال: لا، هداكم الله، والله إن هذا الحُقّ وجميع ما ملكته ملوك فارس لا يعدل عندى قلامة ظفر ولولا حق بيت مال المسلمين منه ما رفعته من أرضه ولا آتيتكم به فقالوا: من أنت أكرمك الله؟ قال: لا والله لا أخبركم لتحمدونى ولا أخبر غيركم ليقرظونى، ولكنى أحمد الله تعالى وأرجو ثوابه.. ثم تركهم ومضى، فأمروا رجلاً أن يتبعه وأن يأتيهم بخبره، فلما سأل الناس عنه، قالوا: ألا تعرفه، إنه زاهد البصرة: عامر بن عبد الله التميمى.

عرفوه بعد أن مات:

وهذه قصة عجيبة لهذا الخلق فقد ورثه من جده أكمل خلق الله ﷺ، إنه على بن الحسن المشهور بـ(على زين العابدين) كان إذا جن الليل يحمل أكياس الدقيق على ظهره الناحل، ويخرج بها فى عتمات الليل والناس نيام، فيتصدق بها على ذوى الحاجات ممن لا يسألون الناس إلحافاً.

وكانت جماعات كثيرة فى المدينة يعيشون وهى لا تدرى من أين يأتيها رزقها رغداً؟!.

ولما مات عرفوا مصدر ذلك، ولما وضعوه على مغسله وجدوا سواداً فى ظهره، قالوا هو أثر حمله لأكياس الدقيق، وهكذا صاحب الخلق الخدمى يحبه الناس أصدق ما يكون الحب، يجلوه أعظم ما يكون الإجلال، ويتعلقون به أشد ما يكون التعلق، بل يشتاقون إلى رؤيته أعمق ما يكون الشوق.. وإن مات.

خامساً: مجتمع المبادئ والعدل والطهر

على رسلكما

بهذه الحركة الصادقة، يجنى المجتمع الصلاح، فلا مكان لفساد أو فجور أو ظلم، وإنما هو طهر ونقاء وعدل، المبدأ قبل الشخص، الحق أولاً، لا محاباة أو مجاملات أو مظاهر خادعة، ولن يكون فيه الإنسان قدوة صالحة إلا إذا تمسك بالمبدأ وطبقه حتى ولو كان على نفسه، لقد مر رجلان من الأنصار برسول الله ﷺ على باب المسجد ومعه صفية زوجته فسلما فقال لهما: (على

رسلكما إنما هى صفية بنت حيىّ)، فقالا : سبحان الله يا رسول الله وكبُر عليهما، فقال النبى ﷺ : « إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئاً » رواه البخارى .

هذا لكم وهذا أهدى لى :

وحينما التبس الأمر على الموظف الذى مهمته تحصيل الأموال، بين ما يجمعه كمال عام، وبين ما أعطى هدايا ، غضب النبى ﷺ ففيما روى البخارى عن أبى حميد الساعدى أن رسول الله ﷺ استعمل عاملاً فجاءه العامل حين فرغ من عمله فقال : يا رسول الله هذا لكم وهذا أهدىّ لىّ ، فقال له : أفلا قعدت فى بيت أبيك وأمك فنظرت أيهدى أم لا؟ ثم خطبهم النبى فقال : « فوالذى نفس محمد بيده لا يغل أحدكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه » وكم من مجتمعات غرقت فى وحل الفساد والسلب من عدم المحافظة على المال العام باسم الهدايا وهى فى حقيقتها معاول الهدم والتدمير.

البِّر تُردْن بهن :

* ولارساء مبدأ أن تكون نية الخير صادقة امتنع النبى ﷺ عن الاعتكاف فى شهر رمضان ثم اعتكف عشراً من شوال فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها كان النبى ﷺ يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان، فكنت أضرب له خباء فيصلى الصبح ثم يدخله، فاستأذنت حفصة عائشة أن تضرب خباء فأذنت لها فضربت خباء، فلما رأته زينب بنت جحش ضربت خباء آخر، فلما أصبح النبى ﷺ رأى الأخبية، فقال : (ما هذا) فأُخبر ، فقال النبى ﷺ : « البّر تردن بهن » أى الطاعة تظنون بهذه الأخبية وما هو إلا غيرة منكن فترك الاعتكاف ذلك الشهر ثم اعتكف عشراً من شوال .

وسجن القاضى ولده :

* وامتد هذا التأسى الصالح، حتى رأينا عهوداً عاش المجتمع فى رحاب العدل الحقيقى فهذا شريح القاضى وقد كفل ولده رجلاً، فقبل كفالته، فما كان من الرجل إلا أن فر هارباً من يد القضاء، فسجن شريح ولده بالرجل الفار، وكان ينقل له طعامه كل يوم إلى السجن، فى سبيل أن ينتشر العدل فى مجتمع لا يعرف إلا الفضيلة والحق.

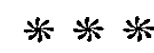
المبدأ أولاً :

* وهذا (محمد بن سيرين) عندما سجن لديْن عليه وكان يمر بضائقة

فلما رأى السجان تقواه وورعه قال له: أيها الشيخ إذ ا جاء الليل فاذهب إلى أهلك وبت معهم، فإذا أصبحت فعد إليّ، واستمر على ذلك حتى يطلق سراحك، فقال له: لا والله لا أفعل، فقال السجان: ولم هداك الله، قال: حتى لا أعاونك على خيانة ولى الأمر.

وهو في السجن مات أنس بن مالك الصحابى الجليل، وقد أوصى بأن يغسله ويصلى عليه محمد بن سيرين.

فجاء الناس إلى الوالى وأخبروه بوصية صاحب رسول الله ﷺ، إلا أن محمداً قال: حتى تستأذنوا صاحب الديْن؟ فلما وافق خرج وأدى الوصية دون أن يذهب إلى أهله. فكان أسوة فى الالتزام بالمبدأ وتطبيقه مهما كانت المغريات، حتى ولو سنحت كل الفرص أمامه.





ثانياً: صفات أهل الحركة فى المجتمع

الذين يتحركون ويتفاعلون فى مجتمعاتهم أسوتهم وقدوتهم أكمل خلق الله، وخير من تفاعل مع الناس ﷺ ولذلك سنستقى هذه الصفات من خلال الحركة اليومية لرسول الله ﷺ مع الناس كافة الناس، أصدقائه وأصحابه وأعدائه حتى مع من أضمروا له العداء وإن كان ظاهرهم الصداقة والصلاح.

وقد جاء القرآن الكريم ليسهل علينا الأمر وهو يصف النبى ﷺ بصفات الحركة فى المجتمع ليؤكد على أهمية العمل فى المجتمع من ناحية وعلى دليل لكل من أراد أن يخدم مجتمعه من ناحية أخرى حتى تكتمل الصورة المشرقة وتعم الفائدة، خاصة أننا نوجه هذه الكلمات لكل صالح يريد صلاح مجتمعه فى حركة طبيعية غير مصنوعة، مهما كانت صورة العمل فردية أم جماعية، ونختصر الصفات فى التالى:

أولاً: أن يكون اجتماعياً

يقول تعالى: ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم**﴾.

١ ـ من الناس (من أنفسكم)

وذلك فى قوله تعالى: ﴿**رسول من أنفسكم**﴾ أى أنه مرسل من الله بكل ما تعنيه الآية فهو مبلغ عن الله ولم يأت بشئ من عنده، ليكون لكم أسوة فلا تقولوا هو ملك وإنما هو بشر، تعرفون نسبه وتاريخه وأمانته وصدقه وسائر أخلاقه مما يكون مدعاة إلى التصديق به، فى حمل أمانة التبليغ والجهر بها.

ولذلك فأول الصفات الاجتماعية أن تكون من الناس وفى الناس وبين الناس ومع الناس، فى كل نواحى المجتمع.

٢ ـ عزيز عليه ما عنتم

يعز عليه ﷺ أن يشق عليكم أو يعنتكم فقلبه رحيم بكم ولذلك يقول النبى ﷺ لأفراد المجتمع: «مثلى كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها، قال: فذلكم مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار فتغلبونى تقحمون فيها» متفق عليه.

٣ ـ حريص عليكم:

معنى الحرص: أن يحوطكم بالرعاية حتى لا تقعوا فى المشقة، والحق

يخفف عن النبى ﷺ بقوله: ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم** ﴾ الكهف/ ٦
ويقول تعالى: ﴿ **لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ﴾ الشعاء/ ٣ .

٤ ـ بالمؤمنين رءوف رحيم

الرأفة قبل الرحمة.. لماذا؟ وذلك لأن الرأفة دفع الضرر والأذى والمشقة، أما الرحمة فهى جلب المنفعة والنعيم، وهذه واضحة فى قوله تعالى: ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ النساء/ ٨٢ .

فقدم الله الشفاء أولاً لدفع مضرة المرض ثم تأتى الرحمة التى هى المنفعة والعافية ومن خلال هذه الصفات القرآنية لرسولنا ﷺ كانت حياته فى المجتمع نبراساً لكل من أراد أن يكون اجتماعياً مع الناس، فمن أول حمله للرسالة والسيدة خديجة رضى الله عنها تقول: [إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتنصف المظلوم ولن يخزيك الله أبداً] فقد لخصت دور المسلم فى أن يعيش مشاكل الناس ناصراً للمظلوم، مساعداً للمحروم، يحمل الكل، ويصل الرحم، ويفنى فى خدمتهم، ونجمل هذه الصفات فى التالى لتكون اجتماعياً، متأسياً بأكمل أسوة.

١ ـ أن تكون نبيلاً:

فقد كان النبى ﷺ أنبل الناس، روى جرير أن النبى ﷺ دخل بعض بيوته فامتلأ البيت، فقعد جرير خارج البيت، وأبصره النبى ﷺ فأخذ بثوبه فلفه ورمى به إليه وقال: اجلس على هذا، فأخذ جرير الثوب ووضعه على وجهه وقبله، وعن أنس بن مالك أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت له: إن لى إليك حاجة فقال ﷺ: «اجلسى فى أى طريق المدينة شئت أجلس إليك» رواه الترمذى

فكيف يكون اجتماعياً من يعيش فى برج عاجى، أو يحدث الناس من فوق المنبر، أو إن أردت مقابلته ولجت الأبواب تلو الأبواب، ولن ينسى لك الناس فعلتك مثل ما فعل جرير رضي الله عنه .

٢ ـ أن تكون ناجداً:

وكان النبى ﷺ أنجد الناس، ففى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم يوم أن ذهب إلى أبى جهل يطالبه بحق أعرابى جاء يطلب النصرة من محمد ﷺ، فى حق سلبه أبو جهل، فقال: ﷺ لأبى جهل: (إن هذا الرجل قد باع لك جملاً وماطلته فى الثمن وإن مطل الغنى ظلم فأد إليه حقه الآن) والعجب أنه ما نطق أبو جهل وهو الرجل الذى يناصبه العداء ليل نهار، بل أدى حق الرجل لما

وقع فى قلبه من هيبته ﷺ فهل أنت مستعد أن تحمل حقوق الناس وتنتصر لهم وإن لم تعرفهم شخصياً بل الذى تعرفه هو الحق الذين جاءوك من أجله، حتى ولو كان مع الظالمين المتسلطين القاهرين آكلة حقوق البشر ؟! .

٣ ـ أن تكون كريماً

وكان النبى أكرم الناس، هذا عمير بن وهب يستأمنه لصفوان بن أمية الذى هرب يوم فتح مكة فقال عليه الصلاة والسلام: هو آمن فطلب عمير آية يعرف بها صفوان أمان النبى له فأعطاه عمامته الشريفة التى دخل بها مكة فلما عاد صفوان وطلب أن يكون بالخيار شهرين قال ﷺ : « أنت بالخيار فيه أربعة أشهر » كما فى مسند الإمام أحمد .

ويوم أن جاءه وحشى قاتل عمه حمزة، فقبل اسلامه رغم الجراح، ولم يزد عن قوله ﷺ معبراً عن مشاعر الحزن لمقتل حمزة المأساوى « غيب عنى وجهك » .

فالكرم أن تعطى من خلقك ولا تسأل لمن أكرمت وما أكرمت وكيف أكرمت !! فهل أنت كذلك؟!

٤ ـ أن تكون شجاعاً :

وكان النبى ﷺ أشجع الناس، فكان إذا اشتد الوغى ودارت رحى الحرب، يحتمى به أصحابه، كما يقول على بن أبى طالب رضي الله عنه : « كنا إذا اشتد البأس احتمينا برسول الله ﷺ » ففى أُحد كان يرمى بنفسه عن قوسه، ويعدو وراءه أبى بن خلف يحاول قتل النبى ﷺ فيستقبله النبى بطعنة يموت منها قبل أن يبلغ مكة، ويوم حنين يجمع الفارين فى كتيبة الموت صائحاً: « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب » .

فليكن تميزك فى المجتمع الشجاعة فى الدفاع عن الناس وحمايتهم وقت الشدائد والصعاب، فكم أخرس الجبن أناساً زعموا الشجاعة فى وقت الرخاء، ففضحتهم المصاعب والكوارث والشدائد، ولذلك كان النبى جديراً بقوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر » رواه مسلم .

٥ ـ أن تكون عادلاً :

وكان النبى ﷺ أعدل الناس، روى البخارى حينما جاءه على بن أبى طالب، يوم فتح مكة قائلاً: (يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية)

فهل يجعلها النبى فى أقاربه فهم أولى بهذه المنزلة والثروة؟! وهل يجعلها فى ابن عمه الذى جاء يطلبها؟! كلا . . إنما هو العدل كله، فيقول ﷺ : « أين

عثمان بن طلحة » ، فدعى له فقال :

« هذا مفتاحك يا عثمان
اليوم يوم بر
إن الله استأمنك على بيته فكلوا بالمعروف » .

فليس معنى فرحة الانتصار ونشوة النجاح هى التى تجعلك فى شطط من أمرك، بل تعدل، لأن ذلك خلق ثابت تتحرك به، حتى ولو كان على نفسك أو أحبابك أو أسرتك ، أو أقاربك أو عشيرتك .

٦ - أن تكون جواداً :

وكان النبى ﷺ أجود الناس، وكان أجود من الريح المرسلة، ففى مسند الإمام أحمد ، روى هارون بن باب أنه قدم على النبى ﷺ سبعون ألف درهم وهو أكثر مال أتى به قط فوضع على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منه .

وبالجود تأسر قلوب الناس، وتحظى بحبهم، وتفتح أمامك أبواب الصلاح والإرشاد، والجواد هو الذى ينفق بلا حدود، فقد روى البخارى عن أسماء أن رسول الله ﷺ قال لها :

« أنفقى ولا تحصى
فيحصى الله عليك
ولا توعى فيوعى الله عليك » .

فإن هيأ الله لك زيادة فى المال وبسطة فى العيش، فجرّب هذا الخلق مع الناس، لتلمس حلاوته وجماله .

٧ - أن تكون واصلاً :

وكان النبى أوصل الناس، بكل شرائح المجتمع، بالجار والأقارب، وأصحابه ، وبناته، يذهب إلى ابنته فاطمة رضى الله عنها ويسألها كيف تجدينك يا بنية؟ ، ويذهب إلى بيت جعفر بن أبى طالب يوم استشهاده فى مؤتة ويقول لزوجته أسماء بنت عميس : يا أسماء لا تقولى هجراً ولا تضربى صدراً ، ثم يخرج ويدخل على ابنته فاطمة قائلاً : (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم) ويوم فتح مكة يدخل على أم هانئ وكان جائعاً فتقدم له الطعام، وترسل ابنته زينب تفتدى زوجها أبا العاصى بن الربيع أسير بدر بقلادة أمها خديجة، فيتأثر النبى ويرق ويقول للمسلمين : «إن رأيتم أن تطلقوا أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا» .

ثانياً: أن تعشق الحرية

يقول الله تعالى: ﴿**ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾ يونس/ ٩٩ .

لقد حزن النبى ﷺ لعدم ايمان بعض قومه فكان التنبيه من الله بأن عليك البلاغ فقط ،فالله يريد ايمان المحبة والاختيار، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾ البقرة/ ٢٥٦ ، وانطلق النبى ﷺ ينشر الحريات فى المجتمع ، وإذا كان أخطر هذه الحريات مكفولة فى اختيار الدين والايمان،فما بالك بحرية الرأى وحرية التعبير، وحرية الحركة، وحرية الفكر، وحرية التنقل، وحرية التصرف .

وعلى كل من يتصدى للعمل مع المجتمع أن يتصف بصفات الحرية ونذكر بعضها :

أن تكون حليماً :

فسلب الحرية وإكراه الآخرين، من أسبابه الغضب والانفعال، وبالحلم يستطيع الإنسان أن يفكر فى هدوء ، ويقيم علاقات من شأنها أيضاً أن تجعل الآخرين أحراراً، فى اتخاذ القرار الصحيح والرأى السديد فى حياتهم .

وكان النبى ﷺأحلم الناس، فيما روى البخارى عن هذه اليهودية التى دست السم فى الشاة، فلاك منها ﷺمضغة فلم يسغها وقال: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ثم دعا اليهودية فاعترفت وسألها ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت: إن كان ملكاً استرحنا منه ، وإن كان نبياً فسيخبر، فقال ﷺ: ما كان الله ليسلطك على ذلك، فقال المسلمون: يا رسول الله نقتلها قال: لا، وأطلقها وكم من أبرياء اليوم فى المجتمع يأخذهم البعض بالظنون ودون تبين، فيسلبون حرياتهم، ويقهرون حياتهم، فى لحظة غضب أو ساعة انفعال، فيوصدون ما بينهم وبين الناس، ويقطعون الصلات تماماً مع مجتمعاتهم.. ماذا لو كان الحلم رائدهم، لنشوروا الحرية وأطلقوا الناس.

٢ ـ أن تكون سمحاً :

السماحة تعنى أنك توفر جواً من الحرية لمن تخالطه فى الاختيار والتفكير والحركة واتخاذ قراره، لأن عكسها الفظاظة والغلاظة، ويقول تعالى لنبيه ﷺ ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾ وكان النبى ﷺ أسمح الناس، ففى غزوة ذات الرقاع، قام غوث بن



الحارث على رسول الله ﷺ بالسيف قائلاً: من يمنعك مني؟ فقال : الله فسقط السيف من يده، فأخذه ﷺ وقال: من يمنعك مني؟ قال: كن خير آخذ، فقال ﷺ : تشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله قال: لا غير أني لا أقاتلك ولا أكون معك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى النبي ﷺ سبيله فقال الرجل لأصحابه: جئتكم من عند خير الناس ، فلم يجبره النبي ﷺ على الإسلام حتى يقتنع ويدخل في الاسلام طواعية وقبل منه عهده وأخلى سبيله ليشهد شهادة حق: جئتكم من عند خير الناس.

٣ ـ أن تكون كيساً :

وكان النبي ﷺ أكيس الناس، وهو ﷺ الذى فسر ذلك بقوله فيما رواه الترمذى: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني).

وهذا زيد بن سعنة الذى كان حبراً من أحبار يهود حين جاء إلى النبي ﷺ يطلب ديناً له قبل حلوله فجذبه من برديه وقال : (ألا تقضيني يا محمد فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لمطل) فأراد عمر أن يقتله فقال ﷺ : (لأنا وهو أحوج إلى غير هذا أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه اذهب يا عمر فاقضى حقه وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما رعته) وكان أن أسلم هذا اليهودى واستشهد في تبوك.

فمن الكياسة ألا ينتصر الذى يخالط الناس لنفسه قط، بل يتعقل أمره،وينظر دوماً إلى هدفه البعيد، في علاقة طيبة مع الناس تتبعها حياة صالحة في المجتمع، وبهذه الكياسة تعطى مساحة عاقلة للناس ليختاروا الصواب بحرية وفي حرية، وهذا ما جعل هذا الحبر يدخل في الإسلام بل ويستشهد في مؤتة.

ثالثاً: أن تعفو عن الناس

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس** ﴾ آل عمران / ١٣٥، ومعنى كظم الغيظ أن صاحبه لا ينتقم فالغيظ موجود وصاحبه يحبسه، ولذلك فالدرجة التي تلى كظم الغيظ هي « العافين عن الناس » وبذلك يخرج الغيظ تماماً من صاحبه بالعفو والصفح، يقول تعالى: ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ النور / ٢٢ ، ونذكر بعض صفات الكاظمين الغيظ ومنها:

١ـ أن تكون عفواً

وكان النبي ﷺ على رأس العافين عن الناس، تحكى السيرة عن ابن عمه

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب حينما أسلم بعد أن ناصب النبى ﷺ العدواة والبغضاء ، فيعرض عنه رسول ﷺ حتى إذا أبلى أبو سفيان أعظم البلاء يوم حنين، سأل النبى ﷺ : من هذا؟ فقال عمه العباس: يا رسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث فاعف عنه، فقال ﷺ : قد فعلت، فغفر الله كل عداوة عادانيها، فانكب أبو سفيان يقبل قدم النبى فى الركاب، فقال ﷺ : أخى لعمرى.

وهكذا يمضى العفو يمحو كل أثر فى النفس أو فى القلب لانتقام من الناس، أو شماتة فيهم، أو حقد عليهم، أو الثأر من ظلمهم وجورهم، فيحقق صاحبه أحلى علاقة بالناس، بل يقبلون الأيدى والأقدام، فى حب ووئام، وبذلك تمضى فى تحقيق أهدافك الإصلاحية لمجتمع مشرق وضاء.

٢ ـ أن تكون صفوحاً :

إذا كان العفو أن تعفو عن الجرم، فإن الصفح هى المرحلة التالية بعد العفو فى ترك العقوبة على الجرم، وهذا يوم الفتح يشهد لرسول الله ﷺ كيف أطلق سراح من ناصبوه العداوة فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وبعدها لم تنل من أحدهم أى عقوبة تذكر.

وكان النبى ﷺ أصفح الناس، وهذا التابعى الزاهد عامر التميمى حينما نفاه الحاكم من البصرة إلى بلاد الشام، واحتشد تلاميذه والناس جميعاً لوداعه قال: إنى داع فأمنوا، فقال فى دعائه:

(اللهم من وشى بى وكذب علىّ وكان سبباً فى إخراجى من بلدى والتفريق بينى وبين صحبى، اللهم إنى صفحت عنه فاصفح عنه وهبه العافية فى دينه ودنياه، وتغمدنى وإياه وسائر المسلمين برحمتك وعفوك وإحسانك يا أرحم الراحمين) .

ثم وجه مطيته نحو بلاد الشام، ومضى لسبيله.

رابعاً: أن تكون مستمراً

* ما قيمة أن ينقطع الإنسان عن الحركة فى المجتمع؟ وماذا يجنى إذا رأى أن يعتزل المجتمع ويبعد عن الناس؟ ولذلك فإن الإستمرار رغم العقبات هو الحل الوحيد لضمان العمل فى المجتمع يقول تعالى: ﴿ **فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل** ﴾ هود/ ١٢ .

بمعنى يا محمد لا يضيق صدرك من هؤلاء المتعنتين الذين يريدون أن

يخرجوك من أداء مهمتك فى التبليغ عن الله، بحجة أنك بشر ولست إلهاً، وإياك أن يضيق صدرك فلا تبلغهم رسالة الله بل عليك الاستمرار بدعوتك ورسالتك وعقابهم على الله إن كذبوا وجحدوا.

ولعل من أجمل ما كان عليه أمر النبى ﷺ فى ذلك ما رواه البخارى عن ابن عباس رضي الله عنه وهو يقول: حسبت أنى كنت كثيراً أسمع النبى ﷺ وهو يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر.

أرأيت فى أول الدعوة كيف اجتمع المجتمع القرشى الكافر عداوة على رسول الله ﷺ واستخدموا أسلوب الإغراء ثم الإرهاب لإثنائه وابعاده عن الاستمرار، وحاولوا المرة تلو الأخرى مع عمه أبى طالب، حتى بعث إلى رسول الله ﷺ يقول له:

« ابق على نفسك وعلىّ ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق » فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدأ يضعف عن نصرته فقال رسول الله ﷺ: « يا عماه والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ».

وأمام روح الاستمرار التى رآها أبو طالب قال للنبى ﷺ: « اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشئ أبداً » وأنشد:

والله لن يصلوا إليه بجمعهم   حتى أوسد فى التراب دفينا

● وقد بحثت عن صفات الاستمرار التى يضمن بها الفاعلون فى مجتمعاتهم عدم الانقطاع عن العمل والتفاعل والحركة، فلم أجد خيراً من الصفات الحركية التى أوردها الامام الشهيد حسن البنا كجزء من صفات الفرد المسلم وهى فى مجملها عشرة، وكأنهم فى الحقيقة ثلاث مراحل: **المرحلة الأولى**: حوت الأربع صفات الأولى بالترتيب: [قوى الجسم - متين الخلق - مثقف الفكر - قادراً على الكسب] وهى صفات إنسانية عامة لابد أساساً أن تكون متوفرة لدى الفرد المسلم الذى يحمل أمانة الرسالة والدعوة إليها والتضحية فى سبيلها، وبذلك يكون مهيأ **للمرحلة الثانية**: [وهى التربية فى مصنع التكوين [سليم العقيدة - صحيح العبادة - مجاهداً لنفسه] وهى ثلاث صفات بهم يكون الفرد رجلاً أو امرأة على استعداد **للمرحلة الثالثة**: [وهى الحركة والانطلاق والعمل فى المجتمع بصفات ثلاثة هى الضامن للاستمرار [منظماً فى شئونه - حريصاً على وقته - نافعاً لغيره] وكلها صفات حركية فى

المجتمع ومع الناس بدوائرهم المختلفة، والتى حوت فى طياتها ما يضمن له المواصلة والاستمرار فى علاقته مع شئونه وما بينه وبين هذه الدوائر ثم علاقته مع هذه الدوائر.

١ـ أن يكون منظماً فى شئونه:

وغاية النظام فى شئونك أن تراعى ما اتفق عليه علماء السلوك، من أداء واجب الوقت، فخير الجهاد فى وقت الجهاد، وخير الصدقة فى وقت الصدقة، وخير الخدمة فى وقت الخدمة، ولذلك فالمؤمن يعمل على أولويات تنظم كافة الشئون، ثم يعمل وفق الأولويات على جدول أفضلية يحدده له الشرع والواقع، وبالتالى فهو يتحرك حركة جميلة هادئة رقيقة مؤثرة بصيرة فلا يتعدى جانب على جانب لهوى، ولا يجور شأن على شأن لمحاباة، وإنما الميزان الدقيق هو الشرع بمنهجه الوسطى المعتدل الهين الرفيع وهذا رسول الله ﷺ صورة عملية للتأسى والاقتداء:

١ـ ربما مر على صبية صغار فيسلم عليهم ففى الحديث عن أنس رضى الله عنه: أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال: «كان النبى ﷺ يفعله» متفق عليه.

٢ـ وربما مر على أمة من إماء المدينة تطلب منه قضاء حوائجها فيذهب معها، عن أنس رضى الله عنه قال: إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبى ﷺ فتنطلق به حيث شاءت (البخارى)

٣ـ ثم يذهب إلى بيت من بيوته فيكون فى خدمة أهله، عن الأسود بن يزيد قال: سئلت عائشة رضى الله عنها: ما كان النبى ﷺ يصنع فى بيته؟ قالت: كان يكون فى مهنة أهله ـ يعنى فى خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» رواه البخارى

٤ـ وكان يأخذ بالرجل الغريب الذى يطلب العلم فيعلمه، عن أبى رفاعة تميم بن أسيد رضى الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدرى ما دينه؟ فأقبل علىّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتَى انتهى إلىّ فأتى بكرسى فقعد عليه، وجعل يعلمنى مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتم آخرها (رواه مسلم)

٥ ـ وما ترك أحداً دعاه ولو إلى أيسر شئ إلا ولبى دعوته: عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لو دعيت إلى كراع أو ذراع لقبلت ولو أهدىّ إلىّ ذراع أو كراع لقبلت». رواه البخارى.

٦- وكان شأنه فى المواصلات ألا يتميز على أحد من الناس، ففيما ذكره ابن هشام فى السيرة أنه كان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه أكاف من ليف.

٧ - وفى سائر يومه لا يترفع ولا يتكبر على الآخرين ويقابل الحادثات بثقة فى ربه، عن أنس رضي الله عنه قال: كانت ناقة رسول الله ﷺ العضباء لا تُسبق أو لا تكاد تسبق، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه الرسول ﷺ فقال: « حق على الله ألا يرتفع شئ من الدنيا إلا وضعه » رواه البخارى

٨ - بل فى سائر شئونه يتحرك ﷺ محذراً من الكبر والمتكبرين، ومن حياة الكبر على الناس فى كافة شئونهم، عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسن ونعله حسناً؟ قال: « إن الله جميل يحب الجمال، والكبر بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم.

فليس العيب فى أن تكون شئون الإنسان كلها جميلة، ولكن العيب كل العيب أن تغمط الناس وتجور على الحق ولو كانت فى ظاهرها جميلة أخاذة، إذ كيف تأخذ بألباب الناس وهى فاقدةُ اللُّب؟!

٢ - أن يكون حريصاً على وقته:

الحرص على الوقت فى أن تحقق هدف الوقت، ولن تبلغ تحقيق الهدف إلا إذا حددت للوقت غاية، فإن قصر أو طال الوقت يكفيك تحقق الهدف، والحرص على وقتك يعنى أن تكون حريصاً على وقت الناس كحرصك على وقتك أنت، وبذلك تُقضى الحاجات فى إيجاز، ويتعاون الناس دون إطالة، وتنال المصالح بلا فاقد من جهد أو وقت أو مال.

وأكمل صورة فى الحرص على الوقت أن يكون فى حلال وبذلك ينجو صاحبه من سؤال الله يوم القيامة عن وقته فيما أمضاه، حينما يتحول إلى لحظات عبادة، ودقائق إيمان، وساعات طاعة، وكان النبى ﷺ أحرص الناس على وقته بل اعتبر وقت الآخرين هو وقته أيضاً، فيما رواه البخارى عن عبد الله بن مسعود، كان يذكِّر الناس فى كل يوم خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكَّرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أُملَّكم فإنى أتخولكم بالموعظة كما كان النبى ﷺ يتخولنا بها مخافة السّآمة علينا». فتخصيص أيام للعلم يجعل التذكرة تحقق هدفها فما معنى أن

تصب على رءوس الناس مواعظ وهم فى ملل من سماعها؟!

وإن تكلم كان يحقق هدف الكلام فى أن تصل المعانى والأحاديث إلى أفهام الناس بل ويحفظونها ، فيما روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن النبى ﷺ كان يحدث حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه.

ومع انشغال وقت النبى ﷺ لم يقل لأحد يوماً أنه مشغول فما أوصد باباً أو منع أحداً من بسمة أو دعوة أو وقفة يستمع إلى شكوى، روى البخارى أن جرير قال :

« ما حجبنى النبى ﷺ منذ أسلمت ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى، ولقد شكوت إليه أنى لا أثبت على الخيل، فضرب بيده فى صدرى وقال : « اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً » حتى فى بيته ﷺ لم ينس الزوجة وهو بالليل قائم بين يدى ربه ففى حديث عائشة عن صلاة النبى بالليل تقول : فإذا قضى صلاته نظر فإن كنت يقظة تحدث معى،وإن كنت نائمة اضطجع» رواه البخارى.

إنه حرص النبى ﷺ على الإستفادة بلحظات ود وحب مع زوجته دون إكراه أو تعمد فى قول أم المؤمنين عائشة : (فإن كنت يقظى تحدث معى) .

وبلغ من حرصه على وقت الآخرين أن عيّن أبا بكر للرد على المرأة التى أمرها بالرجوع إليه، فيما روى البخارى من حديث جبير بن مطعم قال : أتت امرأة النبى ﷺ فأمرهاأن ترجع إليه، قالت : إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت، قال ﷺ : « إن لم تجدينى فأتى أبا بكر) .

٣ ـ أن يكون نافعاً لغيره

الوصول إلى هذا السلوك هو علامة النجاح فى الاستمرار، فهو يمضى عبر حب الناس أولاً، ثم قبول الناس جميعاً لك ثانياً ثم سجية وسلوك طبيعى تنطلق به فى المجتمع ثالثاً، بأن تعيش لغيرك، وأن تعشق نفعهم، حيث لا تبرم من أفعالهم ولا ضجر من أعمالهم، وكلما حاصرتك عيوب الناس وأحاطت بك فنون إيذائهم لك، رجعت إلى الأصل تستمد منه العون "أوحشك من كل شئ حتى ترجع إليه فى كل شئ"فمن الله تعالى تستمد العون لحبهم ، كما قيل : « يقذفونك بالحجر وتقذفهم بالثمر »، ولآخر : (سنقاتل الناس بالحب) بهذا الحب تبدأ الطريق، فإذا أحببت الناس أحبك الله، وإذا أحبك الله أحبك أهل السماء ثم يوضع لك القبول فى الأرض، وهذا هو مفتاح بوابة نفع الغير، وهو جماع لكل ما بدأنا به حديثنا عن فقه الحركة فى المجتمع من التأثير فى كل الأفراد وتخفيف معاناتهم واكتساب الخبرات بالناس لتحظى بالخلق الخدمى من



المبادرة حتى الفناء فى نفعهم مع إنكار الذات، من أجل مجتمع المبادئ والعدل والطهر المنشود.

* فيما رواه مسلم عن حذيفة، قال رسول الله ﷺ تلقت الملائكة روح رجل ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخير شيئاً؟ قال: لا، قالوا: تذكر، قال: كنت أداين الناس، فآمر فتيانى أن ينظروا المعسر ويتجوزوا عن الموسر، قال: قال الله عز وجل تجوزوا عنه.

وروى مسلم عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى، قال: يارب كيف أعدك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده.

■ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى، قال: يارب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى.

■ يا ابن آدم استقيتك فلم تسقنى قال: يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندى» وهكذا ينتهى مطاف التوفيق والفلاح يوم القيامة بأن يتجاوز الله عن نافع غيره، أو يذكر الإنسان بالمواطن التى يجد الله فيها فى الدنيا، فهو لقاء متجدد مع رب العزة تعالى حينما يعود المرضى، أو يطعم الجوعى، أو يسقى العطشى، وكلها من أبواب نفع الغير.

* وما أعظم الأجر الجزيل، والثواب العظيم، والحصول على الجنة، مما ادخره الله لعباده الذين ينفعون غيرهم، فيما روى البخارى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار». وروى البخارى أيضاً عن عثمان بن عفان قول النبى ﷺ: «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله بنى الله له مثله فى الجنة».

***



ثالثاً: عقبات أمام الحركة فى المجتمع

أولاً: عقبات من الناس

١ ـ التكذيب والاتهام:

يقول تعالى: ﴿ **فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا ، وما نراك اتبعك إلا هم ارازلنا بادى الرأى ، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين** ﴾ هود / ٢٧ ، هناك فصيل من الناس يواجهون كل صلاح في مجتمعاتهم بالتكذيب والاتهام، ويحلو لهم قلب الحقائق، فإذا أردت صلاحاً فإنك كنت تنتوى الفساد، وإن نفذت صلاحاً فإنك مخرب مدمر، وإن خدمت الناس فأنت تستغلهم، وإن تحدثت باسمهم مطالباً بحقوقهم فإنك تعمل لمصالح شخصية، وإن أعنتهم بالمال فإنك تستميلهم إلى نفسك، فكل حركتك فى المجتمع ومع الناس لها مآرب أخرى عندهم، وهى مواجهة ليست بالجديدة، وإنما هى قديمة واجهها الأنبياء جميعاً ، فنبى الله نوح عيبه أنه بشر ، واتبعه أراذل الناس، وليس لهم أقل مزية أو فضل، ولذلك فهم كاذبون!! وهذه هى النظرة السطحية المادية للأمر (بادئ الرأى) ولكن الله أغلق منافذ التعمق فى الأمر، لأنهم لو تحققوا وتعمقوا وتفهموا فى تؤدة وأناة، لتعقلوا أمرهم، ولوجدوا خيراً كثيراً وعلموا حقائق الأمور.

٢ ـ الإعراض

وهى آفة فى بعض الناس، يغلقون عقولهم عن الفهم، وقلوبهم عن الإدراك، وآذانهم عن السمع، وعيونهم عن الرؤية، فأنّى لهم بالبصيرة والتقاط ما ينفعهم؟! .

كانوا يسمعون القرآن خلسة بالليل من رسول الله  فإذا اصطدم بعضهم ببعض يتواعدون ويتعاهدون على عدم الحضور ثانية!

والإنسان الحاذق يتعلم من الأحداث ويجعلها تسير فى تحقيق هدفه الإصلاحى، ولذلك لما خرج نبى الله يونس مغاضباً وليس غاضباً فالغاضب هو الذى يغضب دون أن يغضبه أحد ولكن المغاضب هو من أغضبه غيره، يقول تعالى: ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين** ﴾ يونس / ٨٧ .

وكان من المفروض أن يتحمل الأذى الصادر منهم تجاهه وأن يصبر على إعراضهم عما ينفعهم، كلمة (فظن) بما تدل على أن معارضة دعوته كانت

شـديدة تملأ قلبـه بالـتعب والألـم ، وكـان علـيه أن يـوطن نفـسـه عـلى مـواجـهـة المشقـات والعقبات ومـنها إعراض الناس عن دعوته، ولذلك كان الدرس من الله بليغاً أن سجن فى الظلمات حتى أنجاه الله تعالى.

٣ ـ الانحراف والفساد :

وهذه الفئة من الناس تقف دائماً حجر عثرة فى طريق أى صالح مصلح فى مجتمعه، لأنها تر أن مصالحها ستهتز، وأن ما ترتع فيه من انحرافات وفساد سيتحول فى عشية وضحاها إلى سراب، ولذلك فإنها تتمسك بمواقفها المعادية، وتضع العراقيل وتصنع المؤمرات من أجل تصفية الصالحين بحجة أنهم هم الذين ينشرون الفساد ويدعون إلى الانحراف، يقول تعالى : ﴿ **وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ﴾ البقرة/ ١٢ .

ولا أنفع فى اجتياز هذه العقبة من الدعوة بالحسنى والمواجهة بالمسامحة والاستمرار بأعمال الخير فى المجتمع، ورحم الله عهوداً كان عطاء بن أبى رباح يذهب إلى الحاكم هشام بن عبد الملك يطالبه بحقوق الناس وتقسيم العطايا والأرزاق الخاصة بالجند وأهل الذمة، فيستجيب له الحاكم ثم يسأله : هل من حاجة غيرها؟ يقول عطاء : نعم، اتق الله فى نفسك واعلم أنك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك وتحاسب وحدك ولا والله ما معك ممن ترى أحداً. فأكبّ هشام ينكث فى الأرض وهو يبكى.

وإن امتدت يد هذه الفئة إلى حبس الأبرياء وظلمهم، كانت الكلمة البليغة والحركة الصادقة، والنية الطيبة، هى التى تحول بينهم وبين الظلم، هذا الشعبى رضي الله عنه يكلّم أمير العراقيين فى جماعة حبسهم فقال : يا أيها الأمير :

إن كنت حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم وإن كنت حبستهم بالحق فالعفو يسعهم فأعجب بقوله، وأطلقهم كرامة له.

وكان منهج الإمام أبو حنيفة أن يحافظ على حسناته، فكان لا يذكر من يناصبه العداء من الناس بسوء أو غيبة، فقد سأل عبد الله بن المبارك التابعى الزاهد سفيان الثورى قائلاً : يا أبا عبد الله ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة؟ فإنى ما سمعته يذكر عدواً له بسوء قط! فقال له سفيان :

إن أبا حنيفة أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها.

٤ ـ الترف

الترف فتنة، يكون صاحبها فى عزلة عن المجتمع، وأصحاب الترف على

وجل دائم من زوال النعيم المزعوم، فليس عندهم وقت إلا السباق فى المحافظة على ما يملكون، متناسين المُنعم تعالى فأنساهم أنفسهم، وهو استدراج دون أن يدروا ، يقول تعالى : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأملى لهم إن كيدى متين** ﴾ يقول التفسير : (كلما أحدثوا ذنباً أحدثنا لهم نعمة)، وهذا هو الاستدراج دون دراية منهم بالعاقبة السوداء التى تنتظرهم، ولذلك يتعاملون بالكبر والتعالى، والغطرسة، فهم عصاميون، وما هم فيه هو ثمرة عرقهم وجهدهم ، رائدهم قارون القائل﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾ القصص/ ٧٨، ولذلك لا يسمعون كلام الناصحين، ولا يجد الوعظ طريقاً ليستقر فيه، فقلوبهم امتلأت بحب الكنوز وحياة الترف.

وأمام هذه العقبة لا يمل ولا يسأم الإنسان الصالح أن ينصح لله تعالى ويستمر فى تقديم النفع إليهم بصدق مع الله تعالى، كما فعل صالحو قوم قارون فى قوله تعالى :﴿ **إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ القصص/ ٧٦، فقالوا : لا تبطر ولا تبغى بما أنت عليه، إن الله لا يحب الذين لا يشكرونه على ما أعطاهم.

ومع النصح لهم، يتعامل مع الناس بالقدوة الصالحة لهم، وإظهار حقيقة الأمر كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال : « إنه أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » .

٥ ـ التشدد

بعض الناس يحلو له أن يأخذ بالتشدد، ويتمسك به، مع ما يقاسيه من آلام، وما يعانيه من تعب، وقد أطلق النبى ﷺ على هذا الصنف (أنهم يعذبون أنفسهم) فيما روى البخارى من حديث أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ رأى شيخاً يهادى بين ابنيه قال : (ما بال هذا؟) قالوا : نذر أن يمشى، قال : « إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى » وأمره أن يركب .

وهذا من حلاوة إسلامنا، فى أننا نتعامل مع رب غنى عن تشددنا، ولذلك فمسؤليتنا أمام هذه العقبة أن نأخذ بالناس إلى ما فيه راحتهم، فلا يمنعون طعاماً ولا يحرمون أنفسهم من شئ ما دام حلالاً، ولا يضيقون واسعاً أجازه الشرع.

وكان من فقه النبى ﷺ فى التعامل مع هذا الصنف ما رواه البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن الوصال فى الصوم، قال له رجل من المسلمين : إنك تواصل يا رسول الله؟ (أى يصل صيام اليوم باليوم الذى

يليه وهكذا) قال ﷺ : « وأيكم مثلى » « إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى » فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال، واصل بهم، يوماً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال : [لو تأخر لزدتكم] كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا » .

والعجب أنك إن تأملت فى حالة المتشددين يبدأون فى نشاط ثم ينقطعون ولا يواصلون، فسبحان من هو أعلم بمخلوقه وما صنع!! .

وهكذا كان النصح العملى دون غلظة أو فظاظة بل تأمل معى هذا المشهد يوم الطائف، فيما روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف، فلم ينل منهم شيئاً قال : « إنا قافلون (عائدون) إن شاء الله » فثقل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتحه ثم نقفل، فقال : « اغدوا على القتال » ، فغدوا فأصابهم جراح، فقال : « إنا قافلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم، فضحك النبى ﷺ .

إن أبلغ ما تتعامل به مع المتشدد، الذى يعذب نفسه أو يرى آلاماً إن فعل، ويصرُّ على رأيه مع نصحك له، ويأبى إلا التشدد، أن تتركه مع تشدده بل تأخذه بالشدة، حتى يقتنع، وكأن لسان حاله يقول : ياليتنى أخذت بالنصيحة، ولذلك ضحك النبى ﷺ ، فيا أيها المتشددون لا تجعلوا أحداً يضحك من صنعكم أبداً .!!

وقد مر بنا كيف أن المفطرين فى اليوم الشديد الحر والذين قاموا بكافة الأعمال، بينما أصر البعض على الصوم فانهارت قواهم ، فقال النبى ﷺ : (ذهب المفطرون اليوم بالأجر) وكلمة اليوم تعنى ليس على الإطلاق، بل إن الظروف قد لا تسمح مثل الحر الشديد أو التعب أو البرد أو غيرها، فمن الفقه مراعاة ذلك بالأخذ بما رخص به الإسلام. وفى صحيح البخارى عن ابن عمر أنه أذن بالصلاة فى ليلة ذات برد وريح ثم قال : ألا صلوا فى الرحال ثم قال : أن رسول الله ﷺ كان يأمر المؤذن إذا كانت ليلة ذات برد ومطر يقول : (ألا صلوا فى الرحال) « أى فى البيوت » هذا فيما كان من أمر الفريضة، فما بالك بغيرها من السنن والنوافل وفضائل الأعمال، أو المعاملات مع الناس.

وهذا هو فن التعامل مع المتشددين فى شئونهم بهذه القاعدة النبوية، عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا] رواه البخارى .

٦ـ الخوف

فى صحيح البخارى عن حذيفة رضي الله عنه قال ، قال النبى ﷺ : « اكتبوا لى

من تلفظ بالإسلام من الناس »، فكتبنا له ألف وخمسمائة رجل، فقلنا نخاف ونحن ألف وخمس مائة؟ فلقد رأيتنا حتى إن الرجل ليصلى وحده وهو خائف » .

لذلك فعلى من يتصدى للعمل فى المجتمع أن يعلم أنه ربما يواجه هذه العقبة، فليتقبلها على أنها أمر طبيعى، تصاب به فئة من الناس لظروف معينة، والخوف هو نوع من الهروب والفرار والانعزال عن الناس، ولذلك فهو أصعب من عقبة الإعراض، لأن الإعراض لعارض فى الفهم أو التصور تصاب به العقول، أما الخوف فهو لعارض شديد فى الوجدان والشعور تصاب به القلوب، والخوف وسيلة وليس هدفاً فى ذاته ولهذا يزول بزوال المخوف، وتجاوز هذه العقبة يجعل خوف الناس من المكروه خوفاً من الله، وهنا لا يهرب من الله بل يهرب إليه، ويستهين بالخوف من غيره .

وهنا يعتدل الخوف لدى الناس، فكل ما يبعده عن المعصية والحرام هو الخوف المحمود، ويتحول من سلبية ويأس وقنوط إلى إيجابية وعمل وانفتاح، والمجتمع الآمن هو الذى قد تهيأ أفراده لحياة طيبة سعيدة فى زياراتهم ولقاءاتهم وحفلاتهم واجتماعاتهم وتعارفهم، بحيث يكون أرضاً صالحة لإلقاء البذور، حيث ينتج أحلى الثمار وأجمل الأزهار وأينع البساتين. إن مشاعر الأمان حينما تنتشر فى الناس يعطونك كل ما يملكون، ويقدمون إليك ما تريد منهم فى حب ورضا وسكينة، وفى قصة ذى القرنين، الإجابة على هذا التساؤل ، كيف تواجه خوف الناس؟ وتجعله إيجابياً؟ .

* فذو القرنين ملك الدنيا بأكملها ﴿ **إنا مكنّا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سبباً** ﴾ الكهف / ٨٤ .

وفى رحلاته إلى مغرب الشمس ومطلع الشمس ثم بين السدين وجد أقواماً ومجتمعات مختلفة، ومن هذه المجتمعات، ما وجدهم بين السدين لا يفقهون قولاً لاستعجام كلامهم، ولكن الخوف من يأجوج ومأجوج قد استبد بهم قالوا: ﴿ **يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً** ﴾ الكهف / ٩٤ .

فلجأ ذو القرنين إلى الناس يطلق طاقاتهم ، ويفجر امكاناتهم، ويدعوهم إلى العمل، فأمات خوف قلوبهم ونقلهم إلى جو من البناء والحركة ، حتى تم بناء السد وزال الخوف من يأجوج ومأجوج: ﴿ **قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ، آتونى زبر الحديد حتى إذا ساوى**

بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قطراً ﴾ الكهف/ ٩٦ : ٩٥ .

وكانت هذه الخطوات العملية :

١ - طلب مساعدتهم فى قوله : (أعينونى بقوة) ساعدونى بكل ما تملكون من قوة وعمل وآلات، مع أنهم هم الذين جاءوا يطلبون مساعدته!

٢ - رفض أن يأخذ مالاً فطبعه وسجيته نفع الآخرين وصد الظلم ومقاومة الفساد .

٣ - وقف بخبرته يشرف عليهم وهم يفجرون طاقاتهم معه [آتونى زبر الحديد - انفخوا - آتونى أفرغ عليه قطراً] .

٤ - وفى جو العمل والبناء، لا مكان لخوف، وفى جو الأمان والأمن أعطوا لذى القرنين كل ما يملكون

٥ - وتم النجاح وبناء السد وصد الفساد ﴿ **فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً** ﴾ الكهف/ ٩٧ .

٦ - ولا ينسى صاحب الرسالة أن يجعل أفراد المجتمع لا يلتفون عند النجاح حول شخصه بل يربطهم بالموفِّق والمعين، بالله رب العالمين، وهذا هو الضامن الوحيد لاستمرارهم، فالأشخاص زائلون ورب الأشخاص حى لا يموت ولا يزول ﴿ **قال هذا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى** ﴾ الكهف/ ٩٨ .

فنشر الأمان بين الناس، وإزالة الخوف من قلوبهم، وتقديم الخدمات لهم، ومساعدتهم فى مشكلاتهم، وتفجير الطاقات، والدعوة إلى العمل، ليس شئ من ذلك إختراع وابداع ومهارة أهل الحركة فى المجتمع، وإنما هو توفيق من الله أولاً وإعانة من الله ثانياً وسداد ونجاح من الله ثالثاً، وما كل ذلك إلا رحمة من الله بالناس، تحتاج فقط إلى مهارات مكتسبة وخبرات متراكمة وصفات تنمى، وهذا من أهداف كتابنا والله المستعان .

ثانياً: عقبات من الإنسان

١ - قصور فى الفهم :

قصور فى فهم الإسلام ، فيظن أنه دين تعبدى فردى وزهد وعبادة وفقط، وليس له علاقة بالناس والمجتمع، أو بالمعاملات والأنظمة التى تحكم المجتمع، والاسلام دين شامل لكل مظاهر الحياة فى علاقات الإنسان بالدوائر الثلاث مع



ربه ومع الناس ومع المجتمع، فهو عقيدة وعبادة، ودين ودولة، سواء بسواء.

والإسلام جاء ليربى الإنسان فى كل جوانبه الثلاثة: الفكرية والروحية والحركية أو قل الثقافية العلمية والوجدانية القلبية والاجتماعية العملية ومن ثم فالإنسان الصالح شخصية عابدة واعية متحركة، ومن قصور الفهم ألا تكتمل هذه النواحى، فيحدث نتوء فى جانب عن جانب وبالتالى تتشكل الحركة فى المجتمع بشكل هذا الجانب فيتحرك حركة علمية فقط، أو روحية فقط أو اجتماعيةوحسب، والعبادة أن تمتزج هذه الجوانب فهى اسم شامل لكل حركة أو عمل أو فعل يفعله الإنسان.

* **قصور فى فهم الممارسة والتطبيق** فيظن أن الحركة مقصورة فقط على أعضاء جماعته أو حزبه أو مؤسسته، وهذه صورة من صور الإنغلاق عن المجتمع بدوائره المختلفة أو يظن أن علاقاته بأفراد المجتمع من أجل أن يضمهم فقط إلى جماعته أو حزبه أو مؤسسته، وهذا يتنافى تماماً مع العلاقة الطبيعية لأناس يعيشون فى مجتمع مسلم يؤمن بالتعددية والحرية والحقوق المكفولة لكل أفراده وفق سماحة الاسلام ورحابة تطبيقاته فى الواقع.

* **قصور فى فهم التعامل مع الدوائر المختلفة** من أسرته وأقاربه وزملاء عمله وقاطنى مدينته أو قريته أو شارعه وجيرانه وأصدقائه ورفقائه فى الحياة اليومية فيهتم بجانب ويرفض التعامل مع الدوائر الأخرى كأن يكتفى بأسرته ويقطع صلاته بغيرها أو زملاء عمله أو أصدقائه أو جيرانه بحجة وزعم أن الدوائر الأخرى تعطله عن اهتماماته.

* **قصور فى فهم الدعوة إلى الله** التى هى رسالة الأنبياء ومهمة الرسل، فيظن أن للدعوة أشكالاً محددة مثل الخطبة والدرس والعمل الخيرى والحج والعمرة، فإذا ابتعد عن هذه الأشكال فهو فى حل، تراه فيها داعية وإماماً وفى غيرها إنساناً آخر بأخلاق أخرى فقد يسب ويشتم فى البيت، أو عاق لوالديه، أو ظالم لجيرانه، وفى غيرها هو شكل آخر، كالذى هو مصاب بالانفصام النفسى، وعليه أن يعلم أن الدعوة إلى الله حددها النبى  لعلى ابن أبى طالب: «لئن يهدى الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم».

كلمة الفرد هنا نكرة قد يكون هو الابن أو الزوجة أو الأم أو العم أو أحد الأقارب أو زميل فى العمل أو الجار أو الصديق أو رفيق اللحظة، وبذلك يمكننا أن نقول: إن الدعوة إلى الله ليست فى ساعة أو ساعتين من اليوم وإنما بهذا المفهوم هى ٢٤ ساعة فى اليوم..!! فما يمنعك أن تكون داعية فى بيتك أو مع

أقاربك أو الجار أو الشارع أو فى العمل؟ .

* **قصور فى فهم الحياة**، وأن فيها الغنى والفقير، والكبير والصغير والصالح والطالح والطامح والقانع، والجاد واللاهى، وهكذا من كافة المتناقضات ولكى يتعامل معهم لابد أن يكتسب من الخبرات الكثير، حتى يصل إلى أغوار أنفسهم، ويفتح مغاليق قلوبهم. والقاعدة فى ذلك: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» وليس على قدر عقولنا، وهذا يحتاج إلى إرادة مستمرة، ونفس طويل، وعدم تعجل للثمار، والانتظار والترقب حتى النضج الذى هو الإستواء فى الأفراد أو المشكلات أو الأسباب أو الأعمال.

* **قصور فى فهم الحب والعاطفة**، فيحدد علاقاته بالمجتمع وشرائحه ودوائره، وفق عاطفته، من يحبهم ومن يكرههم، والأحرى به أن يفهم أن الحب هنا لكى يستمر ويستقر لابد أن يكون فى الله بمعنى أن يوافق الشرع ولا يبتغى به إلا وجه الله، حيث تختفى المصالح، والمجاملات والضمائر المستترة، والأهداف الخفية، بزعم الحب، وكل ذلك حب كاذب منهار لأنه لم يقل لحظة ! ربى الله.

* **قصور فى فهم التعامل مع شرائح المجتمع**، فيظن أن دائرة عمله وحركته هى فى أبناء مهنته فقط، أو حرفته فقط، أو شريحة عمره فقط، أو الرجال دون النساء أو العكس، أو الطلاب دون الفلاحين والعمال، وبذلك تنقطع أواصر المجتمع، فهو ينتقى من أقاربه أو زملائه أو أصدقائه أو جيرانه، ويقطع الصلة بغيرهم، وإنما حركته لكل أفراد المجتمع، وإن اختلفت شرائحهم وأعمارهم ومهنهم.

* **قصور فى فهم التعامل مع غير المسلم**، فلا يتعامل معه ولا يؤاكله بل يقاطعه ويناصبه العداء، وهذا أمر غريب أن نسمع عنه وعجيب أن ترى البعض لا يفهمه، بعدما حدد الاسلام لغير المسلم من الحقوق المساوية تماماً للمسلم [لهم مالنا وعليهم ما علينا] ليس فى التعامل والمعاملات والعلاقات بل فى الزواج والوزارة والعلم والإدارة حسبما شهدت به العهود الاسلامية وجاء به الاسلام.

* **قصور فى فهم التعامل مع المرأة**، الذى حدده الاسلام فى أرقى علاقة لم تصل إليها المدنية حتى اليوم، من تكريمها وصيانتها وأنها شقيقة للرجل فى العبادة والعمل والتكسب والذمة المالية، والرجل قائم على راحتها وحاجتها زوجة وأماً وبنتاً وأختاً ومن أجل الزيادة فى المحافظة عليها كالجوهرة الرقيقة

دعـاها إلى الاحـتـشـام بمواصـفـات دون أن يحـدد زيّاً مـعـيناً، ودعـاها إلى أدب المخالطة بشـروط تصـون كـرامتـهـا وتحـفـظ شـرفـهـا، فكانـت بحق جـوهـرة مـصـونـة وليـست سلعـة تبـاع وتشـترى، باسـم حـرية المرأة، وكل ما دعـا إلى غيـر ذلك فـهـو من أعـداء المرأة يريـد الفتك بهـا وتدميـر ما تبـقى لهـا . فالأحـرى إذاً بمن يحـمل الفـهـم الصـحـيح ألا يحـبـسـهـا فـى البـيت أو يطـلـق لهـا العـنان، وإنما كـمـا جـاء الاسـلام وفـق هـذه الصـورة الـوضيـئـة ، وإلا فـقـد أوصـد بـاب نـصـف المجـتـمـع عن التعامل معه ولك أن تتخيل معى دور نصف المجتمع فى وقت الشدائد فيما رواه البـخارى عن أنس فى يوم أحد قال : ولقـد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليـم وإنهـمـا لمشـمـرتان أرى خدم سوقهـمـا تنفران القِرَبْ على مـتـونهـمـا تفـرغـانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم .

* **ومن قصـور الفـهـم أن يتأثـر بما يبثـه المقصـرون** ، وأبواق خـصـوم سـلامـة المجتـمـع، من إثارة النعرات، والدعـوة إلى الفرقـة، بين أبناء المجتـمـع الواحـد، برفـع شـعـارات ومـصـطلحـات من شـأنهـا أن يُخَوِّن بعـضـهـا بعـضـهـا، أو يُكَفِّـر بعـضـهـا الآخـر، أو يـتـهـم أحـدهـا الثـانى، وليـعلـم الجـمـيـع أن الاسـلام يدعـو إلى الوطنيـة الصـادقة والحب القـوى للبلد، والحنين الدائم لتراب البلد، والتضحية المتواصلة من أجل نـهـضـتـه وإعـلاء شـأنه، وليـست وطنيـة التـنازع والشـعـارات والرايات والفرقة والاختلاف ولو علم جميع أبناء المجتمع هـذا الأمر لا تحدوا جـمـيـعاً على هـدف واحـد، هـذا مـا فـعله النبى ﷺ مع الأوس والخزرج حينمـا قدم المدينة ثم مع المهاجرين والأنصار حينما استقر فى المدينة، ثم بين العرب المسلمين والعجم المسلمـين حـينمـا كـانت الفـتـوحـات الإسـلامـيـة فى العـهـود التى تلت وفـاة النبى ﷺ ثم بين المسلمين وغيـر المسلمـين مـا داموا أبناء وطن واحـد، وغيـرها وهى مشهورة فى التاريخ الاسلامى . وحينما ظهر النفاق والمنافقون، كان القرآن يتنزل بمخاطبة المجتمع الايمانى، شاهداً للجميع بالايمان ، والنبى ﷺ مع علمه بأسـماء المنافقين جعل ذلك سراً، فالنفاق عـارض وليس ثابت لا يـتغيـر، وتأمل مـعنى هـذه الحـادثـــة التى رواها البـخـارى من حـديث أنس رضى الله عنه قـال للنبى ﷺ : لو أتيت عبـد الله بن أبى (زعيـم المنافقـين بالمدينة)، فـانطـلق إليـه النبى ﷺ وركـب حـمـاراً، فـانطلق المسلمـون يمـشـون معـه، وهى أرض سـبـخـة، فلما أتـاه النبى ﷺ فقال : (إليك عنى والله لقد آذانى نتن حـمارك) فقال رجل من الأنصار منهـم :

[والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك) .

فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه ، فشتما، فغضبا لكل واحد منهما أصحابه وكان بينهما ضرب بالجريد والأيدى والنعال، فبلغنا أنها أنزلت ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾ .

فبعد هذه الحادثة العجيبة المشحونة بجو من الغضب والتعارك والتصارع والشتم، ينزل القرآن شاهداً للمتعاركين بالايمان، وداعياً النبى ﷺ للإصلاح بين أفراد المجتمع الإيمانى، وهكذا لا ينفع أبناء الوطن الواحد إلا أن يستقر فى فهم الانسان الذى يتحرك فى المجتمع مفهوم الدعوة إلى الإصلاح ، كلما رفعت رايات أو اختلفت شعارات داعية إلى التصارع، فسبيل الصالحين مع الناس إصلاح لا تصارع، وئام لا تضاد، حب لا كراهية، فما فائدة التراشق إلا تقطيع الأواصر وتمزيق الصلات !! .

* **ومن قصور الفهم أن لا تمتد علاقة الإنسان الصالح إلى وجهاء القوم وسادة المجتمع وإن ناصبوه العداء**، بزعم أن مواقفهم قاصرة على مصالحهم الشخصية، وليس فى أذهانهم مصلحة الناس والمجتمع، ولما اتفقنا أننا لسنا بصدد دعوتهم إلى الاسلام لأنهم مسلمون فى مجتمع مسلم، ولسنا بصدد ضمهم إلى حزب أو جماعة أو مؤسسة، فالحرية مكفولة والممارسة بالاختيار، وإنما نحن بصدد حركة فى المجتمع لجميع شرائحه ومع التعامل فى المواقف المختلفة، لتكوين علاقات حميمة مع الجميع، تسمح بانتشار الصلاح والحب والأمان والسلام والوئام بطريقة طبيعية سمحة، تسمح للمجتمع بأن يغير من نفسه، من أجل الحياة الطيبة ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ وتحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ **ولو آمن أهل القرى واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾ ومن ثمار هذه العلاقات أن يعاونك ويساعدك هؤلاء فى أداء مهمتك بالمجتمع، حين تجمعت القرائن على اتفاق بيعة العقبة الثانية مع الأنصار خرجت قريش تطلبهم فقاتلوهم ولم يدركوا عير سعد بن عبادة فعادوا به مغلولة يداه إلى عنقه، وأخذوا يجذبونه من شعره ويلكزونه، فأنقذه منهم جبير بن مطعم والحارث بن حرب، إذا كان سعد يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة .

٢ - اتخاذ مواقف سلبية

نتيجة لرؤية معينة قد يتخذ البعض وجهات نظر يتبناها ويقتنع بها، سرعان ما تتحول إلى مواقف مع الناس، أى إلى سلوك عملى، قد يكون من هذه المواقف الايجابى المطلوب العمل به، وقد يكون السلبى الذى يجب أن يغير

ويتحول إلى واقع إيجابى يعود بالمصلحة على الجميع ويدفع أضراراً قد تحيق بالبعض، ووفق هذا المفهوم يتضح لنا معنى العنوان، فالبعض يتخذ مواقف سلبية مع المجتمع، لا تحقق ما نصبوا إليه من الحياة الطيبة فى كل الجوانب، ولذلك فهى عوائق من الإنسان الذى يريد أن يتحرك فى المجتمع، عليه أولاً أن يتخلص من الأفكار والقناعات الخاطئة التى جعلته يسلك هذه المواقف السلبية، ولا طريق ولا طريق للتغيير إلا طريق مناهضة الفكرة للفكرة والرأى مع الرأى والقناعة بالقناعة، وغير ذلك من التنكيل أو الاحتواء أو التصفية أو التغريب أو النفى أو الإكراه، كلها طرق تصادمية قد تجعل البعض يثبت على فكرته الخاطئة وينشط فى مواقفه السلبية، وكلها لا تنفع الصالح العام، ولا تؤدى إلى مجتمع الأمان المنشود. **ومن بعض هذه المواقف السلبية.**

أ ـ الاستعلاء والازدراء

بالاستعلاء على الناس، وتحقيرهم والازدراء بأفعالهم، وتسفيه أفكارهم، يستطيع الإنسان بحق أن يغلق كل الأبواب التى يستطيع أن يدخل بها إلى عقولهم وقلوبهم، ويصبح فى زمرة المكروهين الذين تتجنبهم وتهرب منهم، فكلامهم يثير الاشمئزاز، وأفكارهم تثير العناد، وأفعالهم تدعو إلى الغثيان، إن رأيتهم من بعيد كأن الموت مقبل عليك، وإن سمعت عن بعض أفعالهم كأن حية لدغتك، مع أنهم قد يكونوا من أصحاب العلم والخبرات أو الجاه والشرف، ومع ذلك لم تشفع لهم هذه الميزات أن يكونوا فى قائمة المكروهين لسبب واحد لاستعلائهم بميزاتهم وازدرائهم الناس بوجاهتهم، فتجنبهم رحمة والبعد عنهم غنيمة، ولذلك فهم مكروهون!! .

بالله عليك هل بهذه الصورة يستطيعون أن ينفذوا إلى قلوب الناس، ويكونون علاقات سوية بأفراد المجتمع، ويؤدون مهمة الإنسان الصالح بالناس؟!!.

قد يخدع البعض بميزاتهم، ولكن سرعان بعد وقت قصير يكتشفون الحقيقة، ولذلك فلا صاحب لهم دائم، ولا صديق مستمر، ودائماً فى تعاكس مع كل دوائر المجتمع بدءاً من بيوتهم حتى إلى رفقاء الساعة فى سفر أو مواصلة أو غير ذلك من اللحظات العابرة فى الحياة.

ولهذا الموقف السلبى عدة مظاهر نذكر بعضها بنية التجنب والاصلاح، أو الوقاية والصلاح:

* **الموقف الأول : يحكى بعضهم تاريخه وكأنه أُسطورة لم يصل أحد**

إليها، وكأنه يقول لك: فأين أنت تاريخك المهمل الذى لا قيمة له؟!!.

والنبى ﷺ وهو أكمل البشر، فيما رواه البخارى من حديث جابر، قالوا سائلين النبى ﷺ متعجبين: أكنت ترعى الغنم؟ قال: وهل من نبى إلا وقد رعاها؟.

افتخار من النبى ﷺ بماضيه، وتعظيم لهذه البداية النبوية وهذا الشرف الممتد.

* **الموقف الثانى: فإذا أغضبه أحد أو أغضب من بدائرته فإنه لا ينظر باحتقار أو يُقلل من شأن من أغضبه وكأنه يقول: أتعلم من أغضبت؟ أو ابنة أو ابن مَنْ أغضبت؟** بل يتناسى ذلك لأن همه الإصلاح، فيمسح فى رقة ويلمس فى نعومة، فيما روى البخارى من حديث سهل بن سعد قال: جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد علياً فى البيت فقال: أين ابن عمّك؟ قالت: كان بينى وبينه شئ فغاضبنى، فخرج فلم يَقِل عندى (نوم القيلولة) فقال ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء رسول الله وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسح عنه ويقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب.

سبحان الله، هو الذى أغضبها، هو الذى ترك البيت وخرج، ثم يبحث عنه النبى، ثم يذهب إليه بنفسه، ويمسح عنه التراب، ويهش فى وجهه مازحاً معه! ماذا لو غضب بعضنا؟ لشتمه وصاح فى وجهه وازدرى نومته على التراب، واحتقر شأنه فتبدأ المشكلات والمصاعب!!.

* **الموقف الثالث**: الذين يستعلون على الناس دائمو الذم لهم وكشف عيوبهم والتنديد بأفعالهم فى تهكم وسخرية، ولو علموا أن جوانب الخير موجودة كما أن النقص والعيب موجود ما فعلوا ذلك، فلماذا لا يمدحونهم على أقل شئ؟ ولا يدعون لهم بالهداية إن أخطئوا أو أذنبوا؟ والنبى ﷺ كان الرائد فى ذلك، روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها».

وروى البخارى عن أبى هريرة قال: قدم طفيل بن عمرو الدوسى وأصحابه على النبى ﷺ فقالوا: يا رسول الله إن دوساً عصت وأبت فادع الله عليها فقيل: هلكت دوسٌ، قال ﷺ: «اللهم اهد دوساً وأت بهم».

* **الموقف الرابع**: لا ينقص من قدر الإنسان أن يدخل السرور على الناس، ويشاركهم فى أنشطتهم، وخاصة أسرته، تقول عائشة: كان يوم عيد يلعب

السودان بالدرق والحراب، سألت النبى ﷺ قال تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامنى وراءه، خدى على خده، وهو يقول: دونكم يا بنى أرفده، حتى إذا مللت، قال: حسبك، قلت: نعم، قال: فاذهبى.

* **الموقف الخامس**: والانسان الصالح لا يسمح باحتقار أحد أمامه حتى ولو كان ميتاً، وبذلك يرتفع شأنه عند الناس، روى البخارى من حديث أبى هريرة أن أسود - رجلاً أو امرأة - كان يقيم بالمسجد فمات، ولم يعلم النبى ﷺ بموته، فذكره ذات يوم، فقال: ما فعل ذلك الإنسان؟ قالوا: مات يا رسول الله قال: أفلا آذنتمونى؟ فقالوا: كذا وكذا وكذا قصته قالوا: فحقروا شأنه قال: فدلونى على قبره، فأتى قبره فصلى عليه.

* **الموقف السادس**: والإنسان الصالح يحترم النفس البشرية بغض النظر عن فكرها أو دينها أو مواقفها حتى ولو كانت فى جنازة تمر بين يديه، فالاستعلاء لا يعرف طريقاً إليه، وروى البخارى من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: مرت بنا جنازة فقام لها النبى ﷺ وقمنا به، فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودى فقال: «إذا رأيتم الجنازة فقوموا».

وفى رواية عندما سئل: إنها جنازة يهودى فقال: أليست نفساً؟.

* **الموقف السابع**: والإنسان الصالح لا يجرح مشاعر الآخرين أمام الملأ، مهما كانت أعمارهم، روى البخارى من حديث أنس رضي الله عنه قال: دعا النبى ﷺ الأنصار، فقال: هل فيكم أحد من غيركم؟ قال: لا إلا ابن أخت لنا، فقال رسول الله ﷺ: «ابن أخت القوم منهم».

وذلك حتى لا يجرح مشاعر الحاضر إذا أخرجه أو طرده، ولا يوغر صدور أقاربه إن جعله ينتظر بالخارج، بأسلوب راقٍ وعالٍ.

* **الموقف الثامن**: والإنسان الصالح يقدر الناس، ويمجد أفعالهم الجميلة، ويشيد بأعمالهم التى هدفهم منها الصالح العالم، روى البخارى من حديث عبد الله بن أبى أوفى قال: كان النبى ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهم صلِّ على آل فلان» فأتاه أبى بصدقته، فقال: «اللهم صلِّ على آل أبى أوفى».

* **الموقف التاسع**: والإنسان الصالح دائماً تستقبله الوجوه بالبشر، حينما ينزل إلى مستوى صغارهم ويداعب أبناءهم، ولا ينس لهم مواقفهم فى اللهو واللعب، روى البخارى من حديث أنس كان النبى ﷺ أحسن الناس خلقاً وكان لى أخ يقال له: أبو عمير، فطيم [أى مفطوم بمعنى فصل رضاعه] قال: كان إذا جاء قال ﷺ: يا أبا عمير ما فعل النُّغير؟.



قال : [نُغير كان يلعب به وهو تصغير نغر والنغر طائر أحمر المنقار ويجمع على نغران] .

* **الموقف العاشر** : والإنسان الصالح لا يتباهى بسيارته التى رزقه الله إياها، بل يجعلها خدمة للناس، وخاصة من يلاقيه فى الطريق متعباً أو ضعيفاً، روى البخارى شأن أسماء بنت أبى بكر حينما أراد النبى أن يردف أسماء فرفضت وجاءت إلى الزبير زوجها تقول: لقينى رسول الله ﷺ وعلى رأسى النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحيت منه، وعرفت غيرتك، فقال : < والله لحملك النوى كان أشد علىّ من ركوبك معه >. وتقبل النبى ﷺ رفض أسماء رغم حاجتها للركوب، دون معرفة السبب الذى فيه معرفة الزوجة بطبائع زوجها والعمل على راحته وعدم إغضابه حتى ولو كان من خير خلق الله ﷺ !!.

ب ـ تكفير الناس :

* أخرج البخارى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت ردف النبى ﷺ على حمار يقال له (عُفير) فقال : يا معاذ هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟ قلت : الله ورسوله أعلم، قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله، ألا يعذب من لا يشرك به » فقلت : يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال : لا تبشرهم فيتكلوا، وفى رواية : فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً [مخافة أن يقع فى الإثم] .

بهذا الوضوح وبهذه الصراحة بعيداً عن التعقيد ولغة الطلاسم، اختصر النبى ﷺ حال الناس مع ربهم، وجزاؤهم من ربهم.

* بل عندما سئل ﷺ فى حديث عبد الله بن عمرو من أن رجلاً سأله : أى الإسلام خير؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »، وفى حديث أبى موسى رضى الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله أى الإسلام أفضل؟ .

قال : « من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

هذا أفضل الإسلام وخير الاسلام، فى علاقتك الرائعة مع المجتمع والناس، فى نشر السلام والأمان والسلامة والسماحة والكلمة الطيبة والمعاملة الكريمة.

* ومن ثم نهى النبى ﷺ ، أن يقول أحد المسلمين لآخر : يا كافر، فقال ﷺ : « أيما رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بهما أحدهما » رواه البخارى، تغليظاً للأمر وألا تكون كلمة تلوكها الألسنة وتستهين بها الناس،

وفى حجة الوداع وكأنها وصية مودع، يحدثنا جرير أن النبى ﷺ قال له فى حجة الوداع: استنصت الناس (أى اجعل الناس ينصتون) ثم قال: « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» رواه البخارى.

فحذر النبى من الفرقة قاتلها الله فهى مدخل الشيطان فى الكراهية وحركة الأحقاد ورمى الناس بعضهم بعضاً بالخيانة والكفر خاصة أبناد المجتمع الواحد.

* ثم بعد أن اكتمل الدين وتمت نعمة الله يأتى قوم يرمون الناس بالكفر، ثم يتعاملون معهم على أنهم كافرون، بل يطلبون دفنهم فى مقابر غير المسلمين، والعجب أن الأمر ازداد بلاهة فى عقول قوم، فرمى بالكفر أباه وأمه وأشقاءه، بل زوجته، وطالب بالتفريق بين الزوجة وزوجها بزعم أن زوجها كفر، لأنه لم يوافق على تكفير فلان أو علان، وبات الأمر يدخل فى دوائر عجيبة، لسنا بصدد الحديث عنها ، ولكننا بصدد الحديث عن عقبة من الإنسان تقف حائلاً بينه وبين الناس، فعلام إذاً يتحرك أصلاً لأناس كافرين؟!! .

وللتخلص من هذه العقبة الكئود، على الإنسان الصالح أن يتسلح بما استنبطه العلماء فى هذه المسألة، ولذلك جاء الأصل العشرين من الأصول العشرين التى وضعها الامام حسن البنا ليقرر هذه الحقيقة ، ننصح بالعمل به كما ننصح بقراءة كتاب (دعاة لا قضاة) للأستاذ حسن الهضيبى.

ج ـ العجلة والتسرع

الأطفال الذين لا يدركون نتائج الأشياء، وليست لهم خبرات تسمح لهم بمعرفة طبيعة الأشياء، تراهم دائماً يقطفون الثمار قبل نضجها، فقد يفرحون بالجديد غير المألوف، أو يكتشفون مراحل التطور، أو نوع من اللهو يسعدون به ضمائرهم البريئة، ولكن لأى شئ يقطف الكبار الثمار قبل نضجها مع علمه بذلك كالذى ينازع الله فى أقداره، وتأمل كيف حرم الله أصحاب الجنة من ثمار بستانهم بالحريق ليلاً حينما تسرعوا وتعجلوا فى جمع الثمار ليلاً لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ، ليتوفر ثمرها عليهم فى الصباح ، مع أن الثمار كانت ناضجة، ولكن بعد النضج أيضاً ميعاد يحدده الله تعالى وهو الاستواء يقول تعالى: ﴿**إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم**﴾ ن/ ٢٠، ومع أنهم أخذوا بخطة محكمة رواها القرآن الكريم:

١ ـ فتنادوا مصبحين [التبكير] .

٢ ـ ان اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين [رفع الروح المعنوية] .

٣ - فانطلقوا وهم يتخافتون [يتناجون حتى لا يسمعهم أحد] .
٤ - وغدوا على حرد [بقوة وشدة وجد] .

وانقلبت الخطة إلى هدف فلم يقولوا: إن شاء الله لثقتهم العالية فكان ما رأوا من ضياع ثمارهم، وأموالهم، ثم كان العلاج فى اعترافهم بالخطأ، وعودتهم إلى الحق، ﴿ **قالوا ياويلنا إنا طاغين ، عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون** ﴾ ن / ٣٢، فالإنسان الصالح عليه السعى والأخذ بالأسباب ويرضى بالأقدار حلوها ومرها، ولا يتعجل أمره بزعم أن له خطة محكمة وبرنامج محدد، ومراحل معلومة، فيقنعه ذلك بثقة فى خطته تحل محل الثقة فى الله، فإن أتاه اختبار من الله، يكون أول من يهوى، ويسقط فى الامتحان، وما عليه إلا أن يحكم الخطة ويعلم أنها سبب ثم يتوكل على الله راضياً بقضائه، وإلا بالتعجل يحرم بركات وخيرات ونتائج ما كان يحلم بها .

* وتتعدد أسباب العجلة لدى الإنسان فمنها المذموم ومنها المحمود، ولكنها فى نهاية الأمر منازعة للأقدار، ونظرة قريبة، ورؤية سطحية، ولذلك كان النبى ﷺ يبث عناصر الثقة فى قلوب رجاله، ويفيض عليهم ما أفاضه الله على فؤاده من أمل رحيب فى انتصار الاسلام ، لما اشتدت ضراوة وعداوة قريش بالمسلمين ذهب خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ يستنجد به قال خباب: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بُردة فى ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟! فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون »

* وفى وسط أقدار الله التى تحاصر الإنسان فى مجتمعه، من الابتلاءات والمحن والأذى، يتسلح بالحق الذى عرفه واليقين الذى فى قلبه والثواب الذى ينتظره، فإذا به يحتسب ذلك عند ربه، وكلما ازدادت المحن ازداد ثباتاً على الحقيقة التى يتحرك بها فى المجتمع، لقد كان المجتمع القرشى يستهزئ بأصحاب النبى ﷺ ويتغامزون به ويقولون قد جاءكم ملوك الأرض الذين سيغلبون غداً ملوك كسرى وقيصر، ثم يصفرون ويصفقون) . . . لقد كانوا يصفقون استهزاء، ماذا حينما تحقق ذلك أيصفقون إعجاباً؟!!! فيما أخرج الترمذى فى الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله: كان رسول الله يعرض نفسه بالموقف ويقول:

[ألا رجل يحملنى إلى قومه! فإن قريشاً منعونى أن أبلغ كلام ربى] .. فيا متعجلون انظروا اليوم إلى مليار مسلم أو يزيد فى حاجة إليكم فلا تستعجلون!!

د ـ الانغلاق والتقوقع:

الانعزال عن الناس والانغلاق عنهم، والتوقع، كل ذلك من المعوقات التى تجعل الإنسان لا يخالط المجتمع، فما بالك بالحركة فيه أو التعامل مع الناس!! وقديماً وقف العلماء حول العزلة وفوائدها والمخالطة وفوائدها واختلفت الآراء باختلاف الأحوال والأشخاص، فمن فوائد العزلة التى حصرها العلماء: الفراغ للعبادة والتخلص من بعض المعاصى التى تنشأ من المخالطة كالغيبة ومشاهدة المنكرات والرياء وتأثر الطبباع بالطباع ثم الخلاص من الفتن والخلاص من شر الناس وآذاهم ،ومع تقديرنا لهذا الرأى إلا أننا أصبحنا اليوم فى عصر دخلت فيه المعلومات إلى مخادعنا، وأصبحنا بالاتصال قرية صغيرة عبر الوسائل الحديثة من الدش والانترنت ولذلك :

١ـ وجب على الانسان المخالطة بالمجتمع والصبر على أذى الناس، وإلا سيحرم نفسه من فوائد كثيرة، منها المعرفة والإحاطة بما يدور فى العالم والعلم سواء تعلماً أو تعليماً فى كافة التخصصات.

٢ ـ نفع الغير والانتفاع أيضاً بالمعاملة والكسب وبذل المال وقضاء الحوائج.

٣ ـ تربية النفس فلا مجال لتهذيبها إلا بالمجاهدة وتحمل الأذى وقهر الشهوة ومعالجة عيوبها.



٤ ـ الأنس بالناس استئناساً بهم أو إيناساً لهم، وتكوين صلات تقوى المجتمع.

٥ ـ أداء حقوق المسلمين من اتباع الجنائز وعيادة المرضى وإجابة الدعوات وما فيها من مشاركة وسرور وثواب

٦ ـ الابتعاد عن عقبة الاستعلاء على الناس أو تحقيرهم أو ازدرائهم حينما يكون بعيداً عنهم.

٧ ـ أداء أعظم مهمة وأجل رسالة فى الحياة من الأمر بالمعروف والنهى على المنكر وتغيير المجتمع بالإيمان والتقوى.

وقد يقول قائل إن بعض العلماء فضلوا العزلة ودعوا إليها، والبعض الآخر فضل المخالطة والانخراط فى الناس، وأرى أن ذلك يرتبط بثلاثة أمور: حال الشخص وحال الناس وهدف المخالطة، ويحسب الفوائد أو المساوئ، وبالتأكيد

سيجد حاجة مجتمعنا إلى المخالطة والحركة فيه لأن ذلك أصبح من ضروريات العصر، وحتميات الزمان وواجبات الوقت، ويؤكد ذلك الحديث الحسن فيما أخرجه الإمام أحمد والبخارى فى الأدب المفرد، عن ابن عمر قول النبى ﷺ «المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم» .

٣ ـ صفات مذمومة

فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم النبى ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول: اللهم إنى أعوذ بك من :

«الهم والحزن

والعجز والكسل

والبخل والجبن

وغلبة الديْن وقهر الرجال» .

لم يكن تعوذ النبى ﷺ، بل ،كثرة تعوذه، من هذه الصفات،إلا لأنها مدمرة لحركة الإنسان مع الناس، وهى مذمومة إن رضى بها الإنسان، ولم يعالجها فى داخله، إنها بمثابة شلل داخلى نفسى يقعده عن الحركة، وإن بدا أمام الناس فى صحة وعافية، والعجيب أنها علل وأمراض لا يستطيع علاجها إلا الإنسان نفسه، لأنه هو الذى يكتشفها ويعلم حدودها، ومدى تفشيها فى عقله وقلبه وروحه، ثم إن خطورتها تكمن فى استفحالها حال الرضا بها، وتزداد فى قوتها عند إهمالها، وهنالك تتحول إلى داء عضال، ولكن من رحمة الله بنا أن جعل علاجها أمراً ميسوراً، بالاستعانة به ومساعدته، وربما يكون من الأوفق الوقاية منها أصلاً تأسياً برسول الله ﷺ الذى كان يتعوذ أصلاً من هذه الصفات، فلا تقترب منه ولا يقترب منها، ولن تتحقق الوقاية إلا إذا انضم إلى الاستعاذة بالله الأخذ بكل الوسائل التى تبعد الإنسان عن الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وغلبة الدين وقهر الرجال، وهذا ما سنلقى عليه الضوء بإذنه تعالى بوسائل علمية تجعل الإنسان يتحرك فى مجتمعه بعيداً عن معوقات مرضية مذمومة تبعده عن هدفه، وتحول بينه وبين الناس، وهى أقرب إليه إن فقه التعامل معها، والوقاية منها، أو الأخذ بعلاجها.

أ ـ الهم والحزن

من سنن الله فى صفوة خلقه أن يعرضهم إلى موقف (الأذى من الناس) لاختبارهم وصقلهم ليخلصهم إليه تعالى، وما إن تتحقق هذه السنة إلا ويقابل

البعض إعراض الناس عنه بإعراضه عن ربه، وتوجههم بالأذى إليهم بالانشغال بهم، مما يسبب لهم ألماً فاجعاً ، ووجعاً متواصلاً ، فيلفهم الهم، ويحاصرهم الحزن .

ولذلك فنحن نسلط الضوء على (الهم والحزن) فقط من هذه الزاوية التى تقابل الإنسان المتحرك فى المجتمع مع الناس، وسر الهم والحزن من هذه الناحية فقط التى هى موضوع بحثنا، وقد تكون هناك أسباب أخرى من أسباب أخرى يمكنك فيها الرجوع إلى كتابنا [فقه السالكين] .

* وحال الإنسان الذى يصاب بالهم والحزن من ناحية الناس، إذا به مأسوف على حاله، مكلوم من أمره كله، يئن ويشكو، ويبث ألمه فى الآفاق، التى ضاقت فى عينه، وربما يصل الألم إلى الحلقوم، فتراه مخنوقاً من غير خانق، بل خانق على نفسه لإدبار الناس عنه بعد إقبال، وإعراضهم بعد التفاف، وايذائهم بعد إجلال .

* وعلاج هذه الأعراض سهل ويسير وفى الإنسان ومعه، ومع ذلك هو بمنأى عنه ولا يستعمله وهو بين يديه، ألا وهو الرجوع إلى علم الله فيك، واطلاعه عليك إذ لا يخفى عليه شئ من أمرك، فهو يعلم نيتك فى نفع الناس، وحبهم وخدمتهم، فإن كفاك ذلك وقنعت به، وآنست بربك، استوى عندك أمر الناس، فى إدبارهم وإقبالهم، بل ربما فى مرحلة متقدمة جداً آثرت إدبارهم، إذ فيه تفريغ لتقديم المزيد من العمل فى المجتمع، والمهم تفريغ قلبك مع ربك، وأن تتحرك لخدمتهم والنهضة بهم .

فلماذا إذاً يقع البعض فريسة للهم والحزن، فيتركون العلاج وهو كامن فيهم ، فالأحرى أن يثبتوا على حركتهم ويعلموا أن الأذى من الناس أمر طبيعى، وسنة ماضية وجارية فى حياة الأنبياء فعلام يتألمون أو يتوجعون أو يشكون أو يتوقفون؟!!  **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ الحجر ٩٧ : ٩٩ .

* ولا ينفع فى العلاج إلا الصدق مع الله، فما فائدة أن يصدقك الناس ولا يصدقك الله؟ وكما قال أهل السلوك : [رب علة بينك وبين الله من حيث أمرك خير من علة بينك وبين الناس من حيث نهاك، ورب علة تردك إلى الله خير من علة تقطعك عن الله] .

ولذلك فهذا الصدق يلقى فى كيانك بأخلاق ربانية حينما تعلن : وكفى بالله هادياً ونصيراً ووليا

هادياً: يهديك ويهدى بك ويهدى إليك
نصيراً: ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك
ولياً: يواليك ويوالى بك ولا يوالى عليك

فهل بعد هذا التعامل وهذه الأخلاق، وهذا العلاج من ظهور أعراض أخرى تدعو إلى مس ألم أو وجع أو شكوى من هم أو حزن؟!! ﴿ **والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً** ﴾ النساء / ٤٥ .

*** ومن ثمار هذا العلاج:**

الأولى: علاقة الإنسان بمن أذاه من الناس لا تصل بحال من الأحوال إلى الوقيعة معه وهذا من حكمة الأنبياء لكسب القلوب من مجموع كل أفراد المجتمع.

الثانية: علاقة الإنسان وهو يتحرك بأسباب دفع الأذى عنه متوازنة لا شطط فيها ولا هروب ولا توقف، لأن غايته حيث توجه إلى الله تعالى.

الثالثة: علاقة الإنسان الصالح بالله تعالى تزداد عبودية وتضرعاً لأنه تعالى المدافع والدافع هادياً ونصيراً وولياً، مما تدفعه إلى المزيد من الحركة فى ثبات وثقة.

ب ـ العجز والكسل:

ولسنا بصدد معنى (العجز والكسل) من الناحية العامة وأسبابها المختلفة، وعلاجات هذه الأسباب ولكننا نتناولها من ناحية محددة، للإنسان الذى يتحرك فى المجتمع، متى يصاب بالعجز والكسل، ولماذا؟ ومن أين؟ وما علاج ذلك.

ربما يكون السبب فى ذلك علم لم يكتمل وخبرات لم تتراكم ومعارف غير تامة؟ وربما يكون السبب فى ذنوب وهفوات وإساءات ومعاصى أسكتته عن الحركة وأوقفته فجعلته متكاسلاً وهو نشيط فى غير ذلك، أو عاجزاً وبين طياته القدرة والإرادة؟! وربما يكون السبب فى قناعته أنه لا يمتلك الصفات الاجتماعية وأن طباعه تدعوه إلى الانعزال والانكماش؟! .

وربما أن حال الناس وأفعالهم وحركاتهم جعله يفقد الثقة ويملُّ من الأمل فيهم، أو النهضة بهم؟! وربما تكون أسباب أخرى وأخرى.

ولعل فى تشخيص السبب وضوح العلاج، ولا يزال الإنسان الصالح يعالج حتى لا يعجز، أو يكسل عن أداء مهمته فى الحياة والمجتمع، حتى يصل إلى مرحلة النضج بالزمان والحال والناس، وهنالك لا عذر له فى التكاسل أو العجز،

لأنه إن لم يقم هو برسالته قام غيره بالباطل، ثم إن هذه الخبرات أمانة فلا يبددها أو يضيعها، لأنه أمين فى نقلها إلى الناس، وتحقيقها فى المجتمع.

* وحتى لا يعجز أو يكسل الإنسان فى حركته مع الناس، عليه بأمرين: **الأول**: الانشغال الدائم بالناس، والتواصل فى العمل، والاستمرار بالحركة، ومن الحكمة فى تحقيق ذلك أن يضع قلبه فى كل حركة أو فعل أو عمل، بمعنى أن يعمل بما يقول ويثبت عليه، **والثانى**: الصدق مع الله، فهو الذى يفتح مغاليق النفوس، ويوفقك ويسددك ويحقق أهدافك، ومن علامات الصدق: ألا تكون لك مزية أو حظ نفسى، أو طلب لتعظيم الناس لك فهو الرياء ، أوالتصنع لهم، فإذا سار الإنسان بذلك امتلك اليقين الذى به يكون سباقاً ومبادراً وصاحب همة، كما يمتلك الثقة فى توفيق الله وسداده وهذا الأمل يدفعه دوماً إلى تخطى عقبة الكسل أو العجز عن الحركة.

جـ ـ الجبن والبخل:

أعراضهما للذين يتحركون فى المجتمع واحدة، فهما توأمان من هذه الناحية، من حياة الذل والمداهنة والتملق والخيبة وبذل ماء الوجه، فيحرمون أنفسهم من العزة والحرية، فبالله عليك كيف إذاً يواجهون المجتمع؟ وكيف يرفعون أعينهم مع الناس؟! .

والسبب فى ذلك شئ واحد فقط، هو الطمع بما فى أيدى الناس، فيتعلقون بالناس ولا يتعلقون برب الناس، فكم من أناس كانوا كباراً أعزة فى مجتمعاتهم رأيناهم صرعى على مذبح الطمع! ولذلك كان يقول أبو العباس: (صاحب الطمع لا يشبع أبداً ألا ترى حروفه كلها مجوفة؟! الطاء والميم والعين) .

* والطمع مبنى على الوهم، بأن الناس بيدهم نفعٌ أو ضرٌ أو عطاء أو منعٌ ، ولذلك يعمل وفق هذا الوهم فيتذلل لهم ويعتمد عليهم، ويخاف منهم ويجمع مخافة الزوال، فيصبح بخيلاً، ويخشاهم حتى يصبح جباناً، والعلاج فى أمر واحد جمعته هذه الحكمة البليغة: (أنت حر مما أنت عنه آيس، وعبد لما أنت فيه طامع) .

الذل إذا نزل بالنفوس فى صورة الجبن والبخل سلبها كل شئ حتى الشعور بنزوله بها، فأى نفوس هذه بيدها قيدت حركتها، وأحكمت القضبان حتى على شعورها، وإحساسها، وهذا سر المجتمعات الضعيفة، لأن دعاة الصلاح والإصلاح فيها فقدوا أعز ما يملكون: حريتهم، فأنت حر لأنك رفعت همتك عن ما فى أيدى الناس وعلقتها بالله تعالى وحده، تستمد منه القوة والإقدام

والبذل والكرم والعطاء .

* « روى جابر رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال لبنى سلمة : من سيدكم؟ قالوا : جدّ بن قيس على أننا نبخله، قال : وأى داء أدوأ من البخل؟ بل سيدكم بشر بن البراء بن معرور » رواه البخارى . ويفسر ذلك ما رواه الامام أحمد فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « لا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبداً » وفى صحيح مسلم عن النبى ﷺ قوله : (اللهم إنى أعوذ بك من الجبن والبخل) وعن اجتماع الاثنين قيل إن أشد درجات البخل أن يجبن الإنسان فيبخل على نفسه مع الحاجة مع أن أشد درجات السخاء الايثار وهى أن يؤثر على نفسه مع الحاجة .

ومن يتعامل مع الناس، عليه معالجة الأصل، وإلا فقد يدعوه الجبن من الناس إلى الخوف من مذمتهم وحب مدحهم، فيقع فريسة بين أمرين : إما يتعامل معهم على ما يوافق رضاهم فيقع فى المحذور وإما يتوقف عن التعامل معهم مخافة ذمّه، فيتوقف عن مهمته .

د - غلبة الديْن وقهر الرجال :

وهما توأمان أيضاً يقهران الإنسان، ويجعلانه يتوارى من الناس، ويختفى عن الأنظار، ويتفقان فيما يحدثانه فى الإنسان من حالة ضعف داخلية، يتصاغر عن الحديث، ويتقازم عن الحركة، وعلى من يتحرك فى المجتمع، ألا يصل إلى هذه النقطة الحرجة بالوقاية والاستعانة بالله على اتخاذ خطوات من شأنها أن تجعله بمنأى عن الأمرين ، والديْن معروف، وقد يجعل صاحبه معسراً وإن كان غنياً، وهو إن لم يكن لسبب معقول ومقبول كان سوء تقدير من صاحب الديْن، فى كل المراحل، أى قبل وأثناء وبعد الديْن، أما قهر الرجال، فليس فقط القهر الظاهرى من استعمال القوة، ولكن للقهر صور مختلفة تجتمع شدتها فى المعنوى منها .

روى الإمام مسلم عن أبى قتادة أنه طلب غريماً [أى مديناً] له، فتوارى ثم وجده، فقال : إنى معسر، فقال : آلله، قال : آلله (أى يستحلفه بالله أنه معسر كما قال)، قال أبو قتادة، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه]

وهكذا يصبح صاحب الدين مغلوباً، يتوارى ويختفى، ومطلوباً دائماً وفى النهاية يعرف مكانه فأين المفر؟ . وقد يتعرض الذين يتحركون فى مجتمعاتهم لهذا القهر الداخلى، فماذا يفعلون؟ .

وكيف يتخطون هذه العقبة ؟! وكيف يحمون أنفسهم من الوقوع فيها؟.

وقد مر بنا كيف أن محمد بن مسلمة حينما أوصى أنس بن مالك الصحابى الجليل، بأن يغسله ويصلى عليه محمد بن مسلمة ، وكان مسجوناً فى ديْن كيف قال: حتى تستأذنوا صاحب الديْن، بعدما سمح له الوالى بالخروج، وبالفعل لما وافق صاحب الدين خرج وأدى الوصية ثم رجع إلى السجن دون أن يذهب إلى أهله.

ومن أجل ألا يقع الإنسان الصالح مع الناس فى هذا الحرج، عليه أن يكون متيقظاً منتبهاً دائماً لخطورة هذا الأمر فلا يأخذ شيئاً من أحد، إلا إذا وثق تماماً برده أو جعل أصلاً احتياطياً لرده، وأن يأخذ على قدر الضرورة وليس فى غيرها، لأنها إذا فتحت أبوابها لا يستطيع أن يوصدها، وأن يجتهد بقدر الإمكان فى قضاء الدين عن الناس وعن أقاربه، ويضع شيئاً من الديون عن المعسرين، فينفعه ذلك فى الدنيا والآخرة، وأن يكون سمحاً فى مطالبته، رفيقاً فى أمره لا عنيفاً ، روى الشيخان عن كعب بن مالك أنه تقاضى ابن أبى حدرد ديناً كان له عليه فى المسجد فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو فى بيته، فخرج إليهما حتى كشف عن سجف حجرته فنادى: (يا كعب) قال: لبيك يا رسول الله، قال: (ضع من دينك هذا) وأومأ إليه أى الشطر، قال لقد فعلت يا رسول الله قال: قم فاقضه.

* ودائماً ينأى بنفسه، من أن يسبقه أحد، فيكون صاحب همة وإرادة ونشاط بحيث يحرص ألا يتقدم عليه أحد، وهى وإن كانت صعبة المنال إلا أن نشاط اليوم يُجلب له البركة، إذا كان مبكراً، روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قول النبى ﷺ: « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » محذراً من التباطؤ والترهل ليكون الإنسان دائماً نشيطاً طيب النفس، سباقاً ، إذ كيف يعين المغلوب وهو مثله مغلوب؟! وكيف ينصر المقهورين وهو مثلهم مقهور؟! فيما رواه مسلم عن سلمة بن الأكوع قال: بينما نحن نسير، وكان رجل من الأنصار لا يُسبق شداً فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ .

فقلت: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً؟

قال: لا إلا أن يكون رسول الله ﷺ .

قال: قلت يا رسول الله بأبى أنت وأمى ذرنى فلأسابق الرجل

قال: إن شئت

قال: فسبقته إلى المدينة» .

وهكذا بالهمة سبق، وبالإرادة غلب، وبالسبق قهر، والنبى ﷺ، لم ينكر عليه ذلك، بل ترك له الحرية لأن الأمر يحتاج إلى قوة وعزيمة، ولن يحققها إلا هو ولذلك قال له: [إن شئت] فكأنها كانت التوقيع السحرى لهمته وعزيمته فدلنا على النتيجة دون تفاصيل قائلاً: (فسبقته إلى المدينة) وغريمه هو الذى جاء مفتخراً معتزاً بأنه لم يسبقه أحد!!

فكن سباقاً لا تُقهر، كن هماماً لا تغلب، كن الأول دائماً، لتؤدى رسالتك بين الناس فى عزة ومنعة وقوة.

ثالثاً: عقبات من الأسلوب

قد يظن البعض أنه إذا حلى له المجتمع، ولان لمهمته الناس، مع توفر الصفات اللازمة فيه من فنون التعامل مع الآخرين، يظن أنه قد امتلك كل النجاحات فى الحركة مع المجتمع!! .

وهذا ظن خاطئ لسبب واحد: قد يأتى بأسلوب ينسف كل نجاح مع توفر العوامل السابقة التى من الصعب توفرها كلها مجتمعة، ولذلك تأتى خطورة الأسلوب، فكم من أناس يملكون الحق يتعاملون مع أناس يقتنعون به، ولكن الأسلوب لم يجعل الحق مقبولاً رغم عرضه مع قناعة الناس به، ولذلك كان التحذير النبوى من التعسير والتنفير والتضييق، يقول تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ البقرة/ ١٨٥ .

ومن عقبات الأساليب نختار التالى:

١ - الجمود:

* وأعنى به الذى يكون فى مقام التعامل مع الناس، أن تهيمن على قناعة الإنسان أساليب بعينها، أو وسائل محددة، رافضاً غيرها أو تطويرها أو استبدالها وبالتالى فهو عدو لكل جديد مبتكر، رافض لكل تطوير يخالف ما درج عليه، بل إنه يقدس أسلوبه ويدعو إليه ويتمسك به، وسرعان ما يتكشف أمره أمام حركة المجتمع التى لا تتناهى، وأمام التغيير الطبيعى فى أحداث اليوم والليلة والزمان والناس، وعلى هذا المفهوم يصادق ويخاصم، ويرضى ويغضب، ويكره ويحب، فبالله عليك كيف إذاً ينقل ما عنده من خير وصلاح ونفع إلى أناس بينه وبينهم خيوط مقطوعة وشباك ممزقة وبنايات منهارة؟! .

* وقد يرجع ذلك لأسباب عدة، فإن عرفها ليس من العيب أن يداويها

ويعالجها، لاستكمال أجمل رسالة في الوجود، ومن صور الجمود التمسك بأساليب قديمة لا توافق الناس، فالصغير غير الكبير، والفتاة غير الفتى، والعوام غير الخواص، والذكى غير الغبى، وقد تعددت الأساليب النبوية لسؤال واحد، وكان السؤال من أناس مختلفين، فما استعمله النبى مع الأعراب ورضى به لم يقبله من المهاجرين والأنصار، حتى فى أداء الفرائض، يوم أن قال أحد الأعراب عن الفرائض: [والله لا أزيد على هذا ولا أنقص] فقال ﷺ : « أفلح إن صدق » ، على حين لم يقبل ذلك من المهاجرين والأنصار.

* أو التمسك بأساليب لا توافق العصر، فيرفض الصحيفة والتليفزيون والفضائيات والانترنت والمحمول كوسائل اتصال وإعلام ومعرفة، والنبى ﷺ كانت تتعدد وسائله باختلاف المواقف، وفق طبيعة الناس وعقولهم، ومعارفهم ومكانتهم وشرائحهم وأفعالهم، وكان ذلك وفق ما توفر فى عهده ﷺ من وسائل ولم يرفض التطوير والتجديد، ففكرة سلمان الفارسى بحفر الخندق لم تكن معهودة من قبل، وإحصاء عدد المسلمين كتابة، والتحرك الدبلوماسى مع ملوك وأباطرة الأرض فى عهده، وغيره مما يتيح نجاحات فى المشاركة مع الغير، والوصول الهين إلى نفوسهم.

والعلاج سهل فإن كان علمياً يُستكمل، وإن كان نفسياً يُقوَّم، وإن كان إيمانياً يُرشَّد، وإن كان فهماً يُصحح، وإن كان اجتماعياً يُطوَّر.

٢ ـ الخشونة

عكس الشئ الخشن الأمر الحسن، (والتى هى أحسن) هو أسلوب قرآنى، لا حدود للحسن فيها، وهى الأسلوب الأنجح مع المخالفين والمعارضين، ومن طبيعة المجتمعات أن يكون لك معارضون يجادلونك وتجادلهم حتى تستقر القناعات الصالحة وتتحول إلى مواقف وسلوكات، ومن أوفق الأساليب (التى هى أحسن) التى ذكرها القرآن الكريم:  ﴿ **وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾ بالسماحة واللين والرفق والحب، روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قول النبى ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه » حتى لو تغير الناس، واستعملوا معك الشدة والخشونة، فأنت ثابت على اللين والرفق، ركبت عائشة بعيراً فيه صعوبة فجعلت تردده، فقال النبى ﷺ : « إن الرفق لا يكون فى شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه » رواه مسلم، هذا مع البعير فما بالك مع الإنسان؟!!.

وهذا الأسلوب كم أضاع حقوقاً وفرق صلات وقطع أواصر، وحجب الناس

عن البعض وهم يحسبون أنهم أصحاب علاقات وأذكياء مجتمع وهم فى زمرة المكروهين ولا يدرون؟! .

* روى أن رجلاً شتم التابعى: عامر الشعبى أقبح الشتم وأسمعه أقذع الكلام فلم يزد أن قال له: إن كنت صادقاً فيما ترمينى به غفر الله لى، وإن كنت كاذباً غفر الله لك.

وروى أنه وقعت بين محمد بن الحنفية وأخيه الحسن بن على بن أبى طالب جفوة فأرسل ابن الحنفية إلى الحسن يقول:

إن الله فضلك علىّ: فأمك فاطمة بنت محمد بن عبد الله ﷺ وأمى امرأة من بنى حنيفة، وجدك لأمك رسول الله وصفوة خلقه، وجدى لأمى جعفر بن قيس، فإذا جاءك كتابى هذا فتعال إلىّ وصالحنى حتى يكون لك الفضل علىّ فى كل شئ.

فما أن بلغت رسالته الحسن حتى بادر إلى بيته وصالحه.

فما فائدة الخشونة وأنت حريص على كل أفراد المجتمع أن يكونوا صالحين؟

فى الحديث الصحيح (متفق عليه)، عن عائشة رضى الله عنها قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ فقال: ائذنوا له بئس أخو العشيرة أو (ابن العشيرة) فلما دخل ألان له الكلام، قلت: يا رسول الله قلت الذى قلت ثم ألنت له الكلام، قال ﷺ: أى عائشة إن من شر الناس من تركه الناس أو (ودعه الناس اتقاء فحشه).

٣ ـ الفظاظة والغلظة:

إذا أردت أن يفر من حولك الناس، وأن ينفض عنك الملتفون بك، فعليك أن تعاملهم بالفظاظة والغلظة، فهما أسرع أسلوب لتحقيق ذلك، وبهما تغلق أبواب الرحمة من الله، فى أن تعود جسور العلاقات من جديد يقول تعالى ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ آل عمران / ١٥٩ .

ومعنى الفظاظة ألا تراعى شعوراً ولا تأبه بإحساس، والسبب فى ذلك غلظة القلب وقساوته، من كثرة ما ألف الفظاظة، ولذلك فإن الناس يندمون حينما يطرحون مشاكلهم ومتاعبهم أمامهم، حيث ينشدون الحل أو الراحة، ولكنهم أمام غلظة القلب وموت المشاعر لا يستقبلون إلا ما يزيد مصائبهم، من رد فظ قاسٍ أو إهمال غليظ أو إحساس سميك، فيقولون فى أنفسهم: يا ليتنا ما جئناك ويا ليتنا ما تكلمنا معك!!!.

يُبكى علينا ولا نبكى على أحـــــد
فنحن أغلظ أكبـــــاداً من الإبل

* فهل بالطبع الجاف وتجهم الوجوه يستطيع الإنسان أن يصل إلى قلوب الناس؟ وهل بالفظاظة والغلظة يستطيع أن يجمع هذه القلوب حوله؟ .

أخـــشى فظاظة عمّ أو جـــفـــاء أخٍ
وكنت أخــشى عليــهــمـا من أذى الكلم

والعلاج فى رقة القلب، وليونة الطبع، والتعامل بالمشاعر المرهفة والحس الرحيم، يقول قتادة: إى والله لطهره الله من الفظاظة والغلظة وجعله قريباً رحيماً بالمؤمنين رءوفاً وذكر لنا أن نعت محمد ﷺ فى التوراة:

« ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح » .

* ثم يصير هذا أسلوباً فى المجتمع، من اللين والرفق والكلمة الرقيقة والقلب الحساس، حتى مع الحيوان، يقول مالك: إن عمر بن الخطاب مر بحمار عليه لبن (طوب) فوضع عنه طوبتين، فأتت سيدته (مالكته) لعمر فقالت: يا عمر مالك ولحمارى؟ ألك عليه سلطان؟ قال: فما يقعدنى فى هذا الموضع؟!!

أى مصداقاً لقول المصطفى ﷺ: « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته » متفق عليه عن ابن عمر.

* وبذلك يستطيع أن يضع الإنسان غلظته فى محلها، على أعداء الله، ويظهر غضبته فى محلها إذا حدث مخالفة لشرع الله، تروى عائشة فى الحديث المتفق عليه: أنها اشترت نُمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخله، فعرفت فى وجهه الكراهية، فقلت: يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ﷺ ماذا أذنبت؟ فقال رسول الله ﷺ: ما بال هذه النمرقة؟ قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسّدها، فقال: رسول الله ﷺ: إن أصحاب هذه الصور يوم القيامة يعذبون، فيقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال: « إن البيت الذى فيه الصور لا تدخله الملائكة » .

٤ ـ المسايرة:

هل يجوز لمن يريد أن يصل إلى الناس أن يسايرهم فى خطأهم بزعم زيادة الصلة بهم أو المحافظة عليها؟ وهل يجوز له أن يسكت عن بعض أخطائهم بزعم المحافظة على حبهم وعدم قطع الود معهم؟ وهل يجوز أن نرخص لهم ونقبل منهم التقصير بزعم التيسير والتبشير؟! .

نعم يجب أن تتسع صدورنا لكل الناس، ولكنهم ليسوا على وتيرة واحدة، فهم متفاوتون فى الشخصية والطبيعة والناحية المالية والاجتماعية، متباينون فى المراتب والمنازل والدرجات، ولذلك فعلى من يعلم هذه الحقائق ألا يسايرهم إلا بالحق وفن تطبيقه فقد يأخذ بعضهم بالرخص، ويأخذ غيرهم بالعزائم، وقد يقبل من البعض خطأه وتقصيره، ولا يقبل من غيرهم، إلا المستوى السابق الراقى، وقد يتساهل مع البعض ولا يتساهل مع غيرهم، فالهفوة من الكبير عظيمة، ولذلك فمن الخطأ التعامل مع الناس بصورة جامدة واحدة، واعتبارهم جميعاً فى مستوى واحد، ففى الوقت الذى لم يقبل فيه النبى ﷺ من أبى بكر وعمر والسابقين الأولين إلا العزائم، قال لمن سأله عن الفرائض ولن يزيد عليه ولا ينقص قال: [أفلح إن صدق] أو [دخل الجنة إن صدق] والذى لا يعى تلك الحقائق سرعان ما تتكشف أموره للناس، فيسقط من أعينهم ، ويقطعون الصلة به، رغم أنه يبحث عن زيادة العلاقة بهم والمحافظة على حبهم!!! .

والواجب علينا تصحيح خطأ المخطئ، وتصويب تقصير المقصر، بالرفق لا بالعنف، باللطف لا بالغلظة، مما يحقق الغاية، لأن من شأن الإنسان أن ينسى وأن يخطئ يقول تعالى: ﴿ **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم** ﴾ الأحزاب / ٥ ، وعن أنس فيما رواه أحمد قول النبى ﷺ : « إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » الحاكم.

وتأمل معى ما كان من النبى ﷺ : فيما رواه البخارى عن أبى بكرة عن خطأ بعض الصحابة، فقد دخل فى الصلاة راكعاً من باب المسجد، وظل يمشى راكعاً حتى انتهى إلى الصف، فلما بلغ ذلك النبى ﷺ قال له: « زادك الله حرصاً ولا تعد » أى أنك أخطأت فى تصرفك فلا تعد له، والمهم هذه اللمسة النبوية الرقيقة فقد بدأ النبى بقوله: « زادك الله حرصاً » تقدير للدافع الذى دفعه إلى هذا العمل، وهى الحرص على ألا تفوته ركعة من الصلاة فى جماعة.

فالتقدير للناس شئ ومسايرتهم على خطأهم شئ آخر، فمع هذا الخطأ البين إلا أن النبى ﷺ علم حرصه الذى دفعه إلى الخطأ ، فقدره ودعا له شاكراً إياه، فلماذا لا نقول للمخطئين: نحن نقدر حرصكم وسعيكم وعملكم، لقد قمتم بعمل جليل نشكركم على حسن أدائه واتقانه، ما رأينا فيكم إلا الإخلاص والحرص على العمل والتفانى ولكن هلا حافظتم على المواعيد، ألا تتابعون العمل تباعاً، ألا تحافظون على جودة المنتج، ألا تردّون الحقوق، وهكذا

لا يعودون إلى الخطأ، كما قال النبى ﷺ : « زادك الله حرصاً ولا تعد » .

وليس تعاملنا مع المبتدئ الجديد، بالأخف من الأعمال مسايرة، ولكن هو التدرج حتى ترسخ قدمه وتمتد جذوره فى أرض الصلاح، ثم بعد ذلك نرقى به شيئاً فشيئاً، وفى الحقيقة هو الذى يرقى ويجتهد، وبهذا اللطف والتخفيف مع من هفا أو زلت قدمه، يستطيع الذى يتعامل معهم أن يتقرب منهم ويتقربوا منه.

وليس من المسايرة، أن يرتدى الإنسان ما يليق بكل مناسبة من ملبس ويتهيئ للمناسبة السعيدة بالجميل والفاخر من الثياب، وأن يحرص دائماً على ذلك، فإن الله جميل يحب الجمال. وليس من المسايرة الحكم بالظاهر ونكل السرائر إلى الله، فلم نؤمر أن نشق عن قلوب الناس، وأن نتهمهم فى نياتهم، بل نقبل منهم ظواهرهم وحسابهم على الله تعالى.

وليس من المسايرة حسن الظن بالناس، فقد يعتقد البعض، أن الناس لا يستحقون أن يعمل من أجلهم، وعليه ألا يسايرهم فى أعمالهم وفيما يصنعون!! حتى ولو كانوا من شاربى الخمر، فليس من مسايرتهم أن يحسن الظن بهم، وهذه قصة الرجل الذى كثيراً ما جئ به إلى الرسول ﷺ سكران، فقال أحد الصحابة: لعنه الله! ما أكثر ما يؤتى به! فقال له عليه الصلاة والسلام: (لا تكن عوناً للشيطان على أخيك) وفى رواية: « لا تلعنه فإنه كما علمت يحب الله ورسوله » فنظر الرسول إلى ما فى أعماقه من إيمان على خطئه الكبير، ولم يحكم عليه بسوء ظن من ظاهره، فهل كان النبى ﷺ يسايره؟!.



رابعاً: خصائص حركة الفرد فى المجتمع
١ ـ حركة عبادية ربانية

● **الزكاة مطهرة وتزكية :**

العبادات لا تكتمل إلا إذا تحرك صاحبها فى المجتمع، محققاً الأثر، ومطبقاً المردود، وهذا الجانب واضح تماماً فى كل الفرائض التى فرضها الله على المسلم، كالزكاة فى قوله تعالى: ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** ﴾ التوبة/ ٦٠ .

فقد حصر الله تعالى مصارف الزكاة الثمانية فى أصناف بذاتها، قال المفسرون : المقصود بها الزكاة، وبالنظر إلى حكمة هذه المصارف فى هذه الأصناف التى تعيش فى المجتمع بالذات تتجلى لنا الحكمة فى البناء الاجتماعى لفريضة الزكاة، حيث يتكامل الغنى مع الفقير ، فلو خلقنا جميعاً ميسورين، فكيف تقسم الأرزاق؟ وليتكامل أيضاً أفراد المجتمع فى وظائفهم المختلفة ومواهبهم المتعددة. وأنواع الزكاة المختلفة تدلنا كيف احترم الإسلام حركة الحياة بالعمل والسعى، وعلى سبيل المثال: إذا عثر الإنسان على كنز فزكاته ٢٠٪، وإذا زرع وروى وحصد فزكاته ١٠٪، أما إذا كان رزق الإنسان من عمل يومى كالتجارة فالزكاة ٢٫٥٪ فقط، وما ذلك إلا لسبب واحد: لأنه كلما كثرت حركة الإنسان فى العمل قلت الزكاة، وكلما قل عمل الإنسان فيما يكسب زادت الزكاة. فالزكاة دافعة إلى العمل والسعى فى المجتمع. ثم تأتى لتطهر الإنسان وتزكيه يقول تعالى: ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ التوبة/ ١٠٣ .

ولذلك فهى التى تبقى لك فى المجتمع تطهيراً وتزكية فيما روى مسلم قول النبى ﷺ «يقول ابن آدم مالى مالى ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت» .

فالزكاة فى المجتمع تدفع شروراً كثيرة عن صاحبها وهى ضرورة من ضروريات الحياة، ولذلك حينما قال ﷺ لخديجة: أنا أخاف أن يكون الذى يأتينى رئى من الجن، قالت: [إنك لتصل الرحم، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر، والله لا يخزيك الله أبداً] رواه البخارى. وروى أحمد بسند صحيح عن أنس قال: أتى رجل من تميم رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله:

إنى ذو مال كثير، وذو أهل ومال وحاضرة فأخبرنى كيف أصنع، وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ﷺ: «تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك وتصل أقرباءك وتعرف حق المسكين والجار والسائل».

● **اللهم إنى صائم :**

ثم يأتى الصوم وأثره فى المجتمع، روى البخارى عن أبى هريرة قول النبى ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» وفيما رواه ابن ماجة عن أبى هريرة فى صحيح الجامع الصغير قول النبى ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر». وفيما روى البخارى عن أبى هريرة قول النبى ﷺ: «الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إنى صائم مرتين».

● **الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر :**

أما عن الصلاة فمن شروطها طهارة المكان والثوب والبدن لقوله تعالى: ﴿ **يآ أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا** ﴾ المائدة / ٦، والحديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «لا يقبل الله صلاة بغير طهور» رواه الجماعة، ولقوله تعالى ﴿ **وثيابك فطهر** ﴾ المدثر/ ٤.

وهكذا يتهيئ المصلى بهذه النظافة خمس مرات فى اليوم، ليكون فى مجتمعه شامة، يقول تعالى: ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ الأعراف/ ٣١، فهو زينة فى مجتمعه، فإن قابل الناس أو سار فى طرقاتهم، أحبوا رائحته، وأسرعوا للجلوس بين يديه، وبناء علاقات وصلات معه.

والصلاة هى معراج المسلم يتزود فى هذه اللحظات بما يدفعه إلى الحركة فى مجتمعه بالصلاح والخير والنفع والبر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأخلاق الفاضلة، لقوله تعالى: ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾ العنكبوت/ ٤٥.

وكل الأعمال الخيرية والتربوية والتنموية فى المجتمع، صلاحها مرهون بصلاح الصلاة، وما ذلك إلا لآثارها العملية فى المجتمع، روى الطبرانى عن عبد الله بن قرط قول النبى ﷺ: «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله». ولذلك فنجاح الحركة فى المجتمع ليست فى حياة الإنسان بأداء رسالته ودوره فقط كأب أو زوج أو مسئول أو أم أو زوجة ولكن بصلاته التى تدفعه إلى ذلك يقول تعالى: ﴿ **قل**

إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ الانعام ١٦٢ : ١٦٣ ، وحينما حدد الله أعمال البر التى يقوم بها المؤمن فى مجتمعه ، بدأ أولاً بالصلاة فافتتح بها أعمال الخدمة والبر والحركة مع الناس ، فى أول سورة المؤمنين ﴿ **قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾ المؤمنون / ١ ، ٢ : ٩ ، ١١ .

● **لا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج :**

أما عن الحج وأثره فى حركة الفرد فى مجتمعه : عن أبى هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل؟ قال : إيمان بالله ورسوله؟ قيل ثم ماذا؟ قال : جهاد فى سبيل الله قيل : ثم ماذا؟ قال : « حج مبرور » وروى بسند حسن : أن بره إطعام الطعام ولين الكلام .

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ « من حج فلم يرفث ولم يفسق يرجع كيوم ولدته أمه » إنها صفحة جديدة نقية بيضاء من أجل أن يؤدى المسلم رسالته فى المجتمع دائماً فى تجديد وصفاء ، يقول تعالى : ﴿ **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾ البقرة / ١٧٩ .

وهكذا تأتى الفرائض بآثارها فى المجتمع دافعة للفرد للقيام بدوره ورسالته .

٢ ـ حركة هينة رقيقة لينة

ذل اللين :

كما قال الله تعالى فى صفات عباد الرحمن : ﴿ **الذين يمشون على الأرض هوناً** ﴾ الفرقان / ٦٣ ، أى يمشون فى وقار ، وهكذا سيرتهم مع الناس ، يقول محمد بن الحطبة : أصحاب وقار وعفة لا يسفهون وإن سفه عليهم حلموا .

وكما قال الله تعالى : ﴿ **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ المائدة / ٥٤ ، والمقصود بالذل هنا ذل رحمة وعطف وشفقة وقد اجتمعت كل هذه المعانى فى قوله تعالى : ﴿ **على المؤمنين** ﴾ ، وهو ما أسماه النبى ﷺ : ذل اللين ، فيما رواه البيهقى قول رسول الله ﷺ : « المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإذا أنيخ على صخرة استناخ » حديث حسن

يقول الشهيد سيد قطب : " المشية ككل حركة تعبير عن الشخصية وعما يستكن فيها من مشاعر والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها فيمشى مشية سوية فيها وقار وسكينة وفيها جدة



وقوة ».

● **وإنه لغير مكترث** : وليست الحركة الهينة فى التماوت أو التكاسل أو التناوم، فتكون متهاوية البنيان، بزعم إظهار التقوى والصلاح، وإنما هى الحركة الطبيعية الجادة الحسنة السريعة يقول أبو هريرة : (ما رأيت أحداً أسرع فى مشيته من رسول الله ﷺ، كأنما الأرض تطوى له وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث) وعن على بن أبى طالب : (كان رسول الله ﷺ إذا مشى تكفأ تكفياً كأنه ينحط من صبب) وهذه هى مشية أولى العزم من الرسل وأصحاب الهمة والإرادة.

● **النبرة الهادئة :**

ومن ثم فحركة الفرد وادعة بالكلمة الطيبة والنبرة الهادئة والبسمة الحانية فى وجه الهائجين الغاضبين، وهى تحتاج إلى أصحاب عزم وقلوب كبيرة تعطف وتسمح مع قدرتها على رد الإساءة بالإساءة، فقد قال رسول الله ﷺ : (فيما رواه مسلم) لأشجع عبد القيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة)، وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله »، وعن أنس رضى الله عنه فيما روى الشيخان قول النبى ﷺ : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » .

● **لا للانتقام :**

هى حركة فرد لا يعرف الانتقام أو الثأر للنفس أو الخروج على الرفق واللين مهما كانت الأسباب، يقول تعالى : ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ آل عمران/ ١٣٤، ولذلك فيما روى البخارى عن أبى هريرة أن رجلاً قال للنبى ﷺ : أوصنى قال : لا تغضب فردد مراراً قال : لا تغضب .

وفى يوم يفاجئ النبى أصحابه بسؤال : ما تعدون الصرعة فيكم، قالوا : الذى لا يصرعه الرجال، قال : « لا ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب » رواه أبو داود .

خذ العفو وأمر بعرف كما
أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولين فى الكلام لكل الأنام
فمستحسن من ذوى الجاه لين

روى الشيخان عن عائشة قالت : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه وما انتقم

رسول الله ﷺ لنفسه فى شئ قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله تعالى » .

● **حتى الإشارة :**

ومن رقة حركة الفرد فى المجتمع ألا ينظر بمنظار أسود إلى الناس، فيدعو عليهم بالهلاك، وقد حذر النبى ﷺ من هذا المسلك المظلم الذى يغلق فيه الفرد تماماً علاقته بالناس، فيما روى مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « إذا قال رجل هلك الناس فهو أهلكهم » وفى رواية « فهو أهلَكَهم »، **الأولى** : بالضم ومعناها أى أكثرهم وأشدهم هلاكاً لغروره لأن قوله يتضمن تزكية لشخصه فى الباطن، **والثانية** : بالفتح أى هو الذى أهلكَهم أى تسبب فى هلاكهم باستعلائه عليهم ويأسه منهم وسوء ظنه بهم .

حتى الإشارة الخفيفة التى تحمل انتقاصاً لأحد من الناس، نهى عنها النبى ﷺ ، فيما روى أبو داود فى حديث حسن صحيح عن عائشة أن النبى ﷺ قال لعائشة فى جملة قالتها أشارت بها مجرد إشارة إلى قصر امرأة أخرى « يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » .

ولذلك كان النبى ﷺ وهو الأسوة يقول فيما رواه مسلم عن عائشة : « إن الله لم يبعثنى معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثنى معلماً ميسراً » وهكذا يكون الفرد فى مجتمعه معلماً للناس، ميسراً للأمور والأحوال .

٣ ــ حركة متزنة معتدلة

● **حياة التوسط :**

حركة الفرد فيها يأخذ بالاعتدال فى كل شئ وعنوانه التوازن فى كل الأمور، وحياته مع الناس حياة التوسط التى هى بين الافراط والتفريط، دون شطط أو انحراف ، تأبى إلا الفطرة السليمة، وتأبى إلا الوسطية، والسير بعقل رصين، وذهن ثاقب وفكر عميق، يقول تعالى : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ البقرة / ١٤٣ .

● **حتى لا تلام :**

وعندما ضرب الله المثل الأعلى بالاعتدال، جعله فى الانفاق لأن الإسراف والتقتير يحدثان اختلالاً فى المجتمع، وحبس المال يحدث أزمات يعانى من قسوتها الفرد والمجتمع معاً، وبدءاً من نفس الفرد جاء الإسلام ليعالج وينظم هذا الجانب ﴿ **وكان بين ذلك قواماً** ﴾ الفرقان / ٦٧ ، ومع أن الله تعالى جعل

الأصل فى الأشياء الإباحة والحل والاستمتاع بطيبات الحياة، ولكن اشترط أن تكون فى صورة معتدلة متوازنة يقول تعالى: ﴿ **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ الأعراف / ٣١، ويقول تعالى: ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ الاسراء/ ٢٩ .

بل إن عادات الإنسان وما ألفته النفس من حياة طبيعية، تتحول بالنية إلى عبادة كما فى الحديث: « وفى بضع أحدكم صدقة » فقال الصحابة: يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته وتكتب له صدقة، قال: أرأيتم إن وضعها فى حرام فهل يكتب عليه سيئة؟ قالوا: نعم، قال: كذلك لو وضعها فى حلال كتبت له صدقة » رواه مسلم.

● **صورة مضحكة:**

وفى مجال الأخلاق هم أحاسن الناس، هم أحباء رسول الله ﷺ، وهذا هو الاعتدال فمن خرج عن هذا الحد رسم له النبى ﷺ صورة كاريكاتيرية مضحكة، فيما رواه الترمذى عن جابر وقال حديث حسن قول النبى ﷺ: « إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى فى الآخرة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى فى الآخرة اسوؤكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون المتشدقون »، قال المنذرى: الثرثار: هو الكثير الكلام تكلفاً، والمتشدق: المتكلم بملء فيه.

وروى أحمد عن عبد الله بن عمر قول النبى ﷺ: « إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها » .. فحقاً الخروج عن الاعتدال يراك الناس فى صورة مضحكة دون أن تدرى؟!

● **قمة الاعتدال : الحب :**

ومن جميل الاعتدال التعامل بالحب مع كل الناس، فينقلب العدو إلى صديق، والخصم إلى حميم، والكاره إلى ودود، لخصها النبى ﷺ فى كلمة جامعة، فيما رواه الشيخان عن أنس قول النبى ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾ فصلت/ ٣٤ .

ولا أحمل الحقد القديم عليهمو وليس كبير القوم من يحمل الحقدا

وهذا مشهد نبى الله يوسف عليه السلام حينما أوى إليه أبواه ومعهما اخوته يحكيه القرآن الكريم وما فيه من حكمة بالغة، يقول تعالى: ﴿ **وقال يا**

أبت هذا تأويل رءياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن ﴾ يوسف / ١٠٠ ، والحكمة هنا أن يوسف لم يقل (الجب) فذلك جرح قديم تناساه تماماً، فلم يذكره لأنه اندمل فلماذا يفتح من جديد؟ ولماذا يخرج المأساة القديمة من جديد؟ .

٤ ــ حركة رفيعة عالية

● قالوا سلاماً :

يقول الله تعالى : ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ الفرقان / ٦٣ ، لا عن ضعف ولكن عن ترفع، لا عن عجز وإنما عن علو، تحقيقاً لأمر الله لرسولنا ﷺ : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ الأعراف/ ١٩٩ ، لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ : « ما هذا يا جبريل؟ قال : إن الله أمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك » رواه ابن جرير. فهى حركة لا تلتفت إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء، ولا يشغل الفرد فى حركته باله ووقته بالاشتباك مع السفهاء والحمقى فى جدل وعراك، بل يترفع عن المهاترة، يقول بعض السلف : (إذا أراد الله بقوم شراً رزقهم الجدل وحرمهم العمل)، فالمجتمع الكسول يكثر فيه اللغط وينتشر فيه الجدل، ويسرى فيه الاغتياب كما يقول أبو الطيب : وكل اغتياب جهد من لا له جهدُ!!

● عيوب نفس :

وحركة الفرد عالية رفيعة، حينما يتقبل النصح، ويبحث عن عيوبه، وفقاً للقاعدة العمرية « رحم الله امرءاً أهدى إلىّ عيوب نفسى » . وقد سئل أحدهم : مالك ما خاصمت الناس طيلة أربعين عاماً ؟! فقال : (كنت مع الناس على نفسى) . وبذلك تنتهى الكثير من الأزمات مع الناس، روى الشيخان عن جابر بن عبد الله : بينما رسول الله ﷺ يقسم غنيمة بالجعرانة إذ قال له رجل : اعدل، فقال له : لقد شقيت إن لم أعدل، وانتهى الموقف.

● تعفو وتصفح :

وهى عالية رفيعة لأنها تعفو وتغفر وتصفح، يقول تعالى : ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ الحجر/ ٨٥ .

- ويقول تعالى : ﴿ **وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم** ﴾ النور/ ٢٢ .

- ويقول تعالى : ﴿ **والعافين عن الناس والله يحب**

المحسـنين ﴾ آل عمران/ ١٣٤ .

ـ ويقول تعالى: ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ الشورى/ ٤٣ .

● لا تعرف اليأس :

وهى أيضاً عالية رفيعة قديرة لأنها لا تعترف بيأس، يقول تعالى على لسان يعقوب: ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ يوسف/ ٨٧ ، وقال على لسان جده إبراهيم ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ﴾ الحجر/ ٥٦ .

لا تيأس وإن طالت مطالبة
إن استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

ويقول آخر:

لا تيأسن فإن الحق منتصر
أبشر بخير فإن الفارج الله

فتعلموا أن اليأس ليس من شيمة أهل الهمة والعمل، وتعلموا أن الإنسان الصالح لا يعمل لينتج ويرى الثمرة بل يعمل ليؤدى مهمته .

● فليغرسها :

وهى عالية رفيعة لأنها لا تعترف إلا بالعمل والمزيد من العمل، فما من عمل وله امتداد فى الأجر لصاحبه لكل من استفاد منه أو استعمله أو حتى إن تعرض للسطو والسرقة فيما روى مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: « ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة » .

وروى مسلم عن جابر أيضاً ما قاله النبى ﷺ لأم معبد: « لا يغرس المسلم غرساً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا طير إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة »، فتعدى عمل الخير أو الغرس الإنسان إلى الدابة والطير فى الأجر والصدقة، أليست هى حركة فريدة سامقة، بل إنها تمتد إلى آخر رمق فى حياة الإنسان، روى أحمد والبخارى فى الأدب المفرد عن أنس قول النبى ﷺ: « إن قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم (الساعة) حتى يغرسها فليغرسها » بغض النظر عمن يستفيد منها، إنها قيمة الحركة الواعية الراشدة التى لا تتوقف ولا تلين، ولا تفتر ولاتكسل، تعمل والنتائج على الله .





● **لا تكن عيّاباً :**

وهى أيضاً عالية رفيعة، لأنها لا ترى معايب الناس، وتعيرهم بعيوبهم، فإن ذلك يؤذى مشاعرهم، وعليه يفقد الإنسان علاقته بهم، روى الشيخان من حديث أبى هريرة قال: «ما عاب النبى ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه»، وسرت الأسوة فى أصحابه، روى البخارى عن أنس قال: «كنا نسافر مع النبى ﷺ فلم يعيب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم»، وإن كانت العين تقع على العيب لدى الآخرين، فليكن العقل سباقاً فى عدم تصيد العيب، وإحراج الناس.

٥ ــ حركة عملية سلوكية

● **لا للانكماش :**

لا للقوقعة على الأنفس، ولا للانكماش ولا للعيش الخمول، ولا للأنانية، ولا لمن يحبس نفسه فى دور العبادة ويترك الناس يتخبطون، فما أحوج الناس إلى عمل الصالحين، وإلى التأسى بأصحاب الهمة، وإلى الاقتداء بأهل المبادرة، فلماذا يُحرم الناس بإخفاء العمل، إننى أتصور حركة الفرد فى مجتمعه، فى مجملها نشاط وسعى وعمل ودعوة على بصيرة وعلم، فدماؤه تجرى وفيها أمر الإصلاح، ونبضات قلبه تعلن مع كل خفقة نفع الناس، وتحقيق أمانة الرسالة يقول تعالى: ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** ﴾ فصلت / ٣٣، هذا هو منهج حركة الفرد الانفتاح على الناس والانسياب فيهم وفى مجالسهم وأسواقهم وأماكن عملهم وتجاراتهم، منهج إصلاحى عملى سلوكى انطلق به جميع الرسل من لدن نوح عليه السلام وختاماً برسول الهدى ﷺ، روى الشيخان عن مالك بن الحويرث قوله: أتيت النبى ﷺ فى نفر من قومى فأقمنا عنده عشرين ليلة وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: ارجعوا فكونوا فيهم وعلموهم وصلوا فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم» وهكذا كانت الدورات العملية لا النظرية، السلوكية لا الفلسفية الممتزجة بوجدان الناس عندما رأى الشوق إلى أهاليهم فهى حركة لا تنفصل عن أهاليهم، بل هى من أجلهم ولهم فكان التكليف بالممارسة والأمر بالتطبيق الواضح الخطوات، الصريح المراحل، فكانوا بحق رسل خير إلى أهلهم، ودعاة صلاح فى مجتمعاتهم.

● **السلوك السحرى :**

بالعمل والسلوك يسرى فى الناس منك سحر دون أن تدرى، تظهر فى حروف كلامهم، ويُرى التعبير فى مشاعرهم ، وينطق به الحال قبل اللسان، فكان راوى الحديث عن النبى ﷺ يعبر عن ذلك بصدق فيما روى البخارى عن أبى هريرة أنه لم يقل فى معرض وصية النبى الكريم له أوصانى رسول الله ﷺ مثلاً بل قال : (أوصانى خليلى بثلاث لا أدعهن حتى أموت) بما تحوى كلمة (خليلى) ثم حفظه للوصية وتعهده بالعمل بها حتى الموت أى سلوك دائم وممارسة مستمرة وهو الغرض والهدف من حياتك مع الناس .ولذلك جاءت وصية النبى ﷺ لكل راع على رعية : ‹ زوج أو أب أو مسئول عمل أو حاكم على أى مستوى › بأداء أمانة المهمة فى الرعية فيما روى الشيخان عن معقل رضي الله عنه قول النبى ﷺ : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة » .

ومن ثم كان من توفيق الله لهؤلاء الأفراد العمليين فى مجتمعاتهم أن يلهمهم الله هذا الدعاء القرآنى يقول تعالى : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾الفرقان/ ٧٤ ، وذلك لأن من مظاهر النجاح العملى السلوكى أن يظهر فى هذين الأمرين:

أولاً : الأزواج والذرية : فالأمل فى ذرية تتحرك أيضاً وفق نفس المنهج السلوكى ليتضاعف بها عدد السالكين، وذلك لأنهم أول ما يسأل عنهم الرجل وهم أقرب الناس تبعة له ثم هم الذين يتعامل معهم ليلاً نهاراً .

ثانياً : القدوة : فى أن يكون قدوة طيبة للناس يعمل بعمل الأنبياء ويتأسى به الناس، فيتقون الله ويخشونه ويختارون طريق الصلاح .

ويحضرنى كيف كان حرص الأصحاب على هذا السلوك والمبادرة فى تنفيذه، فيما رواه الشيخان من حديث أسماء رضى الله عنها أنها حملت بعبد الله بن الزبير قالت : « خرجت وأنا (متمم) (أتممت حمله ٩ شهور) فأتيت المدينة فنزلت بقباء فولدته بقباء ثم أتيت به النبى ﷺ فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه، فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بالتمرة ثم دعا له وبرّك عليه وكان أول مولود وُلد فى الإسلام » وهكذا كان أول حفل لأول مولود فى الإسلام، بين يدى النبى ﷺ وفرحة أمه والمسلمين جميعاً .

● **المتفرجون على الهدم :**

هذا العمل واجب على الفرد وهو يتحرك، لسبب واحد، أنه لا يقف متفرجاً على معاول الهدم وهى تضرب فى الأخلاق والفضيلة دون حراك، بل إنه ينطلق وفق هذا المنهج الذى يقوم على عقيدة راسخة، وتوجيه سليم، وأهداف سامية، وتربية فائقة فيكفيه أن الله فى العون، وأن الله بالسداد، ما دام يتحرك وفق هذا المنهج، فى سائر يومه وفى كل أحواله، ولا يقاس السلوك بعمل صغير أو كبير لأنه مبدأ سلوكى لا يرتبط بحجم أو وزن أو شخص، فيما رواه البخارى عن أبى هريرة هذا المشهد الذى قصّه النبى ﷺ قائلاً: « بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له » ، ولك أن تتخيل معى كيف بلغ العمل وألفته بالرجل أن أصبح ذلك سلوكاً طبيعياً فى حياته ، فلم يكن يتعمد الذهاب إلى الشوك وإنما أثناء سيره الطبيعى وجد الشوك وكم تسبب فى إيذاء الناس المارة بالطريق. . ففى سلوك طبيعى تلقائى : أخره، وكانت النتيجة المشرقة (فشكر الله له وغفر له) .

بهذا السلوك نهدم معاول الهدم، فالناس فى حال ضعفهم تنال منهم المعاول، وفى حال قوتهم تنهار هذه المعاول ولا قيمة لها، وتأمل معى حديث أبى موسى الذى رواه البخارى قال: قال رسول الله ﷺ : «على كل مسلم صدقة» قالوا: فإن لم يجد قال: « فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » ، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟، قال: (فيعين ذا الحاجة الملهوف)، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: (فيأمر بالخير) أو قال: (بالمعروف) قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: (فيمسك عن الشر فإنه له صدقة) .

وحينما يحدد النبى ﷺ صفات ومواصفات الخازن الأمين أو أمين الصندوق أو من يتعامل مع المال فى أى صورة من صور التعامل، فالغرض حتى لا يسرى الفساد فى المجتمع ويسيطر الشيطان على رءوس العباد ، ويقودهم الهوى إلى المهاوى الساحقة، فيما رواه الشيخان عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: « الخازن المسلم الأمين الذى ينفذ » وربما قال: [يعطى ما أُمر به كاملاً موفراً طيباً به نفسه، فيدفعه إلى الذى أمر به أحد المتصدقين] إنها صورة مشرقة إنه ينفذ كاملاً غير منقوص موفّراً غير قليل وبدون تقتير، طيباً غير خبيث، أنكر ذاته ونفسه وطمعه فارتفعت غايته وعلت همته وأعطى فى طهارة وشفافية، أليس بهذه الإشراقات تبدد المعاول، ومن فعل عكس ذلك وهو ما نراه للأسف فهو يغطى سوءاته ليقال أنه أمين وما هو بأمين حتى يتصف بهذه الصفات .

● **من أجل عمل مستمر :**

ومن العوامل التى تجعل العمل ناجحاً والسلوك مستمراً ثلاثة: التواضع والرحمة والعزة، يقول تعالى: ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ الشعراء/ ٢١٥، حيث يحنو فيه الكبير على الصغير، ويعطف الغنى على الفقير، ويذل القوى للضعيف، فلا تفاخر ولا تعالى ولا تعاظم ولا ظلم، يقول النبى ﷺ فيما رواه مسلم: «إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد»، وقد عبر القرآن الكريم عن ملامح هذا التواضع فى قوله تعالى: ﴿ **ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور** ﴾ لقمان/ ١٨، فحينما يكون التخايل وقلة المبالاة بالناس والنفخة الخادعة تكون حركة الفرد فى مجتمعه كريهة يمقتها الله ويمقتها الناس.

أما الرحمة فيقول عنها الله تعالى: ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ الفتح ٢٩/ ، صورة سمحة ودودة عزيزة على الأعداء فى استعلاء وشدة، ذليلة مع المؤمنين فى لين ورقة، ومن أعرض عن الرحمة، وعن هذه الصورة السمحة يقول تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾ المائدة/ ٥٤، ولذلك فإن العزة تكون بالدين والاستهانة بكل المغريات التى تحول بينك وبين الناس، يقول تعالى: ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً** ﴾ فاطر/ ١٠، ومجمل القول أنها دائمة الاتصال بالعزيز تعالى فهى أبية قوية لا تلين لمتجبر لأن ولاءها لله وحده، وهى عزيزة أمام العرض الزائل والشهوات الجامعة، والأطماع الطائرة والهوى المتغلب، لأنها لا تذل إلا لله وحده.

٦ ــ حركة صادقة ثابتة

● **ممارسة الصدق :**

إذا أراد الفرد الذى يتعامل مع الناس أن يسقط من أعينهم، ولا يحترمونه، بل يحتقرون أفعاله وكلامه، فليمارس معهم الأكاذيب والتلفيقات والشهادات المزورة، أما إذا أراد أن يكون دائماً فى مشاعر وقلوب الناس فليمارس معهم الصدق فى القول والعمل والحركة، ومن ثم يضمن ثبات واستمرار وتواصل حركته فى المجتمع، وقد حذر النبى ﷺ من ذلك بدءاً من الكذب إلى أكبر

الكبائر شهادة الزور، يقول تعالى : ﴿ **والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما** ﴾ الفرقان / ٧٢ . عن أبى بكرة فى الحديث المتفق عليه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا : بلى يا رسول الله، قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس، فقال : ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا يا ليته سكت » . فشهادة الزور من أعظم المصائب لأنها تتهم بريئاً لم يرتكب جريرة لتوقع به العقوبة وما ذلك إلا إثر شهادة مزيفة أو أقوال مزورة أو تهم ملفقة، ولذلك كانت شهادة الصدق ضمان لسعادة المجتمع كله .

● **ويل للمكاذب :**

أما الكذب فهو المترادف للنفاق، روى الشيخان عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : آية المنافق ثلاثة وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم : « إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان » ، وفيما روى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « أقرى القرى أن يُرى الرجل عينيه ما لم تريا »، ويحذر النبى ﷺ أن يكون الرجل عند الله كذاباً فيقول فى الحديث المتفق عليه : « وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » فهل حركة الكاذب فى المجتمع مقبولة وإن سمى ذلك ذكاءً اجتماعياً - خاصة بعد أن نعته الله بالكذاب؟!!

● **متى تكذب ؟ :**

ومن أجل الاحتفاظ بوحدة المجتمع أمام أعدائه الذين يحاربونه ويبغون احتلاله رخص الاسلام بالكذب فى حالة الحرب، ومن أجل تماسك بنيان المجتمع رخص الإسلام بالكذب فى إصلاح ما بين الناس لحديث أم كلثوم الذى رواه الشيخان أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً » ، ومن أجل بيوت متماسكة متينة قوية رخص الإسلام فى الحالة الثالثة الكذب فى حديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها، من أجل اجتياز عقبات الشيطان، وأن تستمر السعادة ترفرف بجناحيها على البيوت التى هى المجتمع الحقيقى، وكل هذه الحالات مرهون العمل بها بتحقيق الهدف منها، وإلا صار ذلك كالسراب، إن أتيته لم تجده شيئاً، ولذا ببركة الصادقين تسعد المجتمعات يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ التوبة / ١١٩ .

٧ ـ حركة كريمة سخية

● **المجتمع سجن البخلاء :**

ما رأيت ما يمزق شمل المجتمع وينسف العلاقات الإنسانية به ويجعل الإنسان مكروهاً من الآخرين مثل البخل والشح !! ليس فى المال بل فى الجهد والوقت والنفع للآخرين!!.

وهو الذى يزرع العداوة والبغضاء فى البيت الواحد والعائلة الواحدة والعمارة الواحدة والشارع الواحد والقرية الواحدة!!.

فهل الذى يحرص على المال أو يضن بوقت أو راحة للناس يكون حريصاً على كسب علاقات بالآخرين أو جلب النفع لهم؟!! يقول تعالى: ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم** ﴾ البقرة/ ٢٦٨، وهذا هو السر فلولا الصحبة الصالحة والجماعة الراشدة يهلك الإنسان حينما يترك مع نزعته الفردية فيقول: نفسى نفسى، فإذا به يتحول إلى إنسان جشع يأخذ ولا يعطى، يستفيد ولا يفيد، يؤثر سلامته وإن هلك الجميع، يقول تعالى واصفاً هذه الصورة القميئة: ﴿ **وأحضرت الأنفس الشح** ﴾ النساء/ ١٢٨، وبالتالى تنقطع عن المجتمع الروح الفاعلة والهمة الملهمة، فلا ينظر أحد إلى المصلحة العامة لأنه لا يراها ولا يبصرها، ولا أحد يضحى فى سبيل عزة وكرامة مجتمعه فما الذى يدعوه إلى البذل والتضحية وتقديم مصالح الناس على مصالحه الشخصية؟!! .

ويتحول بذلك المجتمع إلى سجن كبير لأسرى مقيدين ببخلهم وشحهم، يقول تعالى: ﴿ **وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله إذا تردى** ﴾ الليل ٨ : ١١، ولذلك كان العلاج القرآنى بأن يتقى الإنسان الشح يقول تعالى: ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ التغابن/ ١٦، وفيما روى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » وعن أسماء بنت أبى بكر قالت: قال لى رسول الله ﷺ : أنفقى أو انفحى أو انضحى ولا تحصى فيحصى الله عليك ولا تُوعى فيوعى الله عليك » متفق عليه .

● **من أجل حياة الجود والسخاء :**

ومن أجل تحقيق حياة الجود والسخاء والكرم رغب الإسلام الإنسان فى



حركته بالمجتمع على الكسب الحلال واستثمار ماله وتنميته والحصول على أعلى الأرباح للاستمتاع بالطيبات والاستعانة بها فى أداء رسالته وتنمية المجتمع، ولذلك جاءت هذه القاعدة الثابتة أن المال هو عطاء الله ورزقه وأنه هو سبحانه المالك الحقيقى للمال، وهو الذى سخر الكون كله من أجل تنميته يقول تعالى: ﴿ **وآتوهم من مال الله الذى آتاكم** ﴾ النور / ٣٣، فنحن مستخلفين فيه وليس لنا إلا أن تتعبد الله به بداية من السعى ثم القدرة على اكتشاف وجوه الكسب المختلفة يقول تعالى: ﴿ **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾ الملك / ١٥، ومروراً بالكسب الحلال والطرق المشروعة فقد جعل الإسلام (الرضا) أساساً للتبادل التجارى ونهى عن الكسب الخبيث وحرم الربا والغش والاحتكار واستغلال النفوذ، والاعتداء على أموال الآخرين بالسرقة أو السلب أو الرشوة أو أكل أموال الناس بالباطل، وبيّن كذلك وجوه صرف هذا المال المكتسب، فقال ﷺ فيما رواه البخارى: « وابدأ بمن تعول » ، وقال ﷺ فيما رواه النسائى: « ما أطعمت نفسك فهو صدقة وما أطعمت ولدك وزوجتك وخادمك فهو صدقة » وكذلك على الوالدين والأولاد الصغار والبهائم التى يملكها، ثم (فى سبيل الله) بالصرف على وجوه الخير فى كل جوانب المجتمع على الفقراء واليتامى والمساكين والمستشفيات والمدارس والخدمات المختلفة.

● **قصص من واقع الحياة :**

كان الإمام أبو حنيفة تاجراً فى الملابس والأصواف والحرير وكان له متجر معروف، كان يمر الحول عليه فيبقى ما يكفيه لنفقته ثم يقضى بالباقى حوائج الفقراء وطلاب العلم، أقواتهم وكسوتهم ويقول لهم: (هذه أرباح بضائعكم أجراها الله لكم على يدى والله ما أعطيتكم من مالى شيئاً، وإنما هو فضل الله علىّ منكم، فما فى رزق الله حول لأحد غير الله) ، وبلغ من جوده وبره بالناس أنه كان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها على غيرهم من المحتاجين، وإذا اكتسى ثوباً جديداً كسى المساكين بقدر ثمنه.

قد يظن بعض رجال الأعمال بأنهم يصنعون المعجزات بمجرد تصدقهم بجزء يسير من أموالهم التى رزقهم الله بها، فهل يستطيعون أن يلحقوا بالإمام قدوة الذين تحركوا فى مجتمعاتهم، وعاشوا للناس، الامام أبى حنيفة؟!!

وتبلغ قمة السخاء والكرم حينما تربى أطفالاً لابن أخيك الذى مات أو أحد أقاربك، يقول القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق: (لما قتل أبى جاء



عمى عبد الرحمن بن أبى بكر فاحتملنى أنا وأختى الصغيرة ومضى بنا إلى المدينة . فما أن بلغناها حتى بعثت إلينا عمتى عائشة رضى الله عنها فحملتنا من منزل عمى إلى بيتها وربتنا فى حجرها، فما رأيت والدة قط ولا والداً أكثر منها براً ولا أوفر شفقة كانت تطعمنا بيديها ولا تأكل معنا فإذا بقى من طعامنا شئ أكلته، وكانت تحنو علينا حنو المرضعات على الفطيم، فتغسل أجسادنا وتمشط شعورنا وتلبسنا الأبيض الناصع من الثياب، وكانت لا تفتأ تحضنا على الخير وتمرسنا بفعله، وتنهانا عن الشر، وتحملنا على تركه، وقد دأبت على تلقيننا ما نطيقه من كتاب الله وتروينا ما نعقله من حديث رسول الله ﷺ) ، وعندما بلغا وكبرا قالت لأخيها عبد الرحمن : أى أخى ، إنى لم أزل أراك معرضاً عني منذ أخذت هذين الصبيين منك وضممتهما إلىّ والله ما فعلت ذلك تطاولاً عليك ولا سوء ظن بك، ولا اتهاماً لك بالتقصير فى حبهما، وها هما قد شبا وأصبحا قادرين على القيام بأمر نفسيهما فخذهما وضمهما إليك »

هذه قصة من الحياة بطلتها أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها، يقول الراوى: « أن القاسم كان يشبه أبا بكر فى كرم شمائله ونبل خصائله وصلابة إيمانه وشدة ورعه وسماحة نفسه وسخاء يده » وهكذا كان النهاية، وهذا ما أردناه لهذه الخصيصة لحركة الفرد الذى يتحرك فى المجتمع أنها كريمة سخية، وهكذا كل هذه الخصائص تقول أنها حركة بناء لا هدم ، عطاء لا أخذ، أمان لا ترويع، حركة تنشر فى أرجاء المجتمع الأمن والاستقرار والسلام.

***

خامساً : دوائر العمل والمهارات الفردية
بوابات النجاة
تمهيد " ضمانات النجاح"

قبل أن نتحدث عن دوائر العمل، وهى الدوائر التى يتعامل معها الفرد بصورة طبيعية مثل أسرته وعائلته ثم أقاربه وأصدقاء الأسرة وأصحاب الأقارب ثم جيرانه الذين يقنطون فى عمارته أو شارعه أو مدينته أو قريته ثم من يعمل معهم فى زمالة يومية ثم الصداقات الدائمة والعابرة ثم الرفقاء المؤقتين أو العابرين، قبل الحديث عن هذه الدوائر؟ ولن نسهب فى هذا الأمر خاصة بعد ما تحدثنا عن صفات الفرد والعقبات التى يجب أن يتخطاها وخصائص حركته فى المجتمع، ولكم أردنا بهذه الضمانات أن يمتلك الفرد قوة نفسية وروحية وحركية دائمة،حتى يكون الفرد حقيقة تتعامل مع الناس مضمونة النجاح ومكللة بالتوفيق والسداد.

● **كن أغنى الناس :**

لا شئ أقوى للانسان من الرضا بما هو فيه حتى يكون أغنى الناس، مستغنياً عما فى أيديهم، فإذا بكلمته مسموعة وبفعله يصير قدوة للمجتمع بأكمله، روى مسلم أن رجلاً سأل عبد الله بن عمرو بن العاص ألست من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى إليها؟ قال : نعم، قال : ألك مسكن تسكنه، قال : نعم، قال : فأنت منْ الأغنياء، قال : فإن لى خادماً قال : فأنت من الملوك . ولذلك فهو مطمئن ساكن واثق هادئ لأنه يعتمد على الركن القوى الله تعالى.

سهرت أعين ونامت عيون
فى شئون تكون أو لا تكون
إن رباً كفاك بالأمس ما كان
سيكفيك فى غد ما يكون

فالكآبة لا تعرف طريقاً إلى هذا الفرد القوى فى داخله، الواثق فى وجدانه، الثابت فى خطواته، وهذا هو الحى الحقيقى بين الناس :

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء



إنما الميت من يعـيـش كـئـيـبـاً
كـاسـفـاً باله قليل الرجـاء

● **الانشغال بالعمل :**

هذا الحى المتحرك يعلم أن العمل الدائم هو ديدنه والانشغال المتواصل هو دربه، وهذا ما تعلمه من يوم النبى ﷺ، روى أبو داود عن أبى سعيد أن النبى ﷺ دخل المسجد ذات يوم فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال : يا أبا أمامة مالى أراك جالساً فى المسجد فى غير وقت صلاة، قال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله، قال : أفلا أعلمك كلاماً إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك، قلت : بلى يا رسول الله، قال : قل إذا أصبحت وإذا أمسيت : اللهم إنى أعوذ بك من من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » قال : ففعلت فأذهب الله همى وقضى عنى دينى .

فالنبى ﷺ نفخ فى داخله قوة نفسية حتى يتهيئ لرعاية الله تعالى، واستغرب قعوده بالمسجد فردّه إلى ميدان العمل مفتتحاً يومه بهذا الدعاء فى أول نهاره ليخرج من سجن الضيق الذى أقعده وينقذ نفسه من غلبة الديْن وقهر الرجال .

● **حب الناس :**

وإذا أراد الاستمرار على هذه المعانى والثبات عليها، فليتأكد أنه بحق يحب نفع الآخرين ويحب من يتعامل معهم من الناس، ويضمن بذلك ألا يقف أو يتردد أو يتراجع فى التعامل معهم، فالحب للشئ يعمى ويصم وكذلك كره الشئ :

عـين الرضـا عن كل عـيب كليلة
ولكن عـين المقت تبـدى المسـاويا

فبحق لا ينفع أن يتعامل مع الناس إلا من كان أغناهم، روى أحمد قول النبى ﷺ : « ارضى بما قسمه الله لك تكن أغنى الناس » .

وأبداً أبداً لا تتردد، فهو عدو الثبات، وسوس الجرأة والاقدام، ويشهد يوم أحد كيف نزل النبى على رأى الشباب فى الخروج إلى أحد ثم أرادوا أن يتراجعوا لرأى النبى ﷺ ولكن النبى الكريم يضرب المثل قائلاً : ما كان لنبى أن يلبس لأمته (سلاحه) ثم يرجع حتى يحكم الله بينه وبين عدوه .

أما الخوف فهى كلمة ليست فى قاموس الجادين لأن بداخلهم هذه القوة،

ولا يجتمع الخوف مع القوة أبداً، لأن الخوف ينبع من الداخل: لقولهم: (من خاف الفقر افتقر ومن خاف الذل ذل) يقول المتنبى:

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى وما الأمن إلا ما رآه الفتى آمناً

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾ آل عمران / ١٥٩ .

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة

فإن فساد الرأى أن تترددا

والخروج من التردد أيضاً بالعمل والحركة الدائبة ، يقول أحد التابعين : (كنا نستعين على حفظ أحاديث رسول الله ﷺ بالعمل بها) ، ولن يثبت أحد على العمل إلا بالحب .

● **بالسماحة تجتاز الكثير :**

الله تعالى يترك للناس كما يقولون: فلتات الطباع وزلات الأقدام، وهذا من جميل أجزية الله للناس، وجميل من الناس أن يتعامل بعضهم بعضاً بهذه السماحة وأن يعاشر بعضهم بعضاً بهذا العفو الجميل.

يقول الشاعر:

إذا كنت فى كل الأمور معاتباً

صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها

كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه

ومن ثم فالعواصف الهادرة لا تؤثر فى قوة الفرد ولا تثنيه ولا تكسره، لأنه كالزرع يميل مع الريح برقته وليونته وتسامحه، أما الأشجار الصلبة فإن الريح يكسرها ويجعلها هشيماً تذروه الرياح، ووفق هذا المعنى روى البخارى حديث النبى ﷺ: « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج (أى تقوم وتنضج) ومثل الكافر كمثل الأرزة المجدبة على أصلها (لا تميل مع ريح لصلابتها) حتى يكون انجعافها مرة أخرى).

وفى رواية: [مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل الكافر كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد].

علمتنى الحياة أن لها طعمين

مراً وسائغاً معسولاً

فــتــعــودت حــالتــيــهـــا قـــريراً
والـفـت التــغــيــيـــر والتـــبـــديلا

روى البخارى أن مسلماً وقع فى أيدى المشركين فحبسوه ليقتلوه فتسرب إليه صبى من أهل الحى وقعد فى حجره! وكانت بين يدى الأسير موسى يحلق بها زوائده، فتلفتت أم الصبى مذعورة وقد رأت وليدها فى حجر الأسير وطارت بلبِّها الظنون فأقبلت عليه فزعة فنظر إليها الأسير فى وداعة ورقة وسماحة وقال لها: أظننت أن يصيب ابنك شر؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله.

●التميز والاستقلالية:

حياتنا نحن الذين نصنعها بتميزنا واستقلالية شخصياتنا، نؤثر وندفع ونغير ونشارك، فإن شئت جعلتها صالحة مؤثرة ورضيت، وإن شئت جعلتها هلاكاً وسخطت، وروى البخارى أن النبى ﷺ عاد مريضاً أعرابياً يتلوى من شدة الحمى فقال له مواسياً ومشجعاً: (طهور) فقال الأعرابى: بل هى حمى تفور، على شيخ كبير، لتورده القبور.

فقال ﷺ: «فهى إذاً» فمات الرجل من ساعته.

نعم هى حياتنا نشكلها كيفما أردنا، فالسعادة تنبع من داخلنا بالرضا، والتعاسة كذلك تنطلق من داخل الساخط.

والحلم والأناة وملك النفس عند الغضب تميز خاص لمن أراد أن ينطلق فى المجتمع، لأن من يغضب يلقى بقيادته إلى الشيطان بوجهه ولا يستمع إلى أى توجيه حتى ولو كان من رسول الله ﷺ وتأمل معى ما جاء فى صحيح البخارى: استب رجلان عند النبى ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه فنظر إليه النبى ﷺ فقال: إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه هذا: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقام إلى الرجل أحد من سمع النبى ﷺ وقال له: هل تدرى ماقال رسول الله آنفاً؟ قال: لا، قال: قال إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه هذا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال له الرجل: أمجنون ترانى] وهكذا بلغ به الغضب حداً لم يسمع توجيه النبى ﷺ.

ولا يزال الرجل بتميزه حتى يفتح الله عليه، فالله لا يهب المعرفة والحكمة إلا لانسان تعود على الإحسان فى شئونه كلها، يحكى القرآن عن يوسف عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿ **ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى**

المحسنين ﴾ يوسف / ٢٢، أما هؤلاء المنكمشون المنسحبون المترددون المتراجعون المغلوبون المنهزمون، الذين يعيشون فى حدود مطالبهم الخاصة، فإن كانت لهم حاجة اشتد احساسهم بها وألحوا فى تحقيقها ولا يزالون يسعون وراءها، غير عابئين بأحد ممن يتعامل معهم يومياً، هؤلاء أبعد ما يكونون من معرفة أو حكمة أو هبة أو منة من الله.

علمتنى الحياة أنى إن عشت
لنفسى أعيش حقيراً هزيلاً
علمتنى الحياة أنى مهما
أتعلم فلا أزال جهولاً

ولذلك فهم أصحاب فكر وشخصيات مستقلة تؤثر فى الناس وترفع من شأن المجتمع، ﴿ **ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات** ﴾ البقرة/ ١٤٨ .

فمع التسليم باختلاف النفوس واختلاف القلوب، واختلاف وجهات النظر، فضمان الصلاح والإصلاح، أن يكون لك هدفاً تتبارى من أجله وتسابق الناس فى تحقيقه وهو فعل الخيرات، الذى يحتاج إلى استقلالية الشخصية واحترام الآخرين أما الذوبان فى الناس فقد حذر منه النبى ﷺ فيما رواه الترمذى يقول النبى ﷺ : « لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .

وذلك مهما قال بعضهم عنك، ومهما لاكت فيك ألسنة البعض، فالمسألة مبدأ وطريق وهدف:

لو أن كل كلب عوى ألقمته حجرا
لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

وهذا أمر طبيعى يلقاه أهل التميز والفكر والرأى والعمل من بعض كسالى المجتمع الذين لا يجيدون إلا اللغو واللغط.

ثانياً: بوابات النجاة

● الفرد الذى يعمل فى المجتمع قد امتلك كل الخير يكفيه أن الله تعالى يمنحه الحياة الطيبة ، سواء كان رجلاً أو امرأة، صغيراً أو كبيراً ، فى أى موقع من مواقع المجتمع يقول تعالى : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ النحل/ ٩٧ .

● والفرد الذى يعمل فى المجتمع، يكفيه أيضاً أن يحقق العبادة الشاملة، **مع ربه**: بطاعته ومعرفته، **ومع الناس**: بفعل الخير وإسعادهم **ومع حماية المجتمع**: بالجهاد فى سبيل الله حق الجهاد بدرجاته وأنواعه المختلفة ، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ الحج/ ٧٧ : ٧٨ .

● ومن ثم كان علينا أن نجمع دوائر العمل الطبيعية التى يتعامل معها الفرد، وقد أسميناها (بوابات النجاة) لأنها بالفعل هى قوارب النجاة فى بحر الحياة المتلاطم الأمواج، التى تصل بفاعلها إلى أبواب الجنان، وهى التى ندندن حولها فلكل دائرة باب يدخل منه فاعلوه دون غيرهم، ولذلك كان التسابق فى العمل بمعنى الدخول من كل هذه الأبواب، وهذا هو الاجتهاد الحقيقى لمن أراد أن يحقق غايته، وكلما حقق الفرد النجاح فى أبواب فتح الله ويسر عليه عليه الولوج من بوابات أخرى، ويكفى الفرد أيضاً أن الله تعالى جعل هذه البوابات كثيرة، وجعل الطريق إليها سهلاً ميسراً، وقرّبها من الفرد وأحاطها به بصورة طبيعية من غير بحث أو مشقة أو عنت.

● وهناك أمور عامة تسرى على كل هذه الدوائر تحول بينك وبين الدخول من بوابتها وهى محصورة ومعدودة، ليسهل أيضاً تلافيها وتخطيها.

منها الظلم، فيما روى ابن ماجة عن ابن عباس أن النبى ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب: « إنى غفرت لهم ما خلا الظالم فإنى آخذ للمظلوم منه » .

ومنها الميوعة وعدم تحديد الوجهة وهو ما أطلق عليه النبى ﷺ « ذو الوجهين » فيما روى البخارى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ: « وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه » .

منها عدم التقدير الحقيقى للناس فى المجتمع: حينما صعد ابن مسعود الشجرة فبدت ساقاه نحيفتين فضحك بعض الصحابة من حموشتهما ونحافتهما فقال ﷺ: أتضحكون من حموشة ساقيه؟ .

والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من جبل أحد .

وفيما روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة » .

وفيما روى البخارى عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مر رجل على النبى ﷺ فقال لرجل عنده جالس : ما رأيك فى هذا؟ .

قال : رجل من أشراف الناس هذا والله حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل فقال رسول الله ﷺ : [ما رأيك فى هذا؟] فقال : يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا أحرى إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع، وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال : رسول الله ﷺ : هذا خير من ملء الأرض مثل هذا » .

ومنها عدم تحمل المسئولية : فالفرد مسئول عما استرعاه الله، فى أى دائرة، وفى أى جانب، وبعدم تحمله لهذه المسئولية يحرم نفسه من الوصول إلى هذه البوابة، فيما روى البخارى عن معقل حديث النبى ﷺ : « ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة » .

وفيما روى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« كلكم راع فمسئول عن رعيته، فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته » .

فليحرص فردنا على النجاة، وأبوابها قد تهيأت فأين الداخلون؟

أتطمع فى النجاة وكيف تنجو
ولست على نجاتك بالحريص
ولو فى نيلها أعملت حرصاً
لنلت الفوز بالثمن الرخيص

ولن يكون هذا الحرص على النجاة حقيقياً، إلا إذا تذكر الفرد دائماً الموت، لقد ذكر رجل عند رسول الله ﷺ فقال : كيف زهده للدنيا وتركه لما يشتهى منها ؟ قالوا : إنه ليصيب منها، قال :فكيف ذكره للموت؟ قالوا : ما سمعنا يكثر ذكره قال ﷺ : ليس صاحبكم هناك .

فيا صاحبى كن هناك بالحرص على بوابات النجاة، ليس فى الوصول إليها فحسب، بل بالدخول منها، إلى الجنان :

إنما الدنيا بلاغ
ليس فى الدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت
نسجته العنكبوت

ليس للطالب فيها
كل يوم غير قوت
كل من كان عليها
عن قليل سيموت

وهيا إلى دوائر العمل أو بوابات النجاة .

***

بوابات النجاة

١ ـ بوابة الأمانات

● كل الأجناس مسخرة أما الإنسان فقد اختار حمل الأمانة، ولكنه كان ظلوماً لنفسه لأنه حمل نفسه شيئاً ليس فى يده، وكان جهولاً لأنه قاس حمله للأمانة وقت التحمل فقط دون أن يراعى وقت الأداء، فدفعته العجلة إلى الاختيار السريع وكانت نظرته قريبة، يقول تعالى: ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً** ﴾ الاحزاب/ ٧٢ .

● وأصبحت الأمانات التى فى عنق الإنسان أمانة الخالق وأمانة الخلق، وأصبحا كجناحى الطائر لمن أراد أن ينطلق فى المجتمع، إذا انتفى أحدهما لم تتحقق حركة صالحة، ولذلك يقول تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنت تعلمون** ﴾ الأنفال/ ٢٧ .

فكثير من السلوكات الإنسانية تكون مستترة وغير ظاهرة للناس، وقانون البشر يحاسب على الظاهر فقط من الجرائم، أما المستتر منها فلا عقاب عليه لأن القانون لا يراها.

أما التعامل مع الله تعالى فهو شئ آخر لأنه يطلع على الظاهر والمستتر، والضمائر المستترة يعلمها الله ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور** ﴾ ولذلك فأى انتهاك لأمانة من هذه الأمانات هى خيانة فى الأصل لله ولرسوله ﷺ، والخيانة هى ضد التمام والكمال والوفاء.

ومثال ذلك أمانات المجالس فى نقلها إلى الآخرين كذلك، فلابد من مراعاة الأمرين معاً أمانة الخالق المطلع على ما فى الصدور ويسمع ويرى، وأمانة الخلق فى تقطيع الأواصر وتمزيق الحقوق.

● حينما جاء الواشى إلى زياد بن أبيه وكان يعاقب بالظنون، وكاد أن يأخذ بهمام بن عبد الله إلا أن همام قال ما أعجب زياد حينما جاء بالواشى: أنت امرؤ إما ائتمنك خالياً فخنت وإما قلت قولاً بلا علم فهو اثم (أى إما خائن أو آثم)، ومن إعجابه بمنطقه عاقب الواشى وأجزل العطاء لهمام. ومن خيانة الأمانات ما جعل الصحابى أبو لبابة يربط نفسه فى السارية لمدة أسبوع عقاباً على إشارة لليهود حينما سألوه عن حكم سعد فأشار إلى رقبته أى (بالذبح) وظل مربوطاً حتى فكه النبى ﷺ وعفا عنه.

وقصة حاطب بن أبى بلتعة قصة مشهورة فهو ممن شهدوا بدراً ومع ذلك اجتهد فى أمره، وأرسل رسالة إلى قريش يخبرهم فيها بمقدم رسول الله ﷺ إلا أن الرسالة تم اكتشافها قبل أن تصل إلى مكة، وقد عفا عنه القرآن والنبى ﷺ .

ولم يكن العفو إلا لأن الآية الكريمة اشترطت فى خيانة الأمانات التعمد فى الأمر لقوله تعالى: ﴿ **وأنتم تعلمون** ﴾ أى متعمدين غير ناسيين أو ساهين أو فلتات لسان.

* ثم أعقب الله الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿ **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم** ﴾ الأنفال / ٢٨ .

أى فاحذروا ما يسبب لكم خيانة الأمانات من فتنة المال والأولاد!! فقد يجبر المال البعض إلى خيانة أمانات تجارته ليحقق مصلحة ما؟ كما قد يجبر الأولاد البعض إلى خيانة الأمانة من أجل مصلحتهم؟ فهل يخون الفرد فى تجارته وفى عمله وفى علاقاته من أجل جمع المال؟ وهل يخون الفرد أمانات الناس من أجل تأمين مستقبل أولاده؟! .

ولو علم هؤلاء وهؤلاء أن النفع الحقيقى والمصلحة الحقيقية فى نيل الأجر من الله تعالى فى قوله عز وجل: ﴿ **وأن الله عنده أجر عظيم** ﴾ .

ولذلك إذا أراد الله بعبد خيراً جعله أميناً وأعانه على أداء الأمانات فى حق الله الخالق والخلق معاً من أداء الفرائض وإعطاء كل ذى حق حقه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ الحدود ونفع الغير والتسابق فى الخيرات.

والأمين وفق هذا المفهوم هو الذى ألهمه الله رشده وبصره عيوب نفسه، وجعل غناه فى قلبه، أما غير ذلك فتظهر عليه علامات تضييع الأمانة وإن زعم أنه أمين، فهو لا يبالى عما قال ولا عما قيل فيه، ولا يكون همه إلا فى دنياه وإصلاحها، ولا يبالى بأى تلف فى دينه، ونظرته الدائمة إلى نفع نفسه ومصالحه الشخصية دون اعتبار لمصلحة الناس أو نفع المجتمع بدوائره المختلفة.

٢ ـ بوابة الأقارب

● الأقارب هم الجد والجدة، والأخ وأبناؤه، والأخت وأبناؤها، والخال وأبناؤه، والعمة وأبناؤها، وأبناء الأبناء، لها اسم ذو معنى عميق فى الاسلام وهو (صلة الرحم) ويفسر ذلك حديث أبى هريرة الذى خرجه البخارى عن النبى ﷺ قال: «خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقال له: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال: ألا ترضين

أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك، قالت: بلى يا رب» .

فأصبح التعامل مع الله مباشرة، والعلاقة مع الرحمن وصلاً وصلة، أو إعراضاً وقطيعة.

● عن جبير بن مطعم أنه سمع النبى ﷺ يقول: « لا يدخل الجنة قاطع »، إذ كيف تتحقق له الجنة وهو مقطوع الصلة بالرحمن؟! وعن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سره أن يبسط له فى رزقه أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه)فليس الأمر فيما يدخره الله لواصل رحمه فى الآخرة من حصوله على نعيم الجنة، ولكن أيضاً فى الدنيا ينال ويحظى بنعيم من الله عظيم، حينما يبسط الله له فى رزقه، ويذكره الناس دائماً بالخير، وتلك عاجل بشرى المؤمن فى الدنيا، وهى دليل على تمكن صاحبها من الجزاء العميم فى الآخرة.

ولذلك كان النبى ﷺ يوجه كل خير يفعله الإنسان فى المجتمع إلى أقاربه، كترجمة عملية ودعوة سلوكية إيجابية، فارتفعت هذه القيمة فى أذهانهم، وأصبحت حاضرة فى مشاعرهم ووجدانهم، روى البخارى عن أنس قصة أبى طلحة عندما نزلت هذه الأية ﴿ **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** ﴾ فقام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ يتصدق بأحب بستان قائلاً: إنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: « بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت، [وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين] فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله ، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه .

وحينما نتأمل هذا المشهد العملى العميق نرى أن النبى ﷺ مع أن أبا طلحة جعل له الاختيار فى توزيع ما تصدق به إلا أن النبى ﷺ يقول: « وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين» فجعل النبى ﷺ له حرية الاختيار حتى يعمق النبى الكريم هذا المعنى فى نفسه باختياره وحريته دون إكراه أو فرض رأى أو تنفيذ أمر، بكل ما تحويها كلمة [وإنى أرى] .

وروى الشيخان عن ميمونة زوج النبى ﷺ أنها أعتقت وليدة لها فقال لها النبى ﷺ: «ولو وصلت بعض أخوالك كان أعظم لأجرك» .

وسرت هذه القيمة بحثاً عن الأجر الجزيل فهذه أم سلمة قالت: يا رسول الله: هل لى من أجر فى بنى أم سلمة أن أنفق عليهم قال: (نعم لك أجر ما أنفقت عليهم) ثم صار الأمر سجية وطبعاً دون تكلف أو صناعة فمن صفات الشعبى التى حكاها عن نفسه قوله: وما مات ذو قرابة لى وعليه دين إلا قضيته



وإذا كانت صلة الرحم هى صلة بالرحمن وصلة الرحمن بك، وإن كنت بها تحصل على الجنة فماذا تفعل إن جفاك أقاربك؟ أو تنكروا لك؟ أو آذوك؟ أو قطعوا صلتهم بك؟ أو نسوا معروفك؟ أو لم يشكروك على صنائعك لهم ؟ .. هل تكون قاطعاً ؟ كلا فأنت تصلهم ليصلك الله وأنت لا تكن قاطعاً لأن الجنة لا يدخلها قاطع، ولذلك فعلى العاقل أن ينطلق من هذا المفهوم انطلاقة قد يراها البعض مثالية ولكنها هى الواقع الجميل الذى يتحرك به الفرد الصالح : بالحب يبدد جفاءهم، وبالرفق يعالج تنكرهم، وبالصبر يقابل آذاهم، وبالصلة يواجه قطيعتهم، ويزيد من المعروف إن نسوه، ولا ينتظر حمداً أو شكراً فالصنائع لله وقد كتب له أجره... وبذلك ينجو من حبائل الشيطان بأن يكون قاطعاً فيقطعه الله !! .

وبعد كل ذلك عليك أن تسأل نفسك : هل أنا محور لأقاربى والعائلة؟ هل أنا منبع الحب فى عائلتى؟ هل يلجئون إلىّ عند المشكلات والملمات ؟ هل يفتشون عنى ويجهدون أنفسهم فى الوصول إلىّ لمقابلتى؟ قد يقول البعض أن ذلك شيئاً مثالياً بعيد المنال، ولكن إذا تعمقنا فى مشهد كعب بن مالك مع ابن عمه (أبى قتادة) لوجدنا هذه الشخصية فى واقع الحياة، ونترك كعب يحكى حينما تخلف عن تبوك ولم يكن له عذر فقاطعه الرسول والمسلمون والمجتمع يقول :(حتى إذا طال ذلك علىّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلىّ، فسلمت عليه، فوالله ماردّ علىّ السلام! فقلت : يا أبا قتادة أنشدك بالله، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله؟ فسكت . قال : فعدت فناشدته، فسكت، فعدت فناشدته، فقال : الله ورسوله أعلم! ففاضت عيناى، وتوليت حتى تسورت الجدار) .

فكان أبو قتادة هذه الشخصية المحورية فى أقاربه فهذا كعب صاحب المشكلة لم يلجأ لأحد من البشر بعد الله إلا إليه، حتى أنه تسور الجدار وما فيه من عنت ومشقة، ليجد راحته عنده، وحلا لمشكلته وتفيض عيناه، ومعه كل الحق وهو يقول : (وهو ابن عمىّ وأحب الناس إلىّ) وهذا ما قصدناه .

٣ ــ بوابة الوالدين

يقول الله تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير** ﴾ لقمان/ ١٤، تأمل

معى هذه الآية الجامعة لترى حكمة الله تعالى العليا وهو يذكرنا بهذه البوابة التى توجب الجنة لمن يدخل منها وهذه جولة حول أنوار هذه الآيات :

أولاً : وصية من الله :

هى وصية من الله مباشرة إلى الإنسان، والوصية حينما تأتى من الله تعالى، فإن ذلك دليل على أهمية الوصية من ناحية وعظم الثواب الذى ينتظر الإنسان من ناحية أخرى، لذلك يقول تعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه** ﴾ . . . لماذا كانت الوصية؟ لأن الأم تحملت الكثير ومن يتحمل فهو معروف أنه لابد أن يكون قوياً، ولكن أن يتحمل وهو ضعيف، فهو تحمل ما بعده تحمل! وتعب فوق تعب، وشدة على شدة وضعف على ضعف، ليس ليوم أو شهر أو سنة وإنما لسنتين ﴿ **وفصاله فى عامين** ﴾ .

ثانياً : شكرهما بعد شكر الله :

● فياله من مقدار عظيم من رب العالمين حينما يقرن شكره بشكر الوالدين، فإذا كان شكر الله على ما أنعم به على الإنسان، فإن الشكر للوالدين على قيامهما بالتربية والرعاية والعناية وتحمل المشقات حتى يقوى الابن ويكبر ويعتمد على نفسه، ولذلك فإن الله يذكر الإنسان بأن الأمر يحتاج إلى الصدق والعمل والبر، لقوله تعالى : ﴿ **وإلىّ المصير** ﴾ .

ثالثاً : المصاحبة الدائمة بالمعروف :

● مهما كان من أمرهما فالأمر واضح من الله فى أن الطاعة دائمة ومستمرة فى كل حين، بل وفى كل لحظة إلا فى حالة واحدة، إن دعواه إلى الكفر بالله، ومع ذلك فالواجب أيضاً على الإنسان برهما، لقوله تعالى : ﴿ **وصاحبهما فى الدنيا معروفاً** ﴾ وقد نزلت هذه الآية فى سعد بن أبى وقاص يحكى الواقعة سعد قائلاً : لما أسلمت حلفت أمى لا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً، قال :

فناشدتها أول يوم فأبت وصبرت، فلما كان اليوم الثانى ناشدتها فأبت، فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت : والله لو كانت لك مئة نفس لخرجت قبل أن أدع دينى هذا، فلما رأت ذلك وعرفت أنى لست فاعلاً أكلت .

● ويقول تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً** ﴾ الاسراء/ ٢٣ : ٢٤ . ومن أنوار هذه الآيات تلك الإشراقات :



أولاً : بر الوالدين بعد عبادة الله :

فقد قرن الله تعالى عبادته بالإحسان إلى الوالدين، وهل هناك أمر يقرن بعبادته تعالى إلا لأهميته القصوى، وخطورته العظمى، وهل هناك أمر فى الوجود يفوق فى أهميته بعد عبادة الله تعالى : الإحسان إلى الوالدين؟!

ثانياً : رحلة مع الوالدين كلها نور :

حقاً إنها رحلة الحياة مع الوالدين، الرحلة التى بحرها الشعور والاحساس، وسفينتها الحب والعاطفة، وثمارها الحنان والسكون والأمان والطمأنينة، ومهما كان عمر الابن فالبر عليه واجب مادام له أبوان ﴿ **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما** ﴾ يالها من حياة جميلة رائعة وارفة الظلال كلها نور ، لا تسمع فيها ﴿ **أف** ﴾ فما بالك بكلمات النهر والزجر.

قالوا فى تفسيرها : لا تؤفف من شئ تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس ولكن اصبر على ذلك منهما واحتسب فى الأجر كما صبرا عليك فى صغرك.

ويقولون فى الحكمة : (من أرضى والديه أرضى خالقه، ومن أسخط والديه فقد أسخط ربه).

ثالثاً : كن لهما ذليلا :

فى قوله تعالى : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾ لا يمتنع الابن من تنفيذ أى شئ يحبانه وأى أمر يريدانه، وقالوا فى تفسير الآية : كن لهما ذليلاً ولا تكن لهما ذلولاً.

رابعا : ربِّ ارحمهما :

إنها المشاعر حينما تتجمع، والعواطف حينما تمتزج، فيتجه الكيان والوجدان إلى الربِّ، الذى مَنْ بالوالدين ووفقهما إلى أحلى تربية للأبناء، بهذا الدعاء الجامع : ﴿ **رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً** ﴾، بكل ما تحويه كلمة (رب) (ربيانى) من جو التربية الصافى والتعهد الصادق والرعاية الفائقة والعناية المستمرة والدفء الدفاق والحنان الحانى، وهو جو نادر، لا يتوفر إلا بالله ومع الوالدين فقط، وجاءت كلمة (صغيرا) لتؤكد أن الابن مهما بلغ عمره فهو صغير تحت رعاية والديه وتعهدهما له بالعناية.

خامساً : كن كريما :

فى قوله تعالى : ﴿ **وقل لهما قولاً كريما** ﴾ ليس المقصود، أن يكون الكلام هيناً ليناً طيباً فحسب، بل يكون كل الإنسان جميلاً حسناً قالوا فى

التفسير: أحسن ما تجد من القول ولا يمتنع من شئ يريدانه أى فى الفعل فكن معهما ليناً سهلاً كريماً.

سادساً: كونوا معهما صالحين :

وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **ربكم أعلم بما فى نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا** ﴾ الاسراء/ ٢٥، أى أن الله أعلم بما فى نفوسكم من تعظيمكم أمر آبائكم وأمهاتكم تكرمتهم والبر بهم، فما فى ضمائر صدوركم لا يخفى على الله ، (إن تكونوا صالحين) فى نياتكم منهما وطاعتكم الله فيما أمركم بالبر بهما والقيام بحقوقهما عليكم.. هنالك تكون المغفرة من الله لكل هفوة منكم أو زلة فى واجب لهما عليكم، فإنه للأوابين والتوابين من هفواتهم وزلاتهم غفوراً.

وهذه جولة مع رسول الله ﷺ.

● **بوالديك تدخل الجنة :**

عن أنس أن النبى ﷺ لما صعد المنبر قال: أمين أمين أمين، قيل يا رسول الله: علام أمنت؟ قال: أتانى جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك قل: أمين، فقلت: آمين ، ثم قال: رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له، قل: آمين، فقلت: أمين ثم قال: رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، قل: آمين، فقلت: آمين.

وفيما روى مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قول النبى ﷺ: «رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عند الكبر ولم يدخل الجنة».

● **بوالديك يغفر لك :**

خرج النبى ﷺ ذات يوم وهو ماد يديه رافع صوته يقول: «من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار بعد ذلك فأبعده الله أو أسحقه».

وفى رواية: «من أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله عز وجل».

● **خصال بر الوالدين بعد موتهما :**

روى الامام أحمد عن مالك بن ربيعة الساعدى قال: بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هل بقى علىّ شئ من برّ أبوى بعد موتهما أبرهما به؟ قال:

نعم خصال أربع: الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلها فهو الذى بقى عليك من

برهما بعد موتهما.

● **الجنة عند رجليها :**

روى الإمام أحمد عن معاوية بن جاهمة السلمى أن جاهمة جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أردت الغزو وجئتك أستشيرك؟ فقال: فهل لك من أم؟ فقال: نعم قال: فالزمها فإن الجنة عند رجليها.

● **وبعد :**

هذه بوابة مفتوحة على مصراعيها فهل أنت على استعداد للدخول منها، حتى تفتح كل الأبواب وكل البوابات؟ .

كل بسمة فى وجه الوالدين أو أحدهما مغفرة من الله لصاحبها من الذنوب والخطايا .

الوالدان إلى شكر الإله وصول
والوالدان إلى دار السلام سبيل
صل والديك ولا تقطع حبالهما
ليجزينك فى دار البقاء جليل

٤ ـ بوابة الضيوف

● **جائزة الضيف :**

روى البخارى ومسلم من حديث شريح العدوى قال: سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبى ﷺ فقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» .

ومعنى إكرام الضيف: أن يكرمه لوجه الله وأن تكون ضيافته من حلال، وثواب الضيف أنه بوابة للجنة والنجاة من النار .

يا مكرم الضيف للرحمن خالقنا
عند الصراط ستلقى الخير موفوراً
أكرم ضيوفك كى ترجو الجوار غداً
على الصراط وترجو الخلد مجبوراً

وقد جعل طعام الضيف على ثلاثة أنواع:

١ ـ المخلوف :

وهو أعظم أجراً، الذى يطعم لوجه الله لايريد به غير الله تعالى ولا يطلب

به جزاء من مخلوف .

٢ ـ المسلوف :

الذى تضيفه مرة ويضيفك مرة، وهو أقل أجراً من سابقه.

٣ ـ المتلوف :

وهو حسرة وندامة يوم القيامة لأنه كل إطعام على المعاصى.

● لا تتكلف للضيف :

التكلف للضيف ضد إكرامه، ففى التكلف للضيف الملل من ضيافته، والتأفف واستثقال مكثه، ومن التكلف للضيف عدم المداومة على حسن الضيافة، عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: (يا عائشة لا تتكلفى للضيف فتمليه) أى داومى على إكرام الضيف حتى يصير ذلك طبعاً وسجية وعمل محبب إلى النفس، وهذا ما جعل أبا بكر يغضب على أهله لتأخرهم فى تقديم الطعام إلى الضيوف حينما تأخر عند رسول الله ﷺ فقالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك أو قالت: ضيفك؟ قال: أو ما عشيتيهم؟ قالت: أبوا حتى تجئ قال عبد الرحمن بن أبى بكر: فذهبت أنا فاختبأت (لعلمه بغضب أبى بكر عليه لتقصيره بالقيام بواجب الضيافة) .

حتى أنه قال: (والله لا أطعمه أبدا) وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا وربا من أسفلها أكثر منها ، ثم يكمل عبد الرحمن: حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك!! فنظر أبو بكر فإذا هى كما هى أو أكثر منها فقال لامرأته: يا أخت بنى فراس ما هذا؟

قالت: لا . . . وقرة عينى لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات (لا عن حال الطعام وأقر الله عيوننا وأرضى نفوسنا) .

ثم يكمل عبد الرحمن: فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان (يعنى يمينه) ثم أكل منها لقمة (لتطييب قلوب الضيوف وتأكيداً لدفع الوحشة وإزالة جو التوتر الذى سببه تأخير الطعام عن الضيوف) .

وهكذا أقر الله نفس أبى بكر وامرأته لإكرامهما للضيوف، وعدم التكلف لهم.

● الضيف من أهل البيت :

لا تستغرب لهذا العنوان، فمن تأثيث البيت أن يكون هناك فراش للضيف، مثل فراش الرجل، وفراش المرأة وهذا يدل على مساواة الضيف بأصحاب البيت، وحقه فى البيت كأصحابه، فيما روى مسلم عن جابر بن عبد

الله أن النبى ﷺ قال :
« فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع للشيطان » فما زاد على هذه الأساسيات فهو لغير مصلحة ولغير حاجة، ونصيبه للشيطان.

ومن حسن الضيافة أن يتحرك أهل البيت فى خدمة الضيوف، الرجل والمرأة والأبناء .

فيما روى البخارى من حديث سهل قال: (لما عرس أبو أسيد الساعدى دعا النبى ﷺ وأصحابه فما صنع لهم طعاماً ولا قربه إليهم إلا امرأته أم أسيد، بلت تمرات فى تور من حجارة من الليل ، فلما فرغ النبى ﷺ من الطعام أماثته له فسقته تتحفه بذلك) وهكذا كانت المرأة فى خدمة الضيوف وهى عروس تقدمه بنفسها وهى سعيدة تسعد ضيوفها (تتحفه بذلك) .

● **ثمار الضيافة :**

ما أحلاها من ثمار، لو علمها الناس لأحبوا الضيوف، وبحثوا عنهم جادين لاستضافتهم، فهو ينزل برزقه على أهل المنزل، ويرحل بذنوب أهل المنزل، لحديث أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « أيها الناس لا تكرهوا الضيف فإنه إذا نزل نزل برزقه وإذا رحل رحل بذنوب أهل المنزل » فعلام يكره البعض الضيف، وهو كطائر يأتى بالغنائم خافضاً جناحيه، ثم يفردهما راحلاً بعد أن يطهر أهل المنزل ويتركهم على صفحة بيضاء نقية؟! فالأولى بنا حب الضيف الذى يدفعنا إلى البحث عنه والتسابق إليه والتنافس فى ضيافته وحسن إستقباله وإكرامه والاستعداد لمكثه أيام جائزته، فهو كنز لأهل البيت.

● **تلبية الدعوات :**

من جميل المعاشرة تلبية الدعوات العامة والخاصة،وهذا كثير من مواقف النبى ﷺ من دعوة جابر لرسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه لما رأى فى رسول الله ﷺ خمصاً شديداً، وكان الطعام متواضعاً حتى أن زوجته قالت له: لا تفضحنى برسول الله ﷺ وبمن معه، يقول فجئته فساررته، إلا أن رسول ﷺ أراد أن تكون معجزة فى بيته فدعا أهل الخندق وهم ألف، يقول جابر: فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن بُرمتنا لتغط كما هى وإن عجيننا ليُخبز كما هو.

وكذلك شهد بيت أبى طلحة معجزة نبوية أخرى حينما قال أبو طلحة لزوجته: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفاً أعرف منه الجوع فهل عندك من شئ؟ فأعدت طعاماً متواضعاً إلا أن ثمانين رجلاً أكلوا منه حتى شبعوا ثم

خرجوا وما بقى وزع على الجيران .

أما الدعوات الخاصة فمن الأدب أن تكون بعدد الحاضرين وهذا ما رواه الشيخان عن أبى مسعود قال : جاء رجل من الأنصار يكنى أبا شعيب فقال لغلام له قصاب (جزار) اجعل لى طعاماً يكفى خمسة فإنى أريد أن أدعو النبى ﷺ خامس خمسة فإنى قد عرفت فى وجهه الجوع، فدعاهم، فجاء معهم رجل فقال النبى ﷺ : « إن هذا قد تبعنا فإن شئت أن تأذن له فأذن له، وإن شئت أن يرجع رجع » فقال : لا بل أذنت له .

● **التسابق فى استضافة الضيوف :**

روى الشيخان من حديث أبى هريرة أن رجلاً أتى النبى ﷺ فبعث فى نسائه فقلن : ما معنا إلا الماء فقال رسول الله : من يضيف هذا؟ فقال رجل من الأنصار : أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمى ضيف رسول الله ﷺ فقالت : ما عندنا إلا قوت صبيانى فقال : (هيئى طعامك وأصبحى سراجك ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء) فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال : (ضحك الله الليلة) أو (عجب من فعلكما) فأنزل الله تعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

وما أروع أن تبدأ بنفسك إذا كان الأمر تسابقاً فاترك الفرصة لغيرك كما فعل النبى ﷺ حتى أن الرجل ترغيباً لزوجته فى اكرام الضيف قال لها : اكرمى ضيف رسول الله ﷺ .

ولا يخشى أحد قلة طعام فليبادر والله يسمع ويرى، روى البخارى من حديث أبى هريرة قول النبى ﷺ : « طعام الاثنين كافى الثلاثة وطعام الثلاثة كافى الأربعة » ومن أدب الضيف كما كان يفعل النبى ﷺ أن يشكر من استضافه ولا يعيب طعامهم إن اشتهاه أكله وإلا تركه، روى البخارى عن أبى هريرة قوله : ما عاب النبى ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

٥ ــ بوابة الجيران

● **اكتمال الايمان بالجيران** « لا تؤذوا جيرانكم »

لا يكتمل ايمان المؤمن إلا إذا انتفى تماماً أى ايذاء للجار، وهذا ما دفع رسول الله ﷺ إلى القسم بالله لتأكيد حق الجار بل إنه كرره ثلاثا، لأهمية

اقتناص هذه الفرصة لاكتمال الإيمان باجتناب ما يؤذى الجيران سواء كان فعلاً أو قولاً، فيما روى البخارى حديث النبى ﷺ : والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل: من يا رسول الله قال: « الذى لا يأمن جاره بوائقه » أى شره، وهى دعوة إلى المعايشة بأمان وسلام بحيث لا يضمر الجار لجاره أى بادرة تؤذى حتى مشاعره وإحساسه فالنفوس صافية والقلوب طاهرة والألسن طيبة والحياة طيبة والتعايش كريم ونظيف فمن حافظ على ذلك نجا وصار إلى جنة الخلد.

وقد فسر النبى ﷺ هذا الحفظ للجار فقال ﷺ :« ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جوعان أو بات ريّان وجاره عطشان »

فلا ينفع زعم الإيمان وأداء الفرائض بدون هذه المشاعر وهذه العاطفة، بحيث لا يعرف النوم طريقاً إلى العين والجار جائع أو عطشان أو قس على ذلك حزين أو مهموم أو محتاج أو مريض أو فى معاناة أو ألم أو غم أو خوف.

● **أكرموا جيرانكم :**

روى الشيخان من حديث شريح العدوى قال:

سمعت أذناى وأبصرت عيناى حين تكلم النبى ﷺ فقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) .

فإن علامة الإيمان بالله واليوم الآخر أن يكون لها أثر فى الواقع، وأول ما يظهر هذا الأثر على الأقرب فالأقرب ، خاصة الجار، ومعنى إكرام الجار: أن ترفعه من العثرات وتوقظه من الغفلات، وأن تحل له المشكلات، وتدفع عنه المصيبات، وتلهمه إلى الطاعات، وتأمره بالطيبات، وتقضى معه أحلى اللحظات وأروع الساعات، وأجمل الأوقات.

وروى البخارى أيضاً قوله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »، ولا يزال هذا الجو من الأمن والسلام والطمأنينة حتى تكتب فى هذا الوجود تحت عنوان (خير الجيران عند الله) يقول ﷺ فيما رواه الترمذى: « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره »، وليس هذا التسجيل فى الدنيا ليزول بل هو عند الله تعالى، وما عند الله خير وأبقى ولا ينفذ أبداً.

● **العمل مع الجيران طاعة :**

فإذا سلمنا بأن اكتمال الإيمان بالإحسان إلى الجيران وأن علامة الإيمان إكرام الجيران، كان كل إحسان أو علامة أو صلة أو بر مع الجيران هو طاعة وعمل بالسنة والقرآن، فيما اتفق عليه الشيخان قول النبى ﷺ : « ما زال يوصينى

بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » أى يجعله يرث مثل الأقارب، وفى رواية : (لقد أوصانى ربى ليلة أسرى بى بحفظ الجار حتى ظننت أنه سيورثه) ، فهذه وصية من الله تعالى نزل بها جبريل على قلب النبى ﷺ، والعامل بها هو فى طاعة لله تعالى وعاملاً بسنة النبى ﷺ، وقربة ووسيلة ودرجة عند الله وفضيلة :

يا حافظ الجار ترجو أن تنال به
عفوالإله وعفو الله مذخور
الجار يشفع للجيران كلهم
يوم الحساب وذنب الجار مغفور

فإن بعض العلماء يرى شفاعة الجار لجيرانه

● **الجار من أسباب السعادة :**

فيما روى أحمد عن نافع بن الحارث قال قال رسول الله ﷺ : « من سعادة المرء الجار الصالح والمركب الهنئ والمسكن الواسع » وذلك لما فى هذه الأشياء الثلاثة من راحة البال، وطيب العيش، وطمأنينة القلب، وصفاء النفس.

فلماذا لانرفع هذا الشعار « الجار الصالح » ليكون بحق سبباً من أسباب سعادتنا، ولماذا لا يكن أحدنا هذا (الجار الصالح)لإسعاد المجتمع، ولذلك ضيق النبى ﷺ أى صور للتباعد أو الإختلاف بين الجيران، وجعل للجار حقوقاً فى أشياء صغيرة حتى يكون الباب مفتوحاً لما بعدها، فيما روى الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه فى جداره) ثم يقول أبو هريرة مالى أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم.

● **الهدية سحر الجيران :**

دعا النبى ﷺ إلى التهادى بين الجيران والمداومة على هذا الخلق، مهما كان صغيراً أو قليلاً حتى يصير ذلك طبعاً وشيئاً مألوفاً بين الجيران فيما روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : [يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسِنْ شاة] ، الفرسن هو حافر الإبل كقدم الإنسان ويطلق استعارة على الغنم، والمقصود المبالغة فى إهداء الشئ اليسير وقبوله، لا إلى حقيقة الفرسن، لأنه لم تجر العادة على إهدائه، فالمعنى : لا تمتنع جارة عن إهداء جارتها من الموجود عندها استقلالا له بل ينبغى أن تجود لها بما تيسر وإن كان قليلاً فهو خير من عدم الإهداء، وأيضاً للمهدى إليها النهى عن أنها تحتقر ما يُهدى إليها ولو كان قليلاً، فهى رسالة متبادلة بين الجيران فيها حض على التهادى ولو باليسير لأن الكثير قد لا يتيسر كل وقت، وإذا تواصل اليسير صار

كثيراً، والهدف هو المقصود تحقيقه بين الجيران من إشاعة الحب ونشر المودة وإسقاط الكلفة والتكلف بينهم، وعدم السآمة أو الملل بإحياء العلاقات الشعورية فى كل لحظة، ولذلك كان النداء من النبى ﷺ : يا نساء المسلمات لأنهن هن المتفرغات لهذا الأمر، وتلك مهمتهن الخاصة بهن، ودورهن المناط بهن فى الحركة مع الجيران كربات للبيوت ومدبرات للمنازل.

● صورة من الواقع :

ومن الأمور التى تيسر اليوم العلاقات والصلات بالجيران العمارة الواحدة والمدينة السكنية والقرية الواحدة والقرى السياحية والمدن الصغيرة، وكلها عبارة عن عدد محدود من الجيران، يعيشون فى جو اجتماعى مغلق عليهم مما يسهل التعارف والتحاب والتعاون وحفظ الجار وأداء كل الحقوق، لا يقل دور المرأة عن الرجل بل كما رأينا من مهام خاصة للنساء يفوق ويتفوق من أجل مجتمع سعيد. وهذه صورة من واقع الحياة، كيف كان الحسن البصرى جاراً صالحاً لأهل البصرة، وحينما أخبر أحدهم عنه، قال: أنا جاره فى بيته، وجليسه فى مجلسه فماذا قال عنه؟ .

قال مسلمة بن عبد الملك: أخبرنى يا خالد بن صفوان عن حسن البصرى فإنى أظن أنك تعرف من أمره مالا يعرف سواك؟

فقلت: أصلح الله الأمير، أنا خير من يخبرك عنه بعلم فأنا:

جاره فى بيته وجليسه فى مجلسه وأعلم أهل البصرة به

فقال مسلمة: هات ما عندك

فقال: خالد: إنه امرؤ :

- سريرته كعلانيته.
- وقوله كفعله.
- إذا أمر بمعروف كان أعمل الناس به.
- وإذا نهى عن منكر كان أترك الناس له .
- ولقد رأيته مستغنياً عن الناس .
- زاهداً بما فى أيديهم .
- ورأيت الناس محتاجين إليه .
- طالبين ماعنده .

فقال مسلمة: حسبك يا خالد حسبك كيف يضل قوم فيهم مثل هذا؟ نعم كيف يضل مجتمع فيه جار مثل الحسن البصرى فأين نحن من الحسن البصرى؟!!.

٦ ـ بوابة حب الناس
ثلاثون طريقة لحب الناس
« القواعد الثلاثون »

لم أجد اسماً معبراً عن هذه البوابة غير هذا العنوان « حب الناس » فهى كلمة جامعة حوت كل المعانى والقيم والأخلاق والسلوكات التى من شأنها أن تضمن لك النجاح فى علاقاتك مع الناس، والمقصود بالناس: كل من تتعامل معهم من أفراد المجتمع غير دوائرك الصغيرة أى غير أسرتك وأقاربك وجيرانك وضيوفك ووالديك، ولذلك فالناس هم الدائرة الكبيرة التى تحيط بك ولا تخلو لحظة من لحظات يومك إلا وأنت تغوص فى هذا المحيط الضخم، فأنت فى عملك تتعامل مع قطاع عريض من الناس، والتاجر يومه كله مع الناس، وهناك مؤسسات فى المجتمع أساس عملها الناس كالجامعات والمدارس والمستشفيات والمساجد والمصانع والشركات ومنافذ البيع والمرافق الخدمية وأقسام الشرطة والفنادق والمسارح ودور الترفيه والمؤسسات الاجتماعية والهيئات الحزبية والنوادى الرياضية والنقابات والاتحادات النوعية والمراكز المتخصصة وغير ذلك كثير وكلها تتفق فى أمر واحد هو التعامل المباشر مع الناس بأعمارهم المختلفة وشرائحهم المتنوعة، وبيئاتهم المتباينة، وثقافاتهم المتعددة.

ولا شئ فى الحقيقة يتفق عليه الناس وفق هذا الاختلاف الظاهر إلا من ينفذ إلى قلوبهم بالحب، وهذا الحب يفرض على الإنسان التعامل بأخلاق الحب، ومن ثم يكون له سلوك فريد ومتميز وراقى، يحقق ما نصبوا إليه من هدف هذا الكتاب من حركة طبيعية لا تعرف التكلف أو التصنع أو التملق أو التزين، ولذلك فقد وفقنا الله تعالى إلى جمع ثلاثين قاعدة سلوكية مع الناس فى إطار الحب تحقق بها الهدف فى سهولة ويسر، وهو أن يحبك الناس ويوضع لك القبول فى الأرض، ولنبدأ هذه الجولة بتوفيق من الله تعالى.

أولاً : كيف يحبك الناس؟

كثير من الناس يحب الناس ولا يجدون حباً من الناس، ولذلك فالعبرة ليست فى أن تحب الناس ولكن فى أن يحبك الناس ولكى تضمن أن يحبك الناس، فإن لهذا الأمر قصة أو ضحها لنا النبى ﷺ فيما رواه البخارى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى

جبريل فى السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى الأرض».

فليس الأمر كما يقولون فهلوة وشطارة وذكاء واستمالة وعاطفة، وإنما هو حب من الله للإنسان، هو توفيق من الله وسداد، لمن حقق حبّه أصلاً لله تعالى الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

ولذلك فلا ضير على حركة هذا الإنسان بين الناس، حتى أن البعض الذين يحبونه ويشتاقون إليه ولم يلحقوا به علماً وفكراً أو حركة وجاهاً أو ورعاً وتقوى، فقد منّ الله عليهم بأن يكتبوا معه فى الثواب وفى الحشر يوم القيامة وهذا من نفعه الخفى للناس جميعاً ففيما رواه البخارى من حديث أبى موسى قيل للنبى ﷺ الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ قال: (المرء مع من أحب)

ثانياً: بهذا يحبك الناس:

من الكلمات الجامعة فى ذلك قول النبى ﷺ: «وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس» إن العين التى تنظر إلى ما فى أيدى الناس يسقط صاحبها من أعينهم، فما بالك باليد التى تمتد بالطمع؟! .

إن القلب الذى يتطلع إلى حظوظ الناس يحكم على صاحبه بالفشل ويسجنه مدى الحياة عن سر سعادته وسروره، فما بالك بقلب يتمنى ويكره ويحب ويعطى ويمنع؟!!.

هذا هو سر حب الناس إياك الذى أوصى النبى ﷺ به رجلاً فقال: ايأس مما فى أيدى الناس تكن غنياً» رواه الطبرانى.

والغنى عن الناس هو أول مفتاح لهذه البوابة الكبيرة، ثم يأتى ثانى مفتاح وهو عزُّ الإنسان وهى درجة أرقى من الغنى يروى من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: «شرف المؤمن قيامه بالليل وعزُّه استغناؤه عن الناس».

يقول الحسن: «لا تزال كريماً على الناس ولا يزال الناس يكرمونك مالم تعاط ما فى أيديهم، فإذا فعلت ذلك: استخفوا بك وكرهوا حديثك وأبغضوك».

وقال أيوب السختيانى: لا يقبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: «العفة عما فى أيدى الناس والتجاوز عما يكون منهم».

وكان عمر بن الخطاب يقول فى خطبته على المنبر: «إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى» بمعنى إذا أيس الإنسان من شئ استغنى عنه.

بل من زهد فيما أيدى الناس وعف عنهم لا يحبونه ويكرمونه فحسب، بل

يسود عليهم، وتأمل معى هذا الأعرابى الذى قال لأهل البصرة: من سيد هذه القرية؟ قالوا: الحسن، قال: بم سادهم؟ قالوا: احتاج الناس إلى علمه واستغنى هو عن دنياهم.

وما أوفق تشبيه السلف فى قولهم عن الدنيا:

وما هى إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب همهن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

ثالثاً: الطريق إلى حب الناس:

[القواعد الثلاثون]

١ - لا تمنعوا عاماً للناس:

هناك أمور عامة، الناس جميعاً فيها شركاء، فى سنن أبى داود قول النبى ﷺ: «الناس شركاء فى ثلاث الماء والنار والكلأ».

هذه الشراكة لا تؤثر فيها اختلافات الأفراد فى المجتمع، فهى حقوق عامة للناس مهما تباينوا، فى الصحيحين عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ».

وفى سنن أبى داود: أن رجلاً قال: يا نبى الله ما الشئ الذى لا يحل منعه قال: الماء، قال: يا نبى الله ما الشئ الذى لا يحل منعه؟ قال: الملح، قال: يا نبى الله ما الشئ الذى لا يحل منعه؟ قال: أن تفعل الخير خير لك».

وبذلك فكل خير للناس، العمل على تنميته، واستمراره والتواصى به، وتنظيم وصوله للناس، من الأشياء التى لا يحل منعها عن الناس، مثل بعض الخدمات المجانية والرمزية، أو الإعانات والمعاشات، أو وجوه التيسير فى أمور الحياة كالزواج أو السكن أو التعليم، ووجوه الخير كثيرة وقد تحدثنا عنها من قبل بالتفصيل.

٢ - لا تضروا الناس:

والقاعدة فى ذلك: «لا ضرر ولا ضرار فى الإسلام» وهو أمر مفهوم لمن يتعامل مع الناس، حتى أن النبى ﷺ منع الضرر بالناس، وجاء الدين ليسقط الصوم عن المريض والمسافر، ويقول تعالى: ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾، وفى المسند عن ابن عباس قيل لرسول الله ﷺ: (أى الأديان أحب إلى الله؟ قال: الحنيفية السمحة)، لا تشدد يفضى إلى العذاب، ولا

تفريط يؤدى إلى الإنحراف، وقد سبق أن عرضنا ما جاء فى الصحيحين عن أنس عندما رأى النبى ﷺ رجلاً يمشى فى الحج، قيل: إنه نذر أن يحج ماشياً فقال: «إن الله لغنى عن تعذيب هذا نفسه فليركب» فركب.

٣ ـ لا تدّعوا إلا ببينة :

سر التباغض بين الناس ، إدعاء البعض على الآخرين والقاعدة فى ذلك: [البينة والدليل واليمين على من ادعى]. فى الصحيحين عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه».

وخرج النسائى عن ابن عباس قوله: جاء خصمان إلى النبى ﷺ فادعى أحدهما على الآخر حقاً فقال ﷺ للمدعى: أقم بينتك؟ فقال: يا رسول الله مالى بينة فقال للآخر: احلف بالله الذى لا إله إلا هو ماله عليك أو عندك شئ».

ولما كثرت مظالم الدولة قبل عمر بن عبد العزيز، كان من العدل أن يرد مظالم الناس من بيت المال بدون بينة قوية ، يحكى أبو الزناد:

كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم إلى أهلها بغير البينة القاطعة كان يكتفى باليسير إذا عرف صرف وجه مظلمة الرجل ردّها عليه ولم يكلفه تحقيق البينة لما يعرف من غشم الولاة قبله على الناس. ولقد انقضت أموال العراق (الدولة) فى رد المظالم حتى حمل إليها من الشام.

٤ ـ لا تخشوا الناس :

الالتزام بالحق والجهر به والدعوة إليه، يجعل الناس يصفقون لصاحبه بلا ترتيب مسبق، دليل إكبارهم وتقديرهم له، فإن خاف من الناس أو احجم عن قول الحق من هيبتهم سقط من أعينهم وأحجموا عن إكباره، روى الترمذى وابن ماجة من حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ أنه قال فى خطبة:

«ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه». قال أبو سعيد وهو يبكى: قد والله رأينا أشياء فهبنا!!.

والعجيب أن النبى ﷺ عدّ من يفعل ذلك من الذين يحقرون أنفسهم، خرج الإمام أحمد عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال: [لا يحقرن أحدكم نفسه].

قالوا: يا رسول الله كيف يحقر أحدنا نفسه؟

قال: يرى أمر الله عليه فيه فقال: ثم لا يقول فيه، فيقول الله له: ما منعك

أن تقول فيّ كذا كذا، فيقول: خشيت الناس، فيقول الله: إياى كنت أحقّ أن تخشى.

٥ - ارفقوا بلا غلظة :

لن نعيد الحديث عن قاعدة الرفق ، بل نضيف إليها قول الامام أحمد : الناس محتاجون إلى مداراة، ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة. وقال أيضاً: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مرّوا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون: مهلاً رحمكم الله مهلاً رحمكم الله.

ثم يضيف الامام أحمد: يأمر بالرفق والخضوع فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد أن ينتصر لنفسه.

٦ ـ لا تحاسدوا :

خرج الامام أحمد من حديث الزبير بن العوام عن النبى ﷺ: « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء» والحسود هو من :

- يسعى إلى زوال النعمةعن المحسود بالبغى قولاً وعملاً
- يسعى فى نقل ذلك إلى نفسه .
- يسعى فى إزالة النعمة عن المحسود فقط من غير نقلها إلى نفسه وهو شرهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم.

أما الحسد المحمود فكما ورد فى الصحيحين: « لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار » .وهذا ما يسمى بالغبطة.

ومن وجد فى نفسه حسداً فأفضل الطرق وأسرع السبل إلى إزالته هو الإحسان إلى المحسود، حتى يعود الحب من جديد، وليعلم أن النعمة على الناس هى فضل من الله تعالى، فإن توجه إلى صاحب الفضل أكرمه بالجزيل يقول تعالى: ﴿ **أم يحسدون الله على ما آتاهم من فضله** ﴾ .

٧ ـ لا تناجشوا:

التناجش التعامل بالربا، وفى اللغة: إثارة الشئ بالمكر والحيلة والمخادعة، فالمعنى: لا تخادعوا ولا يختل بعضكم بعضاً بالمكر والإحتيال، ولذلك فالمقصود من النهى أن يصل الأذى إلى الناس إما بطريق الاحتيال أو اجتلاب النفع بذلك الاحتيال ظانا منه أن ذلك ذكاء وقوة وعقل، يقول تعالى: ﴿ **ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله** ﴾ وعن ابن مسعود قول النبى ﷺ: « من غشنا فليس منا، والمكر والخداع فى النار» وما أحسن قول أبى العتاهية:



لـيـس دنـيـــــــــــا إلا بـديـن
وليـس الـديـن إلا مـكـارم الأخـــــلاق

إنما المكر والخـــديعــــة فى النار
همـــا من خـــصـــال أهل النفــاق

ولا تجوز الخدعة إلا فى حالة الحرب ضد الأعداء لقوله ﷺ : « الحرب خدعة » .

٨ ـ لا تباغضوا :

خرّج الإمام أحمد من حديث الزبير بن العوام قول النبى ﷺ : « دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، والبغضاء هى الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر والذى نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا أو لا أونبئكم بشئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم » ، وخرج مسلم« والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم » .

وقد حرّم الله التباغض وكل ما يصل إليه فقال تعالى: ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾ وامتن الله على المتحابين فقال تعالى: ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**﴾ .

٩- لا تدابروا :

التدابر: المصارمة والهجران، مأخوذ من أن يولى الرجل صاحبه دبره، ويعرض عنه بوجهه وهو التقاطع وهذه رواية مسلم عن أنس عن النبى ﷺ قال: « لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى » .

والخصام والهجر هو السوس الذى يأكل العلاقات بين الناس، ولذلك حدد الإسلام للهجر ثلاثة أيام، وجعل خيرهما من يبدأ بالسلام، فى الصحيحين عن أبى أيوب عن النبى ﷺ « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » .

إنها مدة من الزمن لعل النفوس تهدأ والعقول تتدبر، فيتحرك الود فى القلوب، فتعود صلة الحب كما كانت.

ومن أسباب تدابر الناس المؤذية والتى تؤدى إلى هجر بعضهم بعضاً بيع



الرجل على بيع أخيه أو خطبة الرجل على خطبة أخيه ولذلك حذر النبى ﷺ من ذلك فيما روى مسلم من حديث ابن عمر قول النبى ﷺ « لا يبيع المؤمن على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه » وفى رواية : « المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر » .

١٠ - لا تظلموا أحداً :

فى الحديث القدسى عن أبى ذر قول النبى ﷺ عن ربه تعالى : « يا عبادى إنى حرمت الظلم عن نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » .

وقوله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره » وعن أبى موسى قول النبى ﷺ : « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ هود/ ١٠٢ .

فلا ناسف للحب ومدمر للود ومخرب للعلاقات والصلات بين الناس من الظلم، ولذلك شدد الله فى عقوبة الظالمين، فى الدنيا والآخرة، ومصارع الظالمين فى حياة الناس ناطقة بمآلهم ونهايتهم الفاجعة .

١١ - لا تخذلوا أحداً :

هل من المروءة أن يخذل الرجل أخاه؟ وأن يراه فى موقف ذلة ولا ينصره؟ وأن لا يدافع عنه فى وجوده أو غيابه؟ وهل من الرجولة أن يرى الرجل أخاه تنتقص كرامته أو ينال من عرضه ويسكت عن نصرته ويسلمه؟! .

لقد نهى النبى ﷺ عن تواجد هذه الصور فى المجتمع، لأنها تظل محفورة فى الأذهان، وما يترتب عليها من تقاطع وتباغض وتدابر .

روى أبو داود عن أبى طلحة وجابر قول النبى ﷺ : « ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله فى موضع يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا نصره الله فى موضع يحب فيه نصرته » .

وخرج الامام أحمد من حديث أبى أمامة بن سهل عن أبيه عن النبى ﷺ قال : « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر أن ينصره أذله الله على رءوس الخلائق يوم القيامة » .

ولم يرتبط الأمر بوجود الإنسان بل الواجب عليك نصرته أيضاً فى عدم

وجوده فقد خرج البراز من حديث عمران ابن حصين عن النبى ﷺ قال: من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره، نصره الله فى الدنيا والآخرة » .

حتى رأيت الرجل ظالماً فعليك أيضاً نصرته ولا تخذله، فقد أخرج البخارى عن أنس قول النبى ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قال: يا رسول الله: انصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه» .

١٢ ـ لا تكذبوا أحداً :

العجيب أن يظن الإنسان الذى يكذب على الناس أنهم يحترمونه؟ أو يبجلونه؟ هذا نوع من العمى فى الفهم والطمس فى الفكر، فقد عدّ ذلك النبى ﷺ (خيانة كبرى) ففى مسند الامام أحمد عن النواس بن سمعان عن النبى ﷺ قال: « كبرت خيانة تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب » .

فمن حفظ لسانه عن الكذب نجا وصار إلى الجنة مع الأبرار:

إن الصدوق لدى الرحمن منزلة
دار الخلود بلا موت وتعذيب

١٣ ـ لا تحقروا أحداً :

ازدراء الناس واحتقارهم هو ناشئ عن الكبر الذى عرفه النبى ﷺ فيما رواه مسلم عن ابن مسعود: [الكبر بطر الحق وغمط الناس] أى احتقار الناس وازدراءهم، فلا يراهم شيئاً يستحقون من أجله أن يتعب ويضحى من أجلهم، ومن صوره الطعن الدائم فيهم والنقد المستمر لأفعالهم، فالمتكبر ينظر دائماً إلى نفسه بعين الكمال، وإلى غيره بعين النقص، فلا يراهم أهلاً لأن يقوم بحقوقهم.

والحقيقة أن تقدير الناس واحترامهم وإنزالهم منازلهم، هو السر فى العلاقات الدائمة، يقول تعالى: ﴿**إذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة**﴾ الواقعة/ ١ :٣ ، أى تخفض رجالاً كانوا فى الدنيا مرفوعين، وترفع رجالاً كانوا فى الدنيا مخفوضين.

١٤ ـ لا تفزعوا أحداً :

قوله ﷺ : « كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله، وعرضه » هذا مما كان النبى ﷺ يخطب به فى المجامع العظيمة فقد خطب فى حجة الوداع يوم عرفة واليوم الثانى من أيام التشريق وقال: «إن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم

حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا وبلدكم هذا» وفى رواية البخارى. (وأبشاركم).

وفى سنن أبى داود أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ فقام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذها ففزع فقال النبى ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً» وخرج أحمد عن السائب بن يزيد عن النبى ﷺ قال: «لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعباً جاداً فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه» فما فائدة الاعتذار باللعب أو اللهو بعد القطيعة والايذاء ؟.

١٥ ـ لا تحزنوا أحداً :

فى الصحيحين عن ابن مسعود عن النبى ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث فإن ذلك يحزنه».

١٦ ـ لا تغتابوا أحداً :

فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه سئل عن الغيبة فقال: ذكرك أخاك بما يكره قال: أرأيت إن كان فيه ما أقول؟

فقال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته.

١٧ ـ تراحموا مع الناس :

فى الصحيحين عن النعمان بن بشير عن النبى ﷺ قال: «مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وفى الصحيحين عن أبى موسى قوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: اجعل كبير الناس عندك أباً وصغيرهم ابناً وأوسطهم أخاً فأى أولئك تحب أن تسئ إليه.

وكان يحى بن معاذ يقول:

ليكن حظ المؤمن منك ثلاثة:

- إن لم تنفعه لا تضره
- وإن لم تفرحه فلا تغمه
- وإن لم تمدحه فلا تذمه

١٨ ـ نفسوا كرب الناس :

روى مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة».

وفى الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم فرّج الله عنه كرب يوم القيامة » .

والكربة : هى الشدة العظيمة التى توقع صاحبها فى الكرب، وتنفيسها أن تخفف عنه، مأخوذ من تنفس الخناق كأن يرخى له الخناق حتى يأخذ نفساً .

أما التفريج : فهو أعظم من ذلك لأنه يزيل عنه الكربة تماماً . وقيل : جزاء التنفيس التنفيس وجزاء التفريج التفريج .

١٩ ـ يسروا على الناس :

روى مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة »

والتيسير على نوعين :

١ ـ إما بإنظاره إلى الميسرة، وذلك واجب لقوله تعالى : ﴿ **وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة** ﴾ .

٢ ـ وإما بالوضع إن كان غريما ـ أو بإعطائه ما يزول به إعساره وكلاهما له فضل فى الصحيحين عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « كان تاجراً يداين الناس فإذا رأى معسراً قال لصبيانه تجاوزوا عنه لعل الله أن يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه » .

وفى الصحيحين عن حذيفة وأبى مسعود الأنصارى سمعا النبى ﷺ يقول : « مات رجل فقيل له : لم غفر الله لك ، فقال : كنت أبايع الناس فأتجاوز عن الموسر وأخفف عن المعسر» وفى رواية مسلم :

قال الله : نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه.» .

وفى المسند عن ابن عمر قول النبى ﷺ : « من أراد أن تستجاب دعوته أو تكشف كربته فليفرج عن معسر» .

٢٠ ـ استروا الناس :

روى مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « من ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة » .

يقول بعض السلف : [أدركت قوماً لم يكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس فذكر الله لهم عيوباً، وأدركت قوماً كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم] .

ولذلك كان من فقههم فى ذلك أن الناس نوعان :

الأول : يجب ستره وهو صاحب الهفوة والزلة غير المقصودة .

الثاني : المشهور عنه الفساد والفجور يبلغ عنه ولى الأمر لإقامة الحدود أو التعزير .

١٢ - اخدموا الناس :

روى مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » .

قال مجاهد : صحبت ابن عمر فى السفر أخدمه فكان يخدمنى .

فى مراسيل أبى داود عن أبى قلابة أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قدموا يثنون على صاحب لهم خيراً، قالوا : ما رأينا مثل فلان قط، ما كان فى مسير إلا وكان فى قراءة ولا نزلنا منزلاً إلا كان فى صلاة، قال : من كان يكفيه ضيعته؟ حتى ذكر من كان يعلف جمله أو دابته؟ قالوا : نحن، قال ﷺ : فكلكم خير منه .

وكان عمر يتعاهد الأرامل يستسقي لهم الماء بالليل ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة فدخل إليها طلحة نهاراً، فإذا هى عجوز عمياء مقعدة فسألها : ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت : هذا مذ كذا وكذا يتعاهدنى يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى، فقال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة أعورات عمر تتبع؟!!! .

٢٢ - أصلحوا بين الناس :

يقول تعالى : ﴿ **لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً** ﴾ ، ويقول تعالى : ﴿ **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ .

روى الإمام أحمد عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال : إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هى الحالقة » .

وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا » .

٢٣ - تهادوا تحابوا :

روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قول النبى ﷺ : « تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر » وخرجه غيره ولفظه : « تهادوا تحابوا » .

٢٤ - تصافحوا مع الناس :

قال الحسن: المصافحة تزيد فى المودة.

وقال مجاهد : بلغنى أنه إذا تراءى المتحابان فضحك أحدهما إلى الآخر وتصافحا تحاتت خطاياهما كما يتحات الورق من الشجر، فقيل له : إن هذا ليسير من العمل قال: تقولون يسير والله يقول: ﴿ **لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم** ﴾ .

٢٥ - احترموا الناس :

وهو مبدأ الاحترام بغض النظر عن سن من تعامله أو مركزه الاجتماعى، روى البخارى عن سهل بن سعد قال: « أتى النبى ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره، فقال: يا غلام أتأذن لى أن أعطيه الأشياخ قال: ما كنت لأوثر بفضلى منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه» .

٢٦ - ارعوا الناس :

مراعاة الآخرين وخاصة فى أوقات الشدة والمصاعب والكوارث، بحيث يتحمل البعض بعضاً، ويضربون المثل فى الصبر والايثار حتى تمر الشدة بخير، خاصة فى توفير الغذاء الذى هو حاجة الإنسان المستمرة ، وفى وقت الشدائد يجمع الناس أكبر عدد من الطعام ويحتكر البعض البيع، ويكثر الخطف والتدافع، والأولى فى هذه الأيام العصيبة أن يراعى الإنسان الناس ليكون فى قلوبهم، ومن فقه النبى ﷺ ما رواه البخارى من حديث ابن عمر: « كنا بالمدينة فى بعض أهل العراق فأصابنا سنة (غلاء وجدب ومجاعة) فكان ابن الزبير يرزقنا التمر، وكان ابن عمر يمر بنا فيقول: إن رسول الله ﷺ نهى عن الإقران (القرن بين التمرتين أو اللقمتين) إلا أن يستأذن الرجل منكم أخاه .

هذا هو الإيثار المطلوب فى وقت الشدائد بعدم الإقران لأن فى ذلك غبن للناس .

وأرشدهم النبى ﷺ إلى استئذان الرجل لأخيه لما فى ذلك تطييب لنفوس الآخرين والمحافظة على المودة والحب .

٢٧ ـ اشكروا الناس وادعوا لهم :

حقيقة الثناء والشكر والدعاء تدل على صفاء النفوس وتزيد المودة، وتفتح مغاليق القلوب، وهى ليست مجاملة عابرة، بل حينما تخرج من القلب فهى صادقة تضرب بالجذور وتحقق بهذا العمق والثبات أثراً يمتد طويلاً .

روى البخارى حديث جرير قال: ما حجبنى النبى ﷺ منذ أسلمت ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى ولقد شكوت إليه أنى لا أثبت على الخيل فضرب بيده فى صدرى وقال: اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً .

ورو ى أيضاً البخارى من حديث أنس عن أم سليم قالت: يا رسول الله أنس خادمك ادع الله له قال: « اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته » .

بل إن ابن عباس وصل به الأمر إلى مكافأة الرجل من ماله، فقد روى البخارى من حديث ابن عباس أن رجلاً قال: تمتعت (أى فى الحج) فنهانى الناس، فسألت ابن عباس فأمرنى فرأيت فى المنام كأن رجلاً يقول لى: حج مبرور وعمرة متقبلة، فأخبرت ابن عباس فقال لى: [أقم عندى فأجعل لك سهملاً من مالى] فقلت لم؟ فقال: للرؤيا التى رأيت .

٢٨ ـ جاهدوا بقلوبكم :

قضية المنكر والمعروف فى المجتمعات، وموقف الفرد منها، وجدت جدلاً طويلاً على مر العصور، ولكن المتفق عليه منها كقاعدة: هو (جهاد القلوب) ، فإن التغيير باليد، والتغيير باللسان، كلا منهما حسب طاقة الإنسان ومسئوليتهما تقع على نظام المجتمع، ولكن فى كل الحالات الثلاث وهى اليد أواللسان أو القلب، لابد أن ينكر القلب أو يعرف وهذه مسئولية الفرد، يقول ابن مسعود: (هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر) يشير إلى أنه فرض لا يسقط على أحد فمن لم يعرفه هلك. يقول الامام على بن أبى طالب: إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد جهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم.

خّرج أبى الدنيا عن أبى هريرة رضي الله عنه قول النبى ﷺ : « من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها، ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها » .

والغرض من ذلك أن تبقى جذوة القلب دائماً مشتعلة وعلى استعداد للتغيير، بشروط التغيير الأربعة حتى يتحقق الهدف فليست وسيلة التغيير هدفاً فى حد ذاتها مثل اليد واللسان، ولذلك ضيق الاسلام هذه الشروط، وذلك فى قوله ﷺ :« من رأى منكم منكراً» .

الشرط الأول : رؤية المنكر ووضوحه دون تجسس .

الشرط الثانى : الاجماع على أنه منكر.

الشرط الثالث : (منكم) أى مسئولية نظام وليس فرد .

الشرط الرابع : التغيير بالرفق الذى يحقق الهدف ومن أقوال سفيان الثورى : لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، إلا من كان فيه ثلاث خصال :

- رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى .
- عدل بما يأمر عدل بما ينهى .
- عالم بما يأمر عالم بما ينهى .

٢٩ ـ داوموا على العمل :

ليس فى الثبات على العمل من الاستمرار عليه والمداومة به، وإنما العمل هو فى الدوام على العمل، وتواصل العمل بالعمل من شيمة العقلاء الذين يبلغون به أعلى المقامات، لأنهم يعلمون إن تكاسلوا لم يبلغوا هذه المقامات، فالجزاء يكون على الأعمال وليس على الأنساب، فالحركة فى المجتمع لا تكون بالنسب، لقول النبى ﷺ : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

يقول تعالى : ﴿ **فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ .

لعمرك بالإنسان إلا بدينه
فلا تترك التقوى اتكالاً على النسب

لقد رفع الاسلام سلمان الفارسى
وقد وضع الشرك النسيب أبا لهب

وفى الصحيحيين عن عمرو بن العاص : أنه سمع النبى ﷺ : يقول : « إن آل فلان ليسوا لى بأولياء وإنما ولى الله وصالحوا المؤمنين »يشير إلى أن ولايته لا تنال بالنسب أو القرابة وإنما بالإيمان والعمل الصالح.

٣٠ ـ كونوا إخوانا :

مصداقاً لقول النبى ﷺ : « وكونوا عباد الله إخواناً » فهى كالتعليل لما تقدم من قواعد وفيه إشارة إلى أن من يترك التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر، من يفعل الخير والصلاح والنفع للناس، هو بذلك يحقق ما أراد النبى ﷺ بأن يكون الناس جميعاً إخواناً .

وفيه أمر باكتساب ما يصير الناس به إخواناً على الإطلاق وذلك يدخل فيه أداء حقوق المسلم على المسلم من رد السلام وتشميت العاطس وعيادة المريض

وتشييع الجنازة وإجابة الدعوة والابتداء بالسلام عند اللقاء والنصح بالغيب ، وكل مما شأنه يزيد الألفة فى القلوب والود فى النفوس والحب بين الناس .

بإذن الله نتحدث عن مائة فكرة عملية نبوية بالتفصيل فى باب منفصل بنهاية الكتاب **عن الأفكار العملية والمهارات الفردية وكثرة وتنوع الوسائل .**

٧ ــ بوابة الأسرة

هذه أقرب الدوائر إلى الإنسان، وتنقسم إلى عدة بوابات كلها تصل إلى الجنة، الأزواج: الزوج والزوجة والأولاد: بنين وبنات ، والخدم وما كان على مثل الخدم من المهن التى تخدم الأسرة مثل البواب والحارس والساعى وعامل البوفيه والتنظيف والطباخ والجناينى وذلك لأن الخادم كان يقوم بكل هذه الأعمال أما الآن فأصبح لكل خدمة من يقوم بها ويتخصص فيها ويمهر فى أدائها .

١ ـ بوابة الأزواج :

لسنا بصدد الحديث عن سعادة الزوجين والعلاقة الودية الفريدة بينهما، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابنا (الحب روح الحياة الزوجية) ، أو الحديث عن مملكة الحياة الزوجية ومواجهة العقبات والمشكلات ومن أراد ذلك فليرجع إلى كتابنا (الزوجان فى مملكة الحياة الزوجية) ، وإنما حديثنا هنا عن حركة الزوجين معاً فى المجتمع، والتعامل مع أفراد الأسرة وما فى دائرة الأسرةثم مع المجتمع ككل، من بعض هذه الخواطر :

● **إظهار الحب أمام الجميع :**

وهو لا يحتاج إلى صناعة لأنه يتحرك فى الدماء والوجدان، تتحدث خلجات اللسان بخفقات القلب، وتتكلم النبضات بلسان الحال، دون تكلف أو تصنع، فيما روى البخارى عن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك؟ قال : عائشة، فقلت : من الرجال؟ فقال : أبوها قلت : ثم من؟ قال : ثم عمر بن الخطاب فعدّ رجالاً » وهكذا نطق الحب لعائشة شاهداً على إظهار الود للزوجة أمام الآخرين بصدق الحال والموقف .

والزوجة كذلك تعبر عن معاناة بُعد زوجها عنها ،وفرحتها بقدوم الزوج. وهذا ما حدا بعائشة رضى الله عنها أن تداعب رسول الله ﷺ بعد غيابه شهر، عبّرت عن معاناتها بأنها كانت تعد أيام الشهر عداً، روى البخارى حينما قال

النبى ﷺ: «ما أنا بداخل عليهن شهراً» من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله، فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها، فقالت له عائشة يا رسول الله: إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عداً ؟!!! فقال: (الشهر تسع وعشرون ليلة).

فكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين ليلة، قالت عائشة: ثم أنزل الله تعالى آية التخيُّر فبدأ بى أول امرأة من نسائه فاخترته، ثم خير نسائه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة.

● **إظهار الاهتمام أمام الجميع :**

وهو أيضاً ليس بالتصنع، وإنما الزوجان السعيدان يحترم كل منهما حبيبه، فلماذا يخفيان هذا الاهتمام أمام الناس، إنها فى الحقيقة دعوة خفية إلى الناس وخاصة فى عريشهما ومملكتهما فى تربية الأولاد، ونترك عائشة تروى لنا عن اهتمام النبى ﷺ بها والذى أغضب أباها أبا بكر، فيما روى البخارى من حديث عائشة زوج النبى ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء - أو بذات الجيش - انقطع عقد لى فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء.

فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء.

فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نام فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فقالت عائشة: فعاتبنى أبو بكر وقال ماشاء الله أن يقول وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى.

فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيمموا. فقال أسيد بن حضير: ما هى لأول بركتكم يا آل أبى بكر.

قالت عائشة: فبعثنا البعير الذى كنت عليه فأصبنا العقد تحته.

ولن تنس البشرية اهتمام أم المؤمنين خديجة فى أول البعثة وتشجيعها وتثبيتها لرسول الله ﷺ وذهابها إلى ابن عمها ورقة بن نوفل مما حدا بعائشة أن تغار منها من كثرة ذكر النبى ﷺ لمآثرها ومواقفها.

● **التفاهم أساس حديث القلوب :**

قراءة الزوجين بعضهما لبعض، لا يكون إلا بعد أن يفهم بعضهما الآخر،

مما يجعل العلاقة بينهما علاقة تتحدث فيها القلوب والأشواق والبلاغة الزوجية، وهى الشفرة التى بها يفهم كل منهما الآخر أمام الناس وفى داخل البيت وتأمل معي ما روى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال لى رسول الله ﷺ: «إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى» قالت: من أين تعرف ذلك؟ فقال: أما إذا كنت عنى راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم. قالت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك!!! وهو تعبير من بلاغة قلبية عاطفية وجدانية فأنت يا رسول الله فى القلب والروح لا أهجرك أبداً ولو لحظة واحدة، إنما هو هجر باللسان للاسم وحسب، بهذا التفاهم الراقى المعبر عن حقيقة الحب يكون التعامل.

● **سعادة البيت ترفرف على المجتمع :**

الزوج السعيد بزوجته ينطلق فى المجتمع بروح فاعلة تجعل الناس مبتهجين به، وربما جاءوا إليهما بالهدايا من أجل أن تزيد الروابط وتقوى المحبة، فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بها أو يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ.

لقد تأملت فى موقف الناس ومدى علمهم بسعادة النبى ﷺ وهو إلى جوار عائشة فيفرحون ويبتهجون ويأتون بهداياهم مرضاة إلى رسول الله ﷺ.

وهذه مهمة الزوجين معاً أن يصنعا السعادة لكليهما، وينتظرا ماذا يفعل الناس معهما؟ من روابط وعلاقات ومودة وصلات.

● **مراعاة الزوجين لعلاقتهما بالمجتمع :**

لكل من الزوج والزوجة أصحاب وصواحب، يأنس معهم وتأنس معهن، تجمعهما ظروف واحدة مثل السن أوالعمل أو الهواية أو غير ذلك وكل منهما يحب أن يراعى هذه الصلات وأن تستمر بل تقوى ويعمل على دوامها وهذا ما ترويه السيدة عائشة فيما رواه البخارى قالت: «كنت ألعب بالبنات [العرائس وهى لعب البنات] عند النبى ﷺ وكان لى صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه (يتغيبن حياء منه وهيبة)، فيسربهن إلىّ (يرسلهن) فيلعبن معى».

وإن كان الموقف مناسب لسن أم المؤمنين آنذاك ولكن الدرس ممتد لكل المواقف ولكل الأعمار فلكل عمر علاقاته واهتماماته، وما أجمل أن تدفع الزوجة زوجها إلى الحركة فى المجتمع، وكذلك الزوج، فالأعمال الاجتماعية

كثيرة وواسعة وكلها تعود بالنفع على البيت فى تكوينه وتفاعله مع المجتمع ككل.

٢ ـ بوابة الأولاد :

● بهم ترفع الدرجات :

الأولاد فلذات أكباد الآباء، وقد أودع الله تعالى لدى الزوجين أبوة دافئة وأمومة حانية، كالظلال الوارفة ينعم الأولاد فى رغدها وجمالها وحلاوتها، وبها تكتمل سعادة الأسرة، ولذلك كانت لها أسس تقام عليها هذه المملكة السعيدة، ليجنى الأبوان أروع الثمار التى هى جزء من الجنة، أعطاه الله بفضله للأسر المبتهجة، وامتن برحمته عليهم، ليفرحوا فى الدنيا والآخرة، وهوأعظم ما يرفرف على البيوت من المال ومما يجمعون.

ولذلك كانت المكافآة من الله للأبوين أن جعل لهما فى الأولاد بوابة إلى الجنة، إن قاما بحقها وأديا ما عليهما، وحافظا على نجاحها، روى البخارى عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : إن الرجل لترفع درجته فى الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك.

فإعداد الأولاد وتربيتهم وتأهيلهم يجعلهم يستغفرون لآبائهم، فترفع بهم الدرجات فى الجنة للآباء والأمهات.

● بهم تضمن الدنيا :

وإنى بهذا الموقف العملى الجليل من هذا الابن البار الذى عُرف عن أمه أنها كانت تتصدق فلما ماتت جاء إلى النبى ﷺ فيما روى البخارى عن عائشة: «أن رجلاً قال للنبى ﷺ : إن أمى افتُلتَتْ نفسُها (ماتت) وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: نعم» أليس امتداد فى الدنيا قبل الآخرة، لكل عمل صالح يقوم به الأبوان والسبب فى هذا التواصل (ابن صالح) وكلنا يحفظ إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ومنهم « ولد صالح يدعو له» فمن من الآباء والأمهات لا يريد أن يضمن الدنيا وقد رحل عنها، بل يضمن امتداد الأعمال الصالحة فى الدنيا وقد غاب عنها، إنها بحق الحركة الممتدة فى المجتمع ليست فى الحياة وحسب وإنما بعد الممات أيضاً.

● بهم تؤجر وثاب :

كل حنو من الأم، وكل رعاية من الأب، وكل مال ينفق على الأولاد، هو أجر وغنيمة عند الله تعالى، بشرط واحد أن يحتسب ذلك لوجه الله تعالى، وهنالك يكون التوفيق الحقيقى والعناية الفائقة من الله تعالى بسداد الأبناء

والبركة في المال، ثم الأجر للآباء، روى البخارى عن أبى مسعود الأنصارى عن النبى ﷺ قال: «إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة». ولذلك ليس من عيب أن تجتهد الآباء فى طلب الكسب والغنى، كان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت وترك مالاً، وترك سفيان الثورى مالاً، وقال: لولاك لتمندلوا بى، فعلى الآباء إدخار المال والاستغناء عن الناس والاقتداء بزاهدى الأمة فى بيوتهم، ولذلك كانت وصية النبى ﷺ أن يترك الرجل أولاده أغنياء خير لهم من أن يسألوا الناس، وليس ذلك من الزهد أو الورع فى شئ، وفى صحيح مسلم عن ثوبان أن النبى ﷺ قال: «أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه فى سبيل الله»، فساوى النبى ﷺ بين الإنفاق على الأولاد فى الأفضلية وبين الإنفاق فى سبيل الله.

وفى صحيح مسلم أيضاً عن أبى هريرة قول النبى ﷺ: «دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أفضلها الدينار الذى أنفقته على أهلك» فجعل الإنفاق على الأولاد يفوق فى أفضليته الانفاق فى سبيل الله.

● هم كنز فحافظوا عليه:

ولذلك فالأولاد كنز من الثواب، يجب المحافظة عليه ورعايته والعناية به، بالتربية الفائقة المعتدلة التى تكون شخصيات سوية فى المجتمع، فهو يأخذ من الدين لمجتمعه، ويتعامل مع مجتمعه لدينه، فلا يحرم من اللعب واللهو الذى يحتاج إليه الابن بزعم التدين والالتزام، ولا يحرم من الالتزام بدينه بزعم أن يتماشى مع عصره ويعيش حياة مجتمعه، ورأينا هذه التربية المعتدلة فى تلك الصحابية الجليلة الربيع بنت معوذ تقول فيما رواه الشيخان: أرسل النبى ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: «من أصبح مفطراً فليقم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم» قالت: «فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الافطار».

ولهذا مدح النبى ﷺ (نساء قريش) وأطلق عليهم «خير النساء» للحنان والرعاية، فيما روى البخارى عن أبى هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نساء قريش خير نساء ركبن الإبل، أحناه على طفل وأرعاه على زوج فى ذات يده».

وكانت وصية النبى ﷺ للآباء والأمهات إذا جنح الليل وأمسى الناس، ماذا يصنعون مع أولادهم من عناية ومحافظة عليهم، فيما روى الشيخان من

حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلّوهم وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً» .

● **التعهد الدائم والافتخار بتربيتهم :**

تعهد الوالدين بتربية الأبناء، والانشغال الدائم بهذا الأمر، يدفع الأولاد ليكونوا ايجابيين فى المجتمع، بما زرع الآباء فى نفوسهم من عزة وحب وخدمة وعمل وخلق وسلوك قويم، ومن أول ولادة الأولاد كانت أسماء بنت أبى بكر حريصة على ولدها عبد الله بن الزبير الذى ما زال فى بطنها، فبعد أن أتممت ٩ شهور ، جاءت إلى المدينة فولدته بقباء، تقول أسماء فيما رواه البخارى: ثم أتيت به النبى ﷺ فوضعته فى حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل فى فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ثم حنكه بالتمرة ثم دعا له وبّرك عليه، وكان أول مولود وُلد فى الإسلام» . ولأسماء حقاً أن تفخر بذلك، وأن يفخر التاريخ الإسلامى بأول مولود يولد فى الاسلام، لقد تعهدته أسماء بالتربية والعناية حتى ذهب بصرها، وهى تدفعه إلى الجهاد قائلة له: (وهل يضير الشاة سلخها بعد ذبحها) يوم أن سألها أنهم سينكلون بجثته، فانطلق من قولها إلى الجهاد والثبات .

ولذلك كان النبى ﷺ يعطى القدوة للآباء بتعهد الأبناء بالتربية، يروى البخارى عن عمر بن أبى سلمة قال: كنت غلاماً فى حجر النبى ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفة فقال لى رسول الله ﷺ : «يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك» فما زالت تلك طعمتى بعد، وفى هذا إشارة واضحة بالتعهد التربوى ليس فى هذا الموقف فحسب، بل عموماً فى كل مواقف الحياة، بالدعوة إلى الأدب والخلق والسلوك العملى الراقى فى التعامل مع الناس كبيرهم وصغيرهم، متقدمهم ومتأخرهم، وأثر التربية كان ممتداً لدى الغلام حينما قال: فما زالت تلك طعمتى بعد، أى تحول ذلك إلى سلوك دائم مستمر لا ينقطع عنه وهذه هى ثمرة التربية العملية، ولعمر بن أبى سلمة الحق أن يفتخر بهذه التربية وهذا التعهد .

● **البنات يسترن الآباء من النار :**

المتعارف لدى الناس، ستر البنات، ولو علم الناس الحقيقة، لرغبوا فى البنات، وإن رزقهم الله بالبنات، كان ذلك عطاء من الله ومنة عليهم، لأنهن

ستراً لهم من النار، وتأمل معى ما رواه الشيخان من عائشة رضى الله عنها قالت: دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل: فلم تجد عندى شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم قامت فخرجت، ودخل النبى ﷺ علينا فأخبرته فقال: «من ابتلى من هذه البنات شئ، كن له ستراً من النار»، فهنيئاً لمن رزق من البنات، بهذه الحقيقة الغالية التى أعلنها النبى ﷺ، فالبنات ستراً للآباء من النار.

٣ - بوابة الخدم :

● هم أحد أفراد البيت :

فيما روى الشيخان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله أكلة أو أكلتين أو لقمة أو لقمتين فإنه ولى حَرّه وعلاجه».

فالأمر ليس توفير حقه فى الطعام فحسب بل إن لم يجلسه معه على مائدة واحدة، فليتقدم له تطيباً لنفسه بأكلة أو أكلتين أو لقمة أو لقمتين.

● هم إخوانكم :

وما أجمل هذا التعبير النبوى الراقى عن الخدم ففى الصحيح عن أبى هريرة قال النبى ﷺ: «هم اخوانكم (يعنى الخدم) جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده:

فليطعمه مما يأكل

وليلبسه مما يلبس

ولا يكلفه من العمل ما يغلبه

فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه».

فكلمة (إخوانكم) لخصت كل هذه الحقوق وهى مفهومة من ناحية توفير الطعام والملبس وإعانته على أداء الأعمال وخاصة الشديدة والتى تحتاج إلى إعانة.

هل بعد هذا التفصيل الجميل من التعامل مع كل من يخدمك فى تخصصه من الذين يحيطون بنا ويدخلون بيوتنا أو فى أعمالنا، هل نسمع بعد ذلك عن هذه الصور القميئة من التعامل معهم؟ سواء بالتعذيب أو ازدرائهم مما حدا بالكثير منهم إلى مقاضاة مخدوميهم أو الانتقام منهم أو التنكيل بأسرهم مما يعمل على نشر الجرائم لغياب هذا الأساس المتين فى التعامل مع الخدم.

٨ ـ بوابة المنتديات والمجالس

أولاً : بوابة مجالس الصالحين :

الذى نحن بصدده الحديث عن مجالس الصالحين كبوابة تأخذ بيدك إلى الجنة والنجاة، وقد تتنوع أشكال هذه المجالس من دروس أو ندوات أو حلقات أو مؤتمرات أو محاضرات أو صالونات أو غير ذلك مما يماثل هذه الأشكال، وبالتالى تتنوع الجهات القائمة على هذه المجالس من وسائل إعلام مرئية أو مسموعة أو مقروءة، أو جمعيات أو اتحادات أو أحزاب أو مساجد أو نوادى، أو غير ذلك مما يماثل هذه الوسائل، ومع تنوع الأشكال وتباين الجهات نجد أنها جميعاً تتفق فى شئ واحد أنها تجمع لأفراد من المجتمع من أعمار مختلفة وشرائح مختلفة رجال ونساء وشباب، جاءوا للمشاركة والاستفادة فى هذه المجالس. ومع أنها محدودة بزمن معين إلا أنها فرصة طبيعية لصلات وعلاقات مع الناس، حول الصلاح والإصلاح والاستفادة والعلم روى البخارى عن أبى موسى عن النبى ﷺ أنه قال : مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير.

فحامل المسك : إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة.

ونافخ الكير : إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة.

قال الحافظ فى الفتح : « فى الحديث النهى عن مجالسة من تتأذى بمجالسته فى الدين والدنيا، والترغيب فى مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما، وفيه ضرب المثل والعمل فى الحكم بالأشباه والنظائر» وهذا كلام نافع لنا حيث نقيس وفق هذه الصورة التى ضرب بها النبى ﷺ المثل فى مجالسنا عموماً.

هذه المجالس هى رياض الجنة على الأرض، هى البساتين الفيحاء بين الناس، هى الروائح الطيبة لمن أراد الحياة الطيبة.

ومن المجالس الطبيعية فى حياتنا والتى تخدم كل الدوائر السابقة مجلس العائلة ومجلس الأسرة ومجلس العمارة ومجلس القرية، ومجلس الحارة ومجلس الممر، إلى جانب المجالس السابقة. ولو تأملنا نجد أن الإسلام قد وضع لهذه المجالس آداب وأخلاقيات كلها تخاطب مشاعر الحاضرين وتعين فى تحقيق الهدف، فى أقصر وقت، وبأقل جهد، وأعظم إنجاز، هذه الآداب حوت فى طياتها نظام المجالس، ونظافتها وقواعدها من التعارف والتعامل نجملها فى

التالى :

١ ـ الاستئذان : فى الحديث المتفق عليه عن أبى سعيد قول النبى ﷺ : « إذا استأذن أحدكم فلم يؤذن له ثلاثاً فليرجع » .

٢ ـ آداب المجلس :

- لا يفرق بين اثنين جالسين إلا بإذنهما .
- إذا دخل المجلس جلس حيث ينتهى به المجلس .
- إذا قام رجل من مجلسه لحاجة ثم عاد فهو أحق بمكانه .
- البداية فى التوزيع أو عرض الأفكار من اليمين مهما كانت الأعمار
- احترام الكبير وتوقيره والعطف على الصغير
- اختيار أحد الجالسين لمسئولية المجلس أو حسب ما يتفق عليه المجلس .

٣ ـ التجمل والنظافة :

- المحافظة على الطهور للاستعداد للصلاة روى مسلم عن ابن عمر قول النبى ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور » .
- المحافظة على الطهارة من الخبث فى البدن أو المكان كالوضوء والغسل، روى مسلم من حديث أبى هريرة قال : لقينى رسول الله ﷺ وأنا جنب فأخذ بيدى فمشيت معه حتى قعد، فانسللت منه وأتيت الرحل فاغتسلت ثم جئت وهو قاعد فقال : أين كنت يا أبا هر؟ .

فقلت له، فقال : سبحان الله يا أبا هر إن المؤمن لا ينجس » .

- نظافة الأسنان فيما روى أحمد عن عائشة قول النبى ﷺ : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » .
- التعطر والطيب لأن النبى الكريم ما رد طيباً قط .
- تكريم الشعر، لقوله ﷺ عن أبى هريرة فيما رواه أبو داود : « من كان له شعر فليكرمه »
- نظافة مكان المجلس والطريق الموصل إليه وتجميله وتزيينه لقوله ﷺ فيما رواه الترمذى : نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود .

٤ ـ الصحة والوقاية :

- لا داعى لحضور المريض وخاصة الأمراض المعدية ففى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « لا يوردن مُمرض على مصح » حتى لا تنتقل العدوى ويسرى المرض بين الحاضرين .
- إرسال الاستفادات العلمية والتجارب الحياتية إلى الغائبين بأعذار، روى

مسلم أن وفد ثقيف جاء فيه رجل مجذوم فأرسل النبى ﷺ إليه : « ارجع فقد بايعناك » .

■ رعاية المريض والاهتمام به روى مسلم فى صحيحه من حديث جابر (أن النبى ﷺ بعث إلى أبى بن كعب طبيباً فقطع له عرقاً وكواه عليه) أى أنه أجرى له عملية جراحية، وكان من خلقه ﷺ أن يتفقد الغائب أما إن كان مريضاً فليس الأمر فى عيادته بل بالقيام بكل الوسائل التى تعيد له عافيته وصحته .

■ فى داخل المجلس وضع كف اليد عند التثاؤب أو منديل عند العطس، وتغطية الطعام وغلق فتحات الشراب، روى مسلم عن جابر قول النبى ﷺ : « غطوا الإناء إذا كان فيه طعام أو شراب وأوكوا السقاء (أغلقوا فتحاتها) » وكل ذلك من أجل نظافة المكان من الذباب والحشرات وغيرها .

٥ ـ المحافظة على الوقت :

أوقاتنا هى مزرعة الحياة الباقية مع أنها فانية، ولكنها ضرورية فإن بذور الزرع هنا لنحصد هناك، نستفيد بها هنا لنجزى هناك، أوقاتنا من الدنيا قصيرة جداً ولكنها بنفس القدر ثمينة جداً، لأنها الفرصة الوحيدة للنجاة يوم القيامة فى سعادة أبدية، فالعمر مرة واحدة والوقت لا يسترجع بحال، فمن البلاهة أن نضيع الفرصة الوحيدة، وبأيدينا، وهى الفرصة المتاحة لنا فى يسر وسهولة، ولذلك فمن العقل انتهاز الفرصة فنحن لا نصنعها بل تأتينا، من أجل بناء عزة أو تأمين مستقبل .

يقول تعالى عن قيمة الوقت : ﴿ **وسخر لكم الليل والنهار** ﴾ إبراهيم / ٣٣، ويقول تعالى : ﴿ **وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً** ﴾ الفرقان / ٦٢، وروى البخارى عن ابن عباس قول النبى ﷺ : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » .

وروى الحاكم وصححه على شروط الشيخين قول النبى ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك » .

ولذلك فالتخطيط للمجلس ووضع برنامج دقيق والمحافظة على تنفيذه برعاية، وغير ذلك من المساعدات والابتكارات مطلوبة للمحافظة على الوقت حتى يحظى الحاضرون بأن يكونوا خير الناس كما أطلق عليهم النبى ﷺ، فيما روى الترمذى وقال حسن صحيح عن أبى كبدة أن رجلاً قال : يا رسول الله :



أى الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله» .

٦ ـ مراعاة مشاعر الحاضرين:

● بالبدن الصحيح والهندام الأنيق والملابس النظيفة الشيك، والإنسان الجميل لرواية مسلم قول النبى ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» كل ذلك يفعل السحر بمشاعر الحاضرين.

وكل ما شأنه يقوى الرابطة بين الحاضرين ويفتح مغاليق القلوب، فى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما قول النبى ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة ـ يعنى الثوم ـ فلا يقربن مسجدنا» وهى عامة بكل مجلس فيه جمع من الناس لأن المجلس كان يقام بالمسجد فى عهد النبى ﷺ، أما اليوم فالأشكال الاجتماعية قد تنوعت مع اتساع الحياة وكثرة البنايات وتوفر المجالس.

■ الحرص على المشاعر يظهر فى التعبير وفى الحركة وفى النبرة وفى اللغة وفى الحواس وقد سبق شرحه فى كتابنا (المشاعر المؤثرة) .

٧ ـ حق المجالس :

فى بعض الأحيان قد تعقد المجالس فى أماكن عامة مفتوحة أى فى طرقات الناس، كالنوادى والمراكز الرياضية والمنتديات الإجتماعية والفنادق فما حق المجتمع لمن يجلس فى هذه المجالس؟ .

روى البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إياكم والجلوس على الطرقات. قالوا: مالنا بد إنما هى مجالسنا نتحدث فيها قال: فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها قالوا: وما حق الطريق؟ قال: « غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر» .

وحق المجلس فى أداء حقوق الأفراد، فما معنى لجمع من الناس، لا علاقة بينهم، ولا رابط يجمعهم فى ظروفهم المختلفة، فيما روى البخارى عن أبى هريرة قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «حق المسلم على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز وإجابة الدعوة وتشميت العاطس» .

ثانيا: بوابة المنتديات والحفلات :

إذا كانت المجالس هى الرياض الدائمة ، فإن المنتديات هى التى تصحب الحفلات فى المناسبات المختلفة بأنواعها الإجتماعية المختلفة، الأفراح والأعياد والأحزان والمناسبات الأسرية، والقومية، والدينية، وهى اجتماع لمجموعة من الناس تربطهم روح المناسبة، فالذين يتبعون جنازة يشاركون الناس فى أحزانهم، والذين يعودون مريضاً يتألمون، والذين ينقذون غريقاً

قــد يغرقون، والذين يشــاركـون حدثاً أليـمـاً يفجعـــون، والذين يحـضـرون غـرساً يفـرحـون، والذيـن يشاركون عـيداً يبتـهـجـون، والذين يحضـرون مباراة كأنهم في الملعب يلعبون، هذا التطبيع الجماعي الاجتماعي مهما كانت شخصيات الأفراد الحضور، هو العامل المشترك في أمثال هذه الحفلات أو المنتديات أو التجمعات العامة، ولذلك حرص الإسلام على حضورها وحض على المشاركة فيها، وهي بوابة للجنة والأجر تستعرض كل الدوائر السابقة.

نوجزها في التالي، وسبيلنا ليس الاسهاب فيها بقدر ما ننبه فيها إلى جانب الحركة للفرد ودوره فيها، وهو غرض كتابنا.

● **بوابة المصائب :**

روى البخاري من حديث عائشة قالت: ما رأيت أحداً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ (شدة المرض).

ويروى عبد الله بن مسعود قائلاً: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يُوعك فقلت: يا رسول الله: إنك توعك وعكاً شديداً قال: أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم، قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها.

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهم ولا حزن ولا أذى ولاغم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه».

ويروى ابن عباس عن عطاء بن أبي رباح قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة، قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء! أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف فدعا لها.

يا رجائي في بلائي
لا تُزلْ عني خيرك

أنت ربي أنت حسبي
أنا لا أعبد غيرك

● **بوابة الجنائز :**

أجر عظيم ينتظر الذين يتبعون الجنائز، فيما روى البخارى من حديث أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهد حتى تدفنه كان له قيراطان » قيل : وما القيراطان قال : [مثل الجبلين العظيمين] .

● وحضور الجنائز عبرة للناس، يعودون وقد تعلموا الدرس، فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » .

ويجب على من يشارك فى الجنائز أن ينتبه إلى ثناء الناس أو ذمهم للمتوفى، وكيف أن ذلك من علامات نجاته أو هلاكه، فيعود إلى الناس بالحركة حتى يحصد الثناء بالخير منهم، إن هو حمل على الأعناق، فيما روى البخارى من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً، فقال النبى ﷺ : (وجبت) ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شراً فقال : (وجبت)، فقال عمر بن الخطاب : ما وجبت؟ قال : « هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله فى الأرض » .

● وقد مر بنا مشاركة غير المسلم فى أحزانه حينما قام النبى للجنازة ، فقالوا له : إنها جنازة يهودى، فقال : « أليست نفساً » رواه البخارى . فالمشاركة لكل أفراد المجتمع بغض النظر عن الدين أو الفكر أو الرأى أو الاتجاه .

● **بوابة الأفراح :**

تلبية الدعوات السعيدة مهما كانت الظروف ومهما كان الداعى، وإظهار السعادة للمبتهجين والفرحين، ومشاركتهم فرحتهم يعتبر ذلك من الحركة الطبيعية فى الحياة، وقد مر بنا تلبية النبى ﷺ لدعوة الخياط، وغيرها كثير من الدعوات العامة، وأيضاً الدعوات الخاصة بعدد معين، حينما دعى النبى ﷺ خامس خمسة، وكان من عادته استقبال الراجعين من أعراسهم بالفرح والسرور، فيما روى البخارى عن أنس قال : رأى النبى ﷺ النساء والصبيان مقبلين من عُرسٍ فقام النبى ﷺ ممثلاً فقال : اللهم أنتم من أحب الناس إلىّ قالها ثلاث مرات .

● وفى الأعياد حيث الفرحة تكون بالمشاركة الطبيعية فى مشاهدة الألعاب وربما الاشتراك الفعلى فيها، تقول عائشة كان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب سألت النبى ﷺ قال : تشتهين تنظرين؟ فقلت : نعم فأقامنى وراءه



خدى على خده وهو يقول : (دونكم يا بنى أرفدة) حتى إذا مللت قال : حسبك قلت نعم، قال : فاذهبى .

● وفى المناسبات السعيدة للناس كان النبى ﷺ أسبق الموجودين فى تهنئتهم والسعادة أكثر منهم، وهذا ما رواه كعب بن مالك يوم أن تاب الله عليه، قال : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور : « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك »

٩ـ بوابة زملاء العمل

● **من أجل أن تكون زمالة مستمرة** : زملاء العمل هم مجموعة من الناس جمعتهم عدة أشياء مشتركة مثل التخصص وطبيعة العمل والجمهور المتردد على العمل، وغالباً المستوى الاجتماعى المتميز وفق درجات العاملين وقد تضاف إلى هذه المجالات المشتركة فى بعض الأعمال الشريحة السنية والعمر المتقارب مثل زملاء المدارس وزملاء الجامعات، أو المستوى الفكرى المشترك كهيئات التدريس، أو المستوى الثقافى والحركى كالأحزاب والجمعيات والجماعات والمراكز، أو المستوى الرياضى كالنوادى الرياضية والمراكز الشبابية، وليس الموضوع حصراً، وإنما هناك الكثير على غرار ذلك لا تفوته فطنتك وحركتك فى المجتمع .

ومما يميز هذه البوابة أنها متينة الرابطة، قوية التماسك، فأكثر ساعات اليوم يقضونها معاً، غير الأعمال الاجتماعية والأنشطة المختلفة التى يمارسونها معاً، والهموم الواحدة والمصائب المشتركة تساعد فى التفاف أهل هذه البوابة حول حياة واحدة، مما تساعد على التنمية المستمرة للروابط بينهم، والتغذية الدائمة لجسم اجتماعى وتيار جارف له ثقله فى الحياة اليومية وله آثاره على بيوتهم وأهلهم وأبنائهم ومعارفهم .

وقد تتغير الأفراد فى أعمال مختلفة، وينتقلون من مكان لآخر ، أو تنتهى الزمالة الدراسية أو تنقطع بعض الأعمال لطوارئ الحياة كسفر أو مرض أو تبادل مواقع، فتظل هذه الفترة الزمانية محفورة فى حياة الإنسان يراجع أخبارها ويقرأ رسائلها وينعم باسترجاع ذكراها ويتنفس عبق زمانها ويراها من خلال ما صوره من كاميرا أو فيديو فيستعيد لحظات سعادة يتمنى استمرارها وهكذا الزمان وهكذا الإنسان .

لذلك فعلى العاقل أن ينتهز فرصة ما هو فيه مع زملائه ، فقد سأل رجل

عبد الله بن الجلاء الخبير بصحبة الناس : على أى شرط أصحب الخلق؟ قال : (إن لم تبرهم فلا تؤذهم، وإن لم تسرهم فلا تسؤهم) بالبر وإشاعة السرور ينفذ إلى قلوب الناس، وهذا سعيد بن العاص يفصح عن سر صحبته الجميلة لزملائه فيقول : لهم عليّ ثلاث : « إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له » ما أيسرها من أعمال يومية، ولكن أثرها فى الشعور والقلب دائم، بالترحيب بهم والإقبال عليهم، وإيثارهم وعدم مزاحمتهم والتوسعة لهم. وعلى الإنسان العاقل كذلك أن ينتهز هذه الفترة الزمنية من عمره مع زملاء العمل، أو الدراسة، بأنها تنتقص من عمره فى الدنيا، فليعمرها ويجعلها فترة من أجمل الفترات، يقول أبو الدرداء : (إنما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك) .

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى يدنى من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا
فإنما الربح والخسران فى العمل

وقد شبه أحدهم فترة الزمالة، بأنها سفينة تحملهم، وهى تجرى بهم وما عندهم خبر، فهذه الفترات تدفع الزمان دفعاً عجيباً، فيكبر الشاب، ويتزوج العزب، ويشيخ الهرم، ويمرض الصحيح، ويضعف القوى، والليالى تمر كسيارة تسرع فى طريق طويل تسير بهذه الفترات من أعمارنا، وفى الحقيقة نحن لا نسير ! ! .

وأعجب شئ لو تأملت أنها
منازل تطوى والمسافر قاعد

*** من أجل أن تكون زمالة طيبة :**

ومن أجل أن تكون فترة العمل طيبة، فلابد أن يكون الكسب طيباً، وهذا هو أساس العمل ، روى مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله  : « إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا له إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » . ومعنى (الطيب) : أن يكون طيباً من الرياء والعجب،

وأن يكون حلالاً، والطيب عمل وقول وفكر، يقول تعالى : ﴿ **قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾ ، ويقول تعالى : ﴿ **ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة** ﴾ ويقول تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾، ولذلك فالمؤمن كله طيب : قلبه ولسانه وجسده وعمله .

ولن يتحقق ذلك إلا بأن يكون عملك كله حلال، فأكل الحلال سبب فى قبول الأعمال، عن ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : « لا يقبل الله صلاة امرئ فى جوفه حرام » .

ويقول أبو عبد الله الباجى الزاهد : خمس خصال بها تمام العمل: الايمان بمعرفة الله عز وجل ومعرفة الحق واخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال.

ولذلك فالانفاق من المال الحرام غير مقبول عند الله، سواء كان على الزوجة أو الأولاد أو الأقارب أو حتى فى سبيل الله، فى الصحيحين عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « ما تصدق عبد (أحد) بصدقة من مال (كسب) طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه » .

وروى مسلم عن ابن عمر قول النبى ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول » . وفى مراسيل القاسم ابن مخيمرة قال: قال رسول الله ﷺ : « من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رحمه وتصدق به أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك جميعاً ثم قذف به فى نار جهنم » .

وقد حذر يوسف بن أسباط من ذلك بقوله: بلغنا أن دعاء العبد يحبس عن السموات بسبب المطعم. يقول بعض السلف :

لا تستبطئ الإجابة وقد
سددت طرقها بالمعاصى
نحن ندعو الإله فى كل كرب
ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة الدعاء
قد سددنا طريقها بالذنوب

* **همسات الخبرات :**

الخبرات والتجارب فى حياة الناس، لا تغفل ، وهى كنز يجب المحافظة عليه، وهى الثروة الحقيقية تقدم لك جاهزة دون معاناة أو آلام، ومشكلات

الأعمال تكاد تتشابه، فبعضها فى هموم الرزق والآخر فى المزاحمة للحصول عليه، والثالثة فى أخلاقيات وآداب التعامل، من الاحتكاكات اليومية، من عداوة وخصومات وحسد ومجاملات وصنائع وصحبة، والهمسات هى لمسة الحرص فى نقل الخبرة، ونبرة الحب فى الاستفادة من التجربة، وإليك هذه الهمسات من الخبرات والتجارب.

أولاً: من البله أن تبادر أحداً بالمخاصمة خاصة إن كان حسوداً أو خصماً أو منافساً عنيداً، ولكن يجب عليك:

١ - أن تظهر له ما يوجب السلامة بينكما : فإن اعتذر قبلت، وإن أخذ فى الخصومة صفحت، وإن أغلظ لنت.

٢ - أن تكون متعقلاً فى معاملته: فقد تتجافاه فى الباطن، مع إظهار المخالطة فى الظاهر.

٣ - فإذا أردت أن ترد على إيذائه ، فأول ما تؤذيه به إصلاحك لنفسك، وإجتهادك فى علاج ما ينشره عنك.

٤ - ومن أعظم العقوبة له العفو عنه لله، وإن بالغ فى السب فبالغ فى الصفح.

ثانياً: لا تعتمد على أموال تأخذها من أحد : فأسعد الناس من له قوت داره بقدر الكفاية لا من عطايا الناس وصدقاتهم وأموالهم، ثم القناعة بعد الرضا:

حسبى من الدهر ما كفانى ... يصون عرضى عن الهوان

مخافة أن يقول قوم ... فضل فلان على فلان

ثالثاً: **متى رأيت زميلك قد غضب وأخذ يتكلم بما لا يصلح ، وخارج حدود اللباقة، اصبر لفورته**: فإن الشيطان قد غلبه والطبع قد هاج، واحذر من إجابته بمقتضى فعله فإن فعلت ذلك كنت كعاقل واجه مجنوناً أو كمفيق عاتب مغمى عليه ، بل انظر بعين الرحمة، وارقب تصريف القدر له، وتفرج فى لعب الطبع به، وتيقن أنه إذا انتبه ندم على ما جرى وعرف لك فضل الصبر.

وأقل ما تفعله معه أن تجعله يستريح، فتتركه يشتفى بما يقول ولا تعول على ذلك، فسيعود نادماً معتذراً، فإن أكثر الناس إذا رأوا الغضبان قابلوه بما يقول ويفعل وهذا خطأ كبير.



رابعاً : لا وجه بأى تشاغل فى الدنيا يمنع الإنسان من الاعتدال فى حياته : فإن لنفسه حقاً ولزوجته حقاً، ولعمله حقاً، وللترفيه حقاً، وهكذا كان النبى ﷺ فى الفارق الكبير فى تشاغل النبى بأمور الأمة كلها وبين غيره ولذلك فالجمال فى الطلب هو الاعتدال، والأولى للإنسان أن يجتهد فى طلب الغنى ويبالغ فى الكسب، باتقان العمل، وتجويده، والمحافظة على نجاحاته فيه، والتنافس فى الخير، وأن يكون تحقيق ذلك من ألويات حياته، كان سعيد بن المسيب يتجر فى الزيت وترك مالاً، وترك سفيان الثورى مالاً وقال : لولاك لتمندلوا بى، فالأولى ادخار المال واستثماره للإستغناء به عن الناس، حتى يخرج الطمع من القلب الذى أودى بالكثيرين، وحتى يصفو العمل من شائبة الميل إلى الناس والركون لما يقدمونه والاعتماد عليه، لولا ما عانى يوسف عليه السلام ما قيل له (أيها الصديق) :

لولا المشقة ساد الناس كلهم
الجود يفقر والإقدام قتال

وراحة الدنيا فى العمل، فتعلم كيف الرحيل إلى الراحة؟ .

خامساً : من الغفلة أن تعاقب شخصاً أو تسئ إليه إساءة عظيمة، ولا تعلم أن مثل ذلك يجدد الحقد : فتراه ذليلاً طائعاً لك ، فتخدع وترجع إليه وتعود إلى سابق تعاملك معه وربما نصب لك المكائد بما يضمر من حقد فى نفسه، والسبب أنت فانتبه!! .

ومن البلاهة إظهار العداوة لأحد : فمن أحسن التلطف بأعدائه كسر شوكتهم، أو كف أذاهم، أو ربما ساعد فى تغيير قلوبهم، ،كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن رجلاً قد شتمهم أهدوا إليه وأعطوه من أجل هذه الأسباب الثلاثة السابقة فماذا أنت فاعل؟!

سادساً : كم من محتقر احتيج إليه : فإذا لم تقع الحاجة إلى ذلك الشخص فى جلب نفع أو تحقيق مصلحة ، وقعت الحاجة إليه فى دفع ضر، ووقف أذى.

- قد تحتاج إلى التلطف مع أناس ما كنت تحسب أنك فى يوم تلاطفهم، ولذلك لا تظهر إساءة لأحد فقد يأتيك أذى دون أن تدرى.
- من فهم المقصود وعمل على الدليل كان كالباقى على أساس وثيق، فلا يهمه شئ لأن الله معه :

كم كائد نصب لك المكايد فوقاك!

وكم حاسد حط منك بالذم فرقاك .
وكم أعطش من شراب الأمانى خلقاً وسقاك ! .
وكم أمات من لم يبلغ بعض مرادك وأبقاك ! يقول يوسف عليه السلام :
﴿ **معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ يوسف / ٢٧ .

فإياك وإضمار الأذى لأحد، واحذر ذنوب الخلوات، فإن الله يسمع ويرى، فعليك تجويد التوبة دائماً، فرب إساءة قتلت، ورب عثرة أهلكت، ورب هفوة دمرت، ورب حركة لا تستدرك تفريطك فيها أو افراطك بها، والله المستعان، فحاول فمعك القدرة، وحاول حتى تصل إلى التمام .

ولم أر فى عـيـوب الناس عـيـبـاً
كنقص القـادرين على التـمـام

● الأسرار العشرة فى آداب وأخلاق الزمالة :

عليك مراعاة آداب وأخلاق الزمالة وتجملها فى التالى :

١ ـ أن تكون الزمالة لله : وليس لمصلحة أو لحاجة ، وهنا يبارك الله لك فيها، ويجعلها باباً للجنة، يقول تعالى : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ .

وإن خلت من هذا الأساس فقد تكون باباً إلى النار، يقول تعالى ﴿ **يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلاً** ﴾ .

يقول ابن عباس فى هذا المعنى : وهل يفسد الناس إلا الناس، فالفساد بالصحبة متوقع والصلاح كذلك متوقع.

٢ ـ أن يكون الحب هو الرائد للزمالة : يقول الفضيل : إذا وقعت الغيبة ارتفعت الصحبة والأخوة، والأخوة مواجهة، لقوله تعالى : ﴿ **اخواناً على سرر متقابلين** ﴾، يقول الجنيد : ما تؤاخى اثنان فى الله واستوحش أحدهما إلا لعلة فى أحدهما

٣ ـ الصفاء لأن كل ما صفا دام : والأصل فى الصفاء عدم المخالفة، فلا يكثر الزميل من مزاح زميله، ولا يماريه، ولا يعده موعداً فيخلفه، والسر فى ذلك قول أبى سعيد الخراز : حين لم يختلف مع أحد فسئل فى ذلك فقال : كنت مع الناس على نفسى.

٤ ـ عند الفرقة لا تذكره إلا بخير : مهما الذى كان من زميلك، حتى عند التقاطع لا تبغضه ولكن تبغض عمله، يقول تعالى ﴿ **فإن عصوك فقل إنى**

برئ مما تعملون ﴾ ولم يقل إنى برئ منكم.

فحين تأخذه بعين الود تساعده فى القيام من عثرته حتى يأتى الفرج والصلح، لقوله ﷺ:

« لا تكونوا عوناً للشيطان على إخوانكم ».

ولذلك يقول ابراهيم النخعي، لا تقطع صاحبك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فإنه يركبه اليوم ويتركه غداً.

٥ - الايثار بين الزميلين: يقول تعالى ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾، ويقول تعالى ﴿ **لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا** ﴾، وما فى ذلك من انتزاع الحسد من الصدور، والايثار بالموجود والمقدور، يقول ﷺ: « المرء على دين خليله ولا خير لك فى صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه ».

٦ - حسن المعاشرة:

وهى فى التعاون وخاصة فى النائبات، والتغافل عن الزلات، وكتم العيب، وإهدائه العيوب المعلومة عنه، يقول عمر: رحم الله امرءاً أهدى إلىّ عيوبى.

ومن حسن المعاشرة أيضاً النصيحة، وما أجملها أن تكون فى السر، وفى المواجهة، يقول ميمون بن مهران: قل فى وجهى ما أكره، فإن الصادق يحب من يصدقه والكاذب لا يحب الناصح، يقول تعالى: ﴿ **ولكن لا تحبون الناصحين** ﴾.

٧ - الإنصاف:

- قال أبو عثمان الجيرى: حق الصحبة:
- أن توسع على أخيك من مالك ولا تطمع فى ماله.
- وتنصفه من نفسك ولا تطلب منه الإنصاف.
- أن تكون له تبعاً ولا تطمع أن يكون تبعاً لك.
- تستكثر ما يصل إليك منه وتستقل ما يصل إليه منك.

٨ - لين الجانب وعدم صولة النفس:

فالصولة على من فوقك قحة، وعلى من مثلك سوء أدب، وعلى من دونك عجز.

ومن لين الجانب الحرص على الملازمة وترك المفارقة، والمحافظة الدائمة على ألا يفترقا، بالقيام بخدمة الزملاء، واحتمال الأذى منهم، وتوقير صاحب الفضل والتوسعة له فى المجالس، حينما قدم أهل بدر إلى مجلس النبى ﷺ فلم يجدوا



مكاناً يجلسون فيه، وكان النبى ﷺ يجلس فى مكان ضيق فأقام من لم يكن من أهل بدر فجلسوا مكانهم، فاشتد ذلك عليهم فنزلت الآية: ﴿ **وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا** ﴾ .

ولا يمنع ذلك الحذر من زمالة من هو غارق فى ملذات الدنيا، وهجر الدين عن قصد، لقوله تعالى: ﴿ **فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا** ﴾ .

٩ ـ أن تكون خفيفاً :

والعكس أن تكون ثقيلاً مكروهاً، والخفة فى عدم التكلف للزميل، سواء كان فى الأطعمة أو فى التعامل، وأفضل الزملاء من كان معك على طبيعته.

والخفة تعنى عدم المداهنة للزميل، والمداهنة ما قصد به شيئاً من الهوى من حظ نفس أو طلب جاه، وهناك فرق بين المداراة والمداهنة، فأنت تداريه من أجل صلاحه وتحتمل منه ما تكره لمصلحته.

والخفة تعنى ألا تلجئه إلى الاعتذار، بأن تؤثر مراده على مرادك، وقصده على قصدك، ووجهة نظره على وجهة نظرك ، يقول على بن أبى طالب كرم الله وجهه:

شر الأصدقاء من أحوجك إلى مداراة وألجأك إلى اعتذار، أو تكلفت له.

ويقول جعفر الصادق: أثقل الناس علىّ من يتكلف لى، وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبى من أكون معه كما أكون وحدى.

١٠ ـ أن تكون معتدلاً :

الاعتدال أن تحادث زميلك على قدر فكره وعقله وثقافته، وهكذا كان النبى ﷺ يأمر كل شخص بما يصلح له، فمنهم من يأمره بالإنفاق ومنهم من يأمره بالإمساك، ومنهم من يأمره بالكسب، لذلك فالزمالة تنجح حين يعلم كل واحد وضع الآخر وما يصلح لكل واحد.

والاعتدال أن يكون لك وقت خاص مع ربك ومع نفسك، مهما كان عدد الزملاء، لتستمد زاداً يعينك على مواصلة الحركة مع الناس.

والاعتدال يعنى التوسط فى كل الانفعالات فى المزاح والحزن، أو فى التبسط والاحترام، أو فى الرفق والشدة، وكذلك فى آداء الحقوق الكثيرة بأحوالها المختلفة وهذا ما سنتحدث عنه بالتفصيل فى الباب القادم.

● **كيف تحب لزملائك ما تحبه لنفسك؟**

١ ـ تقبل الحق من كل ما جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً، وسواء كنت

تحبه أو لا تحبه، وإلا كنت متعاظماً عليه فكيف تحب إذاً له شيئاً؟ .

٢ ـ لا تنظر إلى نفسك بعين الكمال وإلى غيرك بعين النقص، فإن فعلت ذلك فقد أغلقت كل الأبواب عن الآخرين! .

٣ ـ إذا رأيت نقصاً فى أحد زملائك فاجتهد في إصلاحه، بأن تمقت عمله السئ وتعطف إليه وتشفق عليه، وبذلك تحب عملياً ما تحبه لنفسك! وتكره له ما تكرهه لنفسك ! .

٤ ـ إذا رأيت فى غيرك فضيلة فاق بها عليك فإذا تمنيت لنفسك مثلها، فانظر أولاً إن كانت فى الدين فهى حسنة، وإن كانت فى الدنيا فلا خير فيها.

٥ ـ عليك أن تحزن إن فاتك الفضائل فى الدين، ولذلك فعليك بالمنافسة فى طلب ذلك وبذل الطاقة والجهد ﴿ **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ .

ولا تكره أن أحداً يشاركك فى ذلك، بل تحب أن الناس كلهم ينافسونك فيه، بل تحث جميع زملائك على ذلك.

٦ ـ إذا اختصك الله بفضل أو ميزة فالتحدث بذلك من باب الحديث عن النعمة، كشرط أن ترى نفسك مقصراً فى شكر هذا الفضل، يقول ابن عباس: إنى لأمر على الآية من كتاب الله فأود أن الناس كلهم يعلمون فيها ما أعلم ويقول الشافعى: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب إليّ منه شئ.

٧ ـ بحسن الخلق فى معاشرة زملائك، تفتح الأبواب فى أن تحبهم، وتحقق أن تحب لهم ما تحبه لنفسك سواء بسواء، وقالوا فى حسن الخلق عن الحسن: أنه الكرم والبذل والاحتمال ، وعند الشعبى: البذل والعطية والبشر، وعند ابن المبارك: بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى ، وسئل سلام بن أبى مطيع فقال شعراً:

تراه إذا ما جئته متهللاً
كأنك تعطه الذى أنت سائله

ولو لم يكن فى كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحر من أى النواحى أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله

وعند الامام أحمد: حسن الخلق أن لا تغضب

خرج الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهنى: قال: قال رسول الله ﷺ: « ياعقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك » .

١٠ـ متى تغلق بوابات النجاة وتكون نقمة على صاحبها ؟

إذا تحولت هذه العلاقات الحميمة إلى مصالح وانتفت فيها النية الصالحة ، أو سارت على عكس ما أمر الشرع ، فاختلطت أوارقها ، ولم يميز فيها الحلال من الحرام ، هنالك تغلق هذه البوابات ، وتصبح مصادر شر ونغص فى حياة الإنسان ، وليس شرطاً أن تجتمع كل هذه البوابات معاً ، بل يمكن لواحدة منهن أن تودى بسعادة الكثيرين ، ومن ثم تتوقف حركة الفرد التى هى مصدر سروره وبهجته ، ورفاهية واستقرار المجتمع ، وعلى سبيل المثال :

١ـ المال والاقتناء :

حينما يصبح المال هدفاً رئيساً فى الحياة ، فتجتمع كل الهموم حوله ، فيعيش صاحبه مهموما دائماً ، فإذا بأمانه واستقراره يرتبط بوجوده ، وهو عرض زائل ، وغالباً والأقارب والأصدقاء والاهتمامات الأخرى فى درجة أقل من الأهمية وكذلك الاقتناء فكل ما تطوله اليد يجب امتلاكه مثل العقارات والأرض والفدادين والأسهم والسندات والسيارات أو المعنوية كالشهرة والجاه والعلاقات بالنخبة والصفوة والتباهى بكل ذلك ، ولعدم ثبات هذه الأشياء فكم من أناس ماتوا أو انتحروا أو أصيبوا بنكبات وأمراض عند زوالها وهم لا يعلمون !! .

٢ـ الزوجان :

من المساوئ الخطيرة أن يجعل الإنسان زوج أو زوجة الحياة الزوجية مركز الاهتمام الوحيد ، وبالتالي يعمل ذلك على محو الشخصية وعدم الاستقلال والاعتماد العاطفى على الآخر ، ويؤثر على يوم كل منهما فى مزاجه وانفعالاته بما يعرف (بالتقلبات العاطفية) ، وكذلك يؤثر فى عواطف ومشاعر الزوجين ، والتى تفسد العلاقات بباقى الدوائر ومع الناس .

ومن المساوئ أيضاً أن يذوب أحدهما فى شخصية الآخر فيطغى أحدهما على الآخر ، بما يحقق عواقب وخيمة حيث تنقلب الأحوال .

والاعتدال والتوازن من حب وعاطفة للزوجين أن يستمر فى انسيابية مع الاهتمامات الأخرى حتى يستطيعا مواجهة عقبات الواقع ومشكلات الحياة ، خاصة مع تقدم الزمن والعمر ، والأولاد يكبرون وتكبر مشاكلهم ، والحياة تقذف بالجديد من الصعاب ، فكيف يواجهان واقعاً هما فى غيبة عنه فلما

أفاقا يصطدمان بما لا يحمد عاقبته وهذا سر المشكلات الزوجية ، الذى غالبا ما يتحول وقتها إلى عداء صريح بعد تعايش سلمى ثم ينقلب إلى دفاع عن النفس ، قد يستمر وقتا للمحافظة على الأولاد أو إشباع الغريزة أو الحفاظ على تقاليد العائلة ، وإن لم يكن هناك رصيد وإن لم يكن هناك رصيد من الحب والثقة والتفاهم المشترك ، دمرت هذه الحياة فى أقسام الشرطة أو أروقة المحاكم (من أراد التوسعة يرجع إلى كتابنا (الزوجان فى مملكة الحياة الزوجية)) .

٣ـ الأولاد :

وعندها يتحول الأولاد إلى فتنة ونقمة وإيذاء للآباء فى الحياة !! وذلك حينما يتحول الأولاد إلى الهدف الوحيد لدى الإنسان ، فحب الأولاد قد يعمى ويصم ويجبن الآباء إن كان الهدف الأوحد !! وعندها يتبع الآباء سياسية التدليل والعطاء الزائد من المال أو الحرية غير المنضبطة ، فتنقلب الأمور من أيديهم وأيدينا ونرحل نحن ونتركهم فريسة للذئاب تنهش فى أجسادهم ، وكان لسان حال الآباء يقول : بعد أن خسرنا كل شئ من أجلهم ، فقد عرضونا تارة للجبن ، وأخرى لسلوك طرق غير شرعية ، وجعلونا نسبح فى الحرام من أجلهم ، ظانين أن سعادتهم هى الهدف فى الحياة ولا شئ غيرها ، فماذا بعد أن قطعنا كل صلتنا بالناس والحياة من أجلهم ؟ .

قد يظن البعض أن ارضاء الأبناء فى صغرهم مع التقصير فى تربيتم وتعليمهم الأخلاق والأدب والمبادئ ، هو الطريق لإسعادهم وبهجتهم ، فماذا كانت النتائج إلا أحزان ومآسى فى حال كبرهم فتيات أو فتيان !! .

٤ـ العمل أو الراحة :

المأساة فى أن يتحول العمل إلى هدف وحيد عند صاحبه ، فيهتم به أكثر من اسرته وأبنائه وأصحابه أو حتى دينه ، فيعطيه كل وقته وكل جهده وكل تفكيره ، ولكن ماذا لو فقد عمله ؟ أو أصيب بمرض أقعده عن العمل ؟ ، أو .. أو .. أو ... .

ومثل العمل الراحة من أجل المتعة واللهو ، وهى البطالة ، مع أن من يطلب الراحة من أجل العمل أو اثناء العمل فهى عمل ، ولكن أن تتحول الراحة إلى هدف للمتعة واللهو ، فمعظم الوقت أمام التليفزيون والفضائيات أو الانترنت أو المسارح والأفلام والموسيقى والأغانى ، فهذا سراب لا يتناهى ، وهو نوع من الإدمان إن واظب عليه الفرد يبعده عن الواقع وعن أسرته وأصدقائه وعمله وبالتالى الاحساس بالناس ثم المجتمع ككل ، واللهو زائل ووقته قصير ولا

يدوم ، والراحة لم تخلق فى الدنيا ، فمن هرول وراءها فإنه ينشد مستحيلاً ، وإن لم يكن الترفيه والراحة كما أوضحنا فى هذا الكتاب معتدلاً وموافقا للشرع والملح فى الطعام ، فهو لا فائدة منه للفرد والمجتمع معا .

٥- الأندية والجمعيات والأحزاب

أو المنتديات والمجالس ، ماذا يحدث للإنسان حينما تتحول إلى هدف وحيد ؟!! بحيث لا يشعر بأسرته أو أقاربه أو جيرانه أو زملاء عمله !! .

أولاً : تسلب منه استقلاليته وشخصيته فلا يستطيع أن يدير دفة حياته ، ولا يستطيع أن يفك أسره من ضغطها أو استغلالها له أو استغفاله لها أو هيمنة هذه الكيانات عليه وهذا أمر مرفوض تماماً .

ثانياً : قد يعادى الإنسان أسرته أو عائلته أو أصحابه أو أقاربه أو جيرانه أو بعضا من الناس ، من أجل التعصب الممقوت لناديه أو حزبه أو جمعيته أو جماعته .

ثالثاً : تسلب منه أفكاره وآراؤه ووجهة نظره ، حينما يكون عبداً لهذه الكيانات وبالتالى تضيع الأوقات والجهود وترهق الأعصاب ، وقد يعرض الفرد نفسه للمخاطر والمغامرات غير محسوبة العواقب .

رابعاً : تحدث خللاً اجتماعياً فى حركة الفرد ، مع الوقت يتحول إلى مرض مزمن من الصعب علاجه .

● **كيف أنجو ؟**

■ بشئ واحد فقط ، ووفق هذا الشئ تكون الاهتمامات ، فإن توفر فيها فكلها مضمونة النتائج ، محققة النجاة ، فما هذا الشئ ؟ .. أن تكون صاحب مبدأ .. فعليك بالمبادئ التى تجتمع كلها لإرضاء الله عز وجل ، فلماذا المبادئ ؟ .

١- لأنها لا تموت ولا تتغير فهى الأساس المتين لبناء حياة البشر .

٢- لأنها لا تنفذ كما تنفذ الأموال فهى بحق كنز لا يفنى ، يعيش فيها الناس حياة الاستقرار .

٣- لأنها ثابتة لا تتبدل بتبدل الأحوال والظروف فهى مصدر السعادة والبهجة مع أسرنا وأولادنا وزوجاتنا وأعمالنا وأصحابنا والناس جميعاً .

٤- لأنها راسخة فى القلوب فالتعامل حقيقة مع الخالق وليس المخلوق ، فهى مضمونة النجاح فى تناغم فطرى بين الأسرة والعمل والمجتمع .

٥- لأنها تنطلق من قاعدة صلبة وهى الايمان فهى تعطيك قوة فى مواجهة

الصعاب والانتصار عليها ، وإرادة فى تخطى الصدمات ، وعزيمة وصبر وأمل أمام العثرات .

٦ـ لأنها تسير وفق الشرع المحدد ، لا أهواء البشر ، فهى تجعل حياة الإنسان هانئة آمنة ، حيث يعيش فى سلام مع نفسه والناس .

وهذا مثال عملى : فى وقت واحد قد يكون هناك عدة اختيارات :

هل ترضى زوجتك ؟ .

أم ترضى رئيسك فى العمل ؟ .

أم تستقبل المال القادم إليك ؟ .

أم إسعاد الأولاد ؟ .

أم عمل خدمى فى المجتمع ؟ .

فإن أنت طرحت كل ذلك على المبدأ الذى تؤمن به ، وجعلت كل ذلك على ميزان واحد ، نجوت وأحسنت الاختيار ! نعم أن ترضى الله وحده ...

***



سادساً: مهارات حركة الفرد فى المجتمع وأفكار عملية

المهارات والأفكار:

تمهيد

للفرد أثناء حركته فى المجتمع عدة مهارات يكتسبها بالحركة والانشغال بالناس، ففى كل يوم يبدأ برنامجاً جديداً كله نشاط وحيوية، وما إن ينتهى يومه إلا ليستعد ليوم جديد، بمهارات جديدة، لأن الحركة تولد أفكاراً وكل فكرة تأخذ بحجز أختها فى رشاقة لتظهرها إلى الحياة كعروس تستقبل عمراً لم تعرفه مسبقاً، وحياة غضة لم ترها من قبل.

والمهارات الحركية شأنها شأن كل مكتسب لا يأتى من فراغ، فهناك استعداد لدى الإنسان ثم رغبة جامحة للتلقى والتعلم ثم سلوك يترجم هذا الاستعداد ويشبع تلك الرغبة فى ممارسة مستمرة، وباعتياد هذا السلوك الحركى مع الناس يتحول إلى سجية وطبع يتحرك به دون دراية أو تكلف أو تصنع، ومع كثرة الانشغال بالناس وحياتهم واهتماماتهم وهمومهم وأفهامهم وأفكارهم تولد الأفكار العملية التى تنتشلهم من سجن ما هم فيه ومن القيود التى تحاصرهم إلى حرية الانطلاق والطيران بخفة الطير ورشاقة الواثقين.

وليس الأمر يكمن فى الأفكار بل هناك سنة كونية للناس جميعاً لا تتغير ولا تتبدل، وهى خاصة بأهل الانشغال الدائم، ملخصها أن الله يمن عليهم بالابداع والابتكار، فى اللحظة التى يظنون من كثرة انشغالهم وتطبيقاتهم وممارستهم أنهم فشلوا، هنالك تظهر الفكرة الابداعية وهى قليلة لأنها مرتبطة بأكثر الناس اشتغالاً وشغلاً وسعياً وحركة وهم قلة، والعجيب قد تأتى الفكرة الابداعية النادرة لعدد محدود فى صورة واحدة وبأسلوب واحد، وعلى ذلك فالفائز من هؤلاء هو المبادر فى تحقيقها وتحويلها إلى عمل فى نفس اللحظة، وبذلك يتشرف بأن تولد الفكرة على يديه ويراها أمامه تكبر وتنمو كطفل له يسعده أن ينمو أمام عينيه وليس له دخل فى نمائه.

وهى سنة كونية أى للناس جميعاً، فهى غير مرتبطة بدين أو التزام أو حتى خلق، ولكنها فى الاسلام ترقى من سنة كونية إلى عبادة ربانية: فمن عمل بها

وجهر بها أو دل عليها أو نشرها أو عمل بها غيره . . كل ذلك له أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة (فالدال على خير كفاعله) .

وأى عمل اجتماعى فى الاسلام مادام موافق للشرع وقائم على نية صالحة فهو عبادة، يتكفل الله تعالى بنجاحه والدفاع عنه وبأجره وبثواب العاملين به والقائمين على نشره .

والدليل على أنها سنة كونية بالمعنى الذى وضحناه منذ قليل، محاولات العلماء فى معاملهم، وأصحاب الخبرات والتجارب فى حياتهم، كيف أنهم حاولوا ثم حاولوا وكم تعرضوا لفشل، فلم يستسلموا له، وقالوا لعل فى المحاولة القادمة يكون النجاح، وأصروا على الانشغال، ولما كان الجزاء من جنس العمل، فكان من العدل الالهى أن يجازيهم على قدر سعيهم بنجاح أعمالهم وتقدم أفكارهم، فمن تكاسل لا يحمى فكرته بل فى نفس الوقت يحملها غيره من المنشغلين بها والذى أتته نفس الفكرة، فيعمل على نشرها وتطبيقها فيتشرف بها وتشرف به .

وفى العمل الاجتماعى والحركة مع الناس والمجتمع، تكثر الأفكار الابداعية لأن من طبيعة من يتحرك أن ينشغل بالناس، ولذلك نجد كماً هائلاً من الأفكار العملية فى حياة المجتمع تتوالد، ونقول أفكاراً عملية، لأن الفكرة الابداعية لها شروط ثلاثة : أن تكون جديدة وقابلة للتنفيذ وملائمة للواقع، ولذلك فهى عملية، وإذا كان الأمر كله يكمن فى الانشغال بالناس والمجتمع، فهو وثيق الصلة بعدة مهارات لكى نضمن له النجاح، ولذا سنبدأ بمشيئة الله أولاً بهذه المهارات ثم نستعرض بعضاً من الأفكار العملية الناجحة، وهى ثمرة هذه المهارات ثم ثالثاً : نفتح المجال لكل أفكار ابداعية جديدة يراسلنا القراء الأحبة بها أولاً بأول لتكتب فى الطبعات القادمة أو نخرجها فى حينها بما يلزم الحال .

مهمة الإنسان الصالح فى الحياة :

بالتأمل فى مهمة ورسالة الإنسان الصالح فى الحياة، نجد أنها ترتبط فى معظمها بالناس والمجتمع سواء كان من قريب أو من بعيد، فقد أجملها العلماء فى ثلاث آيات قرآنية أوضحت أنها لا تخرج عن ثلاث محاور :

الأول : عمارة الأرض :

بمعنى أن يعيش الإنسان لنفسه ولغيره معاً، فلا ينفع أن يعيش لنفسه منعزلاً عن غيره، ولا يعيش لغيره تاركاً العنان لنفسه، وذلك فى قوله تعالى :

﴿ **واستعمركم فيها** ﴾ هود / ٦١ .

الثانى : عبادة الله :

بالمفهوم الشامل فى الحياة، وملخصها الامتثال لأوامر الله ونواهيه فى كافة مظاهر الحياة، لقوله تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ الذاريات / ٥٦ .

الثالث : خلافة الله :

ومعنى خلافة الله فى الأرض إقامة العدالة بين الناس والإحسان إليهم، لقوله تعالى : ﴿ **ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ الأعراف / ١٢٩ .

والجزاء على هذه المهمة وأداء تلك الرسالة، الحصول على الجنة، وجوار رب العزة ، وإلا فقد أوضح القرآن أن البهيمة خير من الإنسان لقوله تعالى ﴿ **أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ الأعراف / ١٧٩ .

وقد أجمل الله تعالى تلك المهمة فى ندائه للمؤمنين حين قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ الحج / ٧٧ : ٧٨ .

فمع الرب بالعبادة، ومع المجتمع بفعل الخير، ومع المناوئين المعادين بالجهاد فى الله أى بكل أنواعه التى شرعها الدين.

وما وجدت أحداً قد أجمل فى ايجاز تفصيل هذه المهمة فى نقاط محددة، غير الامام الشهيد حسن البنا الرائد لحركة الفرد فى مجتمعه، وبين الناس، وذلك حينما تحدث عن المرتبة الثالثة من ركن العمل تحت عنوان (إرشاد المجتمع) فقال :

(● بنشر دعوة الخير فيه
● ومحاربة الرذائل والمنكرات
● تشجيع الفضائل
● الأمر بالمعروف
● والمبادرة إلى فعل الخير
● وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية .
● وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائماً وذلك واجب كل أخ على حدته وواجب الجماعة كهيئة عاملة) .



أولاً: مهارات حركة الفرد فى المجتمع
(أ): مهارات شخصية

١ ـ النظافة والتجمل :

وهى مراعاة الذوق العام، ومن خصائص الإنسان الراقى، وهى مدعاة لقبول الآخرين، والتأثير فى مشاعرهم، والتجمل والنظافة تحمل الإنسان فى أجواء عالية نقية، تفعل مع الناس السحر، وهى حق البدن، لقوله ﷺ : « إن لبدنك عليك حقاً » .

وهى جمال الإنسان لقوله ﷺ : « إن الله جميل يحب الجمال » رواه مسلم . وهى الرابطة الحقيقية بين الناس فى المجتمع، ففى الصحيحين عن ابن عمر قول النبى ﷺ : « من أكل من هذه الشجرة - يعنى الثوم - فلا يقربن مسجدنا » .

وقد نهى النبى ﷺ عن الاستحمام فى الماء الراكد لأنه مظنة التلوث لعدم جريانه وعدم تجدده، فى الصحيح عن أبى هريرة : « لا يغتسل أحدكم فى الماء الدائم وهو جنب » .

ومعنى ذلك أن النظافة مقدمة حتى على أن يغتسل الجنب، فليبحث أولاً عن النظافة .

وقد نهى النبى ﷺ عن غمس اليد فى الإناء بعد النوم روى مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده فى الإناء حتى يغسلها ثلاثاً فإنه لا يدرى أين باتت يده » .

فقبل أن يأكل شيئاً فالنظافة أولاً، ويضمن عند مصافحة الآخرين أن يجدوا منه أجمل وأحلى رائحة .

● والاستحمام فى حياة الإنسان به يبدو منتعشاً ولذلك يقول النبى ﷺ عن أبى هريرة : « حق على كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده » .

● وكان النبى ﷺ أنظف الناس وكان يستاك ويكرم شعره وينظف الأفنية، ويتعطر بأجمل طيب، وكان يرفع يديه بالدعاء حتى تظهر عفرة ابطيه، وكان ساقه ربما انكشف فكأنها جمارة، ولا يفارقه السواك، وكان يكره أن يشم منه ريح ليست طيبة، وفى الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال : (ما شانه الله ببيضاء) دليل النظافة الدائمة .

* وقال ﷺ لأصحابه: «مالكم تدخلون عليّ قلحا (صفرة تعتلى الأسنان) استاكوا».

ويقول بعض الحكماء: من طال ظفره قصرت يده وكانوا يقولون: من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله، ولذلك كان النبى ﷺ يحب الطيب ويؤنس به الزوجة بتلك الحال.

٢ ـ اتباع القواعد:

والمقصود بها قواعد المعاملات التى تدخل السرور على النفوس، وتفتح مغاليقها، وقد ذخر الاسلام بقواعد رائعة فى المعاملات لعلنا تحدثنا عن الكثير منها فى معرض حديثنا عن الصفات وخصائص الحركة نذكر منها على سبيل المثال:

● حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال: «لا يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه»

● حديث أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ: «يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير» البخارى

● حديث أبى هريرة أنه سمع النبى ﷺ يقول: «لو اطلع فى بيتك أحد ولم تأذن له خذفته بحصاة ففقأت عينيه ما كان عليك من جناح» متفق عليه، والأمر لتغليظ ترك العمل بهذه القاعدة والتهاون فى فعلها.

● حديث سهل بن سعد الساعدى أن رجلاً اطلع فى حُجر [فتحة من الباب] فى باب رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ مدْرى يحك به رأسه (مشط من حديد) فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «لو أعلم أنك منتظرنى لطعنت به فى عينيك» ثم قال رسول الله ﷺ: «إنما جعل الإذن من قبل البصر» البخارى.

● حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: لا يحلبن أحد ماشية امرئ بغير إذنه أيحب أحدكم أن تؤتى مشربته فتكسر خزانته فينقل طعامه، فإنما تخزن لهم ضروع مواشيهم أطعماتهم، فلا يحلبن أحد ماشية أحد إلا بإذنه» البخارى.

● حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها» متفق عليه.

ويقاس على ذلك دوام بيع الصالح.

● حديث أبى قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شرب أحدكم

فلا يتنفس فى الإناء وإذا أتى الخلاء فلا يمس ذكره بيمينه ولا يمسحه بيمينه » متفق عليه.

وإنما ذلك لما فيه من مراعاة الآخرين، فيترك لهم رسالة نقية تحمل الود والإحساس بهم عند شربهم أو مصافحتهم.

● حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: « الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الابط وتقليم الأظافر وقص الشارب » البخارى.

وهذه بعض من كل ولكننا سقناها للقياس عليها فى كل ما اتفق عليه الناس من قواعد، لما فيها من خير يعود على المجتمع، ما دامت توافق الشرع ولا تضر أحداً.

٣ ـ فن الراحة :

يحسب البعض أن الراحة عكس الجد، وأنها تفقده التعامل مع الناس، وتمنعه من الحركة التى ينشدها فى المجتمع، ولكن عليه أن يعلم الحكمة التى تقول: « أخذ الراحة للجد جد، وأخذ الراحة للحركة حركة، وأخذ الراحة للعمل عمل » ولذلك فإن فنون الراحة ما هى إلا عمل وحركة وجد، وليست توقف أو سفول أو هبوط، بل ارتفاع ورقى وصعود، وفى الحكمة يقولون: (غوص السابح فى طلب الدر صعود) وبذلك فكل فن من فنون الراحة، للإنسان مع الناس الذين يتعامل معهم فى الدوائر المختلفة، هى العمل الحقيقى الذى يحقق الأهداف، واليوم تتنوع وسائل وفنون الراحة من رحلات وأسفار وزيارات ومنتزهات وقرى سياحية وشواطئ وأنهار وحدائق وبساتين وغير ذلك كثير، واختبار ذلك يرجع إلى طبيعة الإنسان ومستوى تعامله مع الناس وطاقاته فى ذلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولعل ذلك من الرفق المقصود من حديث النبى ﷺ: « إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

فلابد لكل تعب من راحة يأخذ منها لعمله إعانة .

٤ ـ كشاف الخلطاء :

فى تعاملك مع المجتمع وأنت تخالط الناس تجد أن الناس واحد من خمس:

الأول : البعيد :

فهو يخالط الناس ولكنه لا يفيدهم ولا يستفيد ولا يؤثر فيهم ولا يتأثر بشئ منهم ، وجوده كعدمه، فهو لا يعلم غاية وجوده بين الناس، ولا نال المراد

من مخالطته إياهم، وهذا يحتاج إلى البدء معه من نقطة الصفر، والصبر على مراحل فهمه واستيعابه حتى يضع أول قدم فى الطريق، ولا يهمل أو يترك فرب متأخر اليوم متقدم الغد .

الثانى : الخاطئ :

هو يخالط الناس مثل الأول ولكنه أضاف إليه أذى الناس فهو يتوعدهم بالإساءة والبذاءة ويوزع شروره وهم دائمو الاستغاثة منه، فلا هو صالح ولا فهم مهمته ولا كف عن الناس شره، ومهمتنا معه أولاً أن نحول بينه وبين ظلمه وشره وآذاه، فإن كف وتوقف عن الأذى بدأنا معه مثلما فعلنا مع الأول، فالقصد ما دام خيراً فإنه موفق والمطلوب ما دام حسناً فإنه معان .

الثالث : المقصر :

إنه يخالط الناس ولكنه ينفعهم بشئ واحد فقط لا يتعداه إلى غيره من الفضائل مع قدرته على ذلك مكتفياً بالقليل، فحرم نفسه من أبواب النجاة الكثيرة، فهو يهتم بعائلته مثلاً وفقط ويقاطع أقاربه ولا علاقة له بجيرانه، أو تراه نافعاً لأصدقائه وزملاء عمله، على حساب أسرته وأقاربه وقد أوضحنا فى باب العقبات أن هناك أسباباً عديدة، ومن اليسير علاجها .

الرابع : المتغير :

يخالط الناس بظاهر جميل، وعلاقات رائعة، ولكنها تحكمها المصالح، وتحقيق الأهداف، بعيداً عن العواطف والمشاعر وأدب النفوس وخفقات القلوب وصدق الأخلاق، وهذا لابد من التعامل معه على حذر، والخوف من باطنه الذى لا يأمنه أحد، فقد يفاجئك بسوء أدب أو أذى أو جرح للمشاعر أو خلق ذميم، فلابد أن تكون على استعداد للتغير الدائم والتبدل المفاجئ، ولا يمنعك ذلك من نصيحته وتذكرته، وطرق مشاعره وقلبه لعل .

الخامس : المقبول :

البعض يسمونه التام أو الكامل وحيث أن الوصول إلى الكمال محال فى الإنسان، فالمجاز هوالإنسان الذى يوضع له القبول لدى الناس، فهو المقبول، وهو من يخالط المجتمع بظاهر حسن وباطن أحسن ، فهو مع الناس يسعى دائماً إلى المعالى، يصاحب بمبادرة وهمة سامقة، يسابق الزمان والأوقات لنيل كل فضيلة ونشر كل خير، لعلمه بأن الأيام قلائل، وهذا من هيأه الله، والحكمة تقول : إذا أرادك الله لأمر هيأك له، فله وحده الأمر من قبل ومن بعد .

بهذا الكشاف يستطيع الإنسان أن يعرف نفسه ويكتشفها فيعالج تقصيره، وبه أيضاً يكتشف الخلطاء، فيتعامل معهم المعاملة الواعية ويدفعهم إلى تغيير أنفسهم بالمتاح له والله المستعان، وليس الأمر بالطبع اكتشافهم للتشهير بهم، أو وقف التعامل معهم ، فهذا ضد ما أردناه من غرض الكتاب .

٥ ـ مراعاة الناس :

● ليست كل المعلومات تقال بالهزل والسطحية والترخص وهذه نصيحة سفيان الثورى يقول : « تعلموا هذا العلم واكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب فمراعاة الناس لا ينبغى أن تنكر » وكيف تنكر وهى أساس تعاملنا معهم؟ ومراعاتهم بالتثبت من المعلومات وعدم خلطها بهزل فالأصل أنك تخاطب القلوب فمنها يحدث التغيير، وليس الأمر ترفاً فكرياً أو نزهة عقلية .

● ومراعاة أقدار الناس مهمة، ولكنها بالقدر الذى لا يخرجك من العزة والإباء إلى الذلة والتبذل والتنازل والاستجداء وهذا ما قصده أبو عبيدة فما أحسن ما لاحظ حينما قال لعمر بن الخطاب وهو راكب على حمار ورجلاه من جانب : (يا أمير المؤمنين يتلقاك عظماء الناس)

وما أروع ما قصده عمر، من العودة إلى الأصل : (إن الله أعزكم بالاسلام فمهما طلبتم العز فى غيره أذلكم الله) واليوم ما أحلى أن يجتمع الأمرين معاً، التقدير الذى لا ينزل صاحبه عن عزته وإبائه .

وكان من تقدير مالك بن أنس للناس أنه كان يغتسل ويتطيب ويقعد للحديث .

● ومراعاة الناس لا تزال بالإنسان حتى يصير ذلك طبعاً، لا يفرق بين كبير وصغير، فى حديث سهل بن سعد ، قال : « أتى النبى ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال : يا غلام أتأذن لى أن أعطيه الأشياخ؟ قال : ما كنت لأوثر بفضلى منك أحداً يا رسول الله، فأعطاه إياه » متفق عليه .

● وفى وقت الشدائد وفى حصار المصائب تظهر المعادن وتختبر النفوس ، وتلوح الأخلاق، ومعاونة الناس لا تحتاج إلى إجبار فالكل فى هم واحد كما يقولون، فهو بالاختيار والايثار والحب ، وهذه هى المراعاة الحقيقية للناس بعضهم مع بعض : عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كنا بالمدينة مع بعض أهل العراق

فأصابنا سنة (غلاء وجدب) فكان ابن الزبير يرزقنا التمر، فكان ابن عمر يمر بنا ويقـول : «إن رسـول الله ﷺ نهى عن الإقـران (القـرن بين التـمـرتين أو عظم اللقمة أى الكبيرة) إلا أن يستأذن الرجل أخاه» متفق عليه .

فكانت الدعوة إلى الإيثار فى وقت الشدة بعدم القران لما فى ذلك من غبن واضح ، ثم أرشدهم ﷺ إلى الاذن لما فى ذلك من تطييب لأنفس الآخرين.

● ولم يكن النبى ﷺ عيّاباً، يصطاد العيوب وينشرها، ولعمرى أن أقواماً قد مهروا بهذا الأمر واكتسبوا فيه من الخبرات ما جعلهم خبراء عيوب، سواء كان فى كلام الناس أو آرائهم أو وجهات نظرهم أو حتى فى ملابسهم أو طعامهم أو مسلكهم، وعن أبى هريرة قال : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه » متفق عليه، وعلى هذا تقاس الآراء والأفكار والهندام والأخلاق والمسالك، فإن أعجبك شيئاً من ذلك فخذ به وإلا تركته!! فتغلق بذلك أبواباً للشيطان كثيرة!! .

٦ - حَكَم المباراة :

والذى نقصده من حكم المباراة، حركته الدائبة وعينه الساهرة، وعلاجه السريع، وحسمه الدقيق، وتواجده الدائم مع الحدث وفيه، ويتعاون دائماً مع معاونيه فى تفاهم رشيق ولمحات سريعة، فى اتخاذ القرار السليم، وهكذا يكون نموذجنا، كما أن الحكم لم يصل إلى هذا الأداء المتميز إلا بتكوين هذه المهارات وتعهدها، كذلك الإنسان الصالح فى مجتمعه بالتعهد المستمر والاكتساب الواعى يصل إلى هذه المهارة الساحرة، فالخيوط كلها فى يده والكل يتمثل أمره فى حب وثقة، وفى الحركة معهم فى أرض الواقع، ليس فى برج عاجى أو فى عريش دافئ أو فى ظليل بارد يحكى عبد الله بن مغفل يقول : « كنا محاصرين قصر خيبر، فرمى إنسان بجراب فيه شحم فنزوت لآخذه (أسرعت إليه) فالتفت فإذا النبى ﷺ فاستحييت منه » البخارى.

وأنت كذلك إذا التفت الناس وجدوك فإن كانوا على خير شكرتهم وإن كانوا فى تقصير منعهم الحياء من تواجدك.

وهكذا كان النبى ﷺ، يبنون المسجد وهو معهم يبنى ، يحفرون ويهتدون بحفره، يتحملون الجوع لعلمهم بأنه أجوعهم، وفى السير يجتهدون فى اللحاق به ولا يكترث، وفى الحرب يحتمون به لأنه فى المقدمة، فكيف يقعدون وهو يعمل؟! ولم يكسلون وهو ينشط؟! لقد حاول البعض أن يتفوق على رسول الله ﷺ فى العبادة فأخفقوا؟ .

يحسبون أن الدين بالشدة، وإنما الدين بالرفق واللين والتلطف!!، ولقد حاول البعض أن يغالب رسول الله ﷺ فى عدم الأخذ بالرخص فما استمروا؟ يحسبون بتنزهم يحصلون على الخشية والعلم بالله وما هى بالتصنع والتكلف، تقول عائشة أم المؤمنين: صنع النبى ﷺ شيئاً فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخطب فحمد الله ثم قال:

« ما بال أقوام يتنزهون عن الشئ أصنعه، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » متفق عليه .

ولذلك لا ينفع الناس إلا التعلق بالله وحده وهم يتعاملون معاً، وأى حركة خلت من هذا الأصل فهى مردودة، عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله ﷺ قال: « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » رواه البخارى، فالتواجد والانصهار والانخراط، على هذا الأساس فهو بناء قوى ثابت وإلا كان كالقصور من الرمال لا تلبث أن تختفى فلا وجود لها .

٧ ـ التجلد عند الابتلاء :

ما قرره علماء النفوس أن كل واحد يحب أن يكون دائماً فى درجة أعلى من الآخر، وعلى ذلك فعلى العاقل إن أصابه ابتلاء أو مصيبة أو مرض أو محنة أو شدة، فهو واحد من ثلاث:

الأول: يعمل على سترها بالتجلد حتى لا تنزل منزلته لدى الناس .

والثانى: يتحمل إن كان متعففاً حتى لا يرى بعين الرحمة والشفقة من الناس .

والثالث: يتحايل إن أصابته المصيبة كالمرض والفقر وغيره، حتى لا يرى بعين الشماتة من أصحاب العافية وهذا ما فعله النبى ﷺ حين قدم مكة، قال لأصحابه وقد أخذتهم الحمى فخاف أن يشمت بهم الأعداء حين ضعفوا عن السعى فقال: « رحم الله من أظهر من نفسه الجلد فترملوا (الرمل شدة السعى) » واستأذنوا على معاوية وهو فى مرض الموت فقال لأهله: أجلسونى، فقعد متمكناً يظهر العافية فلما خرج العواد (الزوار) أنشد:

وتجلدى للشامتين أريهم
أنى لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفع

فتحمل الشماتة أشد من كل بلية ولذلك فطريق العقلاء إظهار التجلد عند الفقر والمصائب والبلاء .

وينبغي التفطن أن التجلد الزائد عن حده قد يكون مدعاة للرسوب ويتحول إلى ادعاء كاذب، والمرء إن ادعى ماليس فيه فضحته حقائق الامتحان، أو يعرض صاحبه لعين حسود وهو ليس كذلك، فالتجلد يكون بالقدر الذى يعلم أنه فى خير، ويحقق الهدف، ولهذا السبب قال يعقوب لبنيه عليه السلام: ﴿ **لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة** ﴾ يوسف / ٦٧ .

(ب) : مهارات نفسية
نشدان الكمال الممكن

هل فى غير التعامل مع الناس نصل إلى الكمال؟ .

فى حديثنا عن كشاف الخلطاء، تبين أن الكمال لا يصل إليه أحد من البشر إلا المعصوم ﷺ ؟ .

ولذلك استعرنا كلمة المقبول من الناس، ولكن ناشد الكمال، السابق فى همته، قد يصل إلى الكمال الممكن، أى يوافق اجتهاده، وهو كمال دون الكمال، وغرضنا أن يكون الإنسان سباقاً مبادراً ساعياً دائماً، وللعقلاء من خبرات وتجارب أهل هذا الفن لمسات وهمسات نجملها فى التالى، راجياً التفطن لمعانيها، والتفهم لمراميها:

١- لخص أحدهم شعوره بزوجته فقال:

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً
وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فمن عنده زوجة صالحة فليتمسك بها، فإنها نادرة الزمان وياقوتة الوجود، فلا يعرف قيمة زوجته إلا من ابتعد عنها، ومن طلب غيرها فهو فى تلف وهلاك كما قال القائل:

نحب القدود ونهوى الخدود
ونعلم أنا نحب المنونا

فإذا كان الذى معافى لا يعرف قدر العافية إلا فى المرض، وكما لا يُعرف طعم الحرية إلا فى الحبس، كذلك لا يعرف قيمة زوجته إلا من يحافظون على زوجاتهم، وكذلك الزوجات الفاطنات.

٢- المال فى تحصيله آثام، وفراقه حسرة وذهاب العمر فيه غبن، فهل مطلوب

من رجـال الأمـوال الزهـد؟ إن كـان الزهـد بمعناه السطحى فى الملبس والمأكل والظاهر للناس، فـهـذا زهـد مـزيف، فـقـد كـان أبو بكـر يخـرج للتـجـارة والرسـول ﷺ حى وكان ابن عمر لا يرد شيئاً ولا يسأل ومن كبار العلماء من كان يعمل بالتجارة كأبى حنيفة وابن سيرين وسفيان وابن المسيب، فالواجب على العاقل أن يحفظ ما معه وأن يجتهد فى الكسب فلا يعرض نفسه لمداراة ظالم أو مداهنة جاهل .

والاعتدال فى هذا الأمر عين العقل ، فنعم المال الصالح للرجل الصالح، ولأن تترك ورثتك أغنياء خير لك من أن تتركهم عالة يتكففون الناس، وعمر المؤمن فى الصلاح كله خير، فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة قول النبى ﷺ : « لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً » ، وإنما ذلك لسر التزامه بالطاعة والأوبة الدائمة لله والرجوع إليه فى كل صغيرة وكبيرة، فى حديث جابر قول النبى ﷺ : «إن من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله عز وجل الإنابة» .

ولذلك فالمؤمن لا يندم لأنه يأخذ بالحزم وقد أفلح من تأهبا، فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه، فإن بغته الأمر رؤى مستعداً، وإن نال الأمل ازداد خيراً.

٣ـ تريد أن يكون عملك مقبولاً ومؤثراً فى الناس وعمرك لا يضيع؟ . . افعل شيئاً واحداً وأنت تخالط الآخرين: اعمل لله وحسب فمن ادعى شيئاً علماً أو جاهاً أو زهداً من أجل استمالة الناس صرف الله قلوبهم عنه فخسر عمله وهلك عمره!! وسر ذلك واضح جداً لأن الله إن رضى عنك أرضى القلوب عنك ووجهها إليك، وإن لم ير الله العمل خالصاً له أعرض بقلوب الناس عن صاحبه، فبالله ما قيمة الاجتهاد فى عمل خاسر ونتيجة هالكة؟! والأخطر من يجتهد برأيه فى هذه المسألة فيقتنع أنها من خبرته وعلمه وتجاربه وذكائه وتفوقه، فقد زاحم الشرك نيته، لأنه لم يقتنع بنظر من يعمل فى الأصل له، عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج للناس عمله كائناً ما كان» ، فعلام يقصد البعض من ليس ينفعهم بشئ؟ ! وعلام تتشاغل بمدح من عما قليل نبتلى نحن وهم؟! .

٤ـ فى المحن ينشد العقلاء الكمال الممكن، وهو طاقاتهم وليس فوقها، وبمقدورهم صناعته وممارسته، والتلذذ بتنفيذه، والانتشاء فى تطبيقه، فيعيشون فى دنيا غير الدنيا، وبذلك تصنعهم المحن فيخرجون منها فى أكمل

عافية،لتحقيقهم الكمال الممكن، فيرتدون أثواب الصالحين ، فنعاسهم نعاس المتهجدين، ودموعهم دموع المتأسفين، ورءوسهم رءوس المنكسرين، وجباههم جباه المصلين، وأكفهم أكف الراغبين ، وحنينهم حنين المشتاقين، وفكرهم فكر المتيقظين، يبالغون فى الدعاء ولا يرون أثراً للإجابة، فلا يتغير أملهم ورجاؤهم ولو قويت أسباب اليأس لعلمهم بأن الحق أعلم بالمصالح، ويكفيهم أن مبتليهم هو الكريم تعالى، وقد لخص الامام أحمد بن حنبل محنته فى عبارة وجيزة فقال : (إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وإنها أيام قلائل » وذلك لأن زمان الابتلاء ضيف تكرمه بالصبر، وكان قد أهدى إلى الإمام أحمد هدية فردّها وبعد سنة قال لأولاده : لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت .

٥- الأقدار حلوها ومرها، خيرها وشرها، كم عصفت بالكثير، فنأت بالبعض عن استكمال مهمته، وأقعدت البعض عن رسالته، وأوقفت البعض عن حركته، وفى الحكمة : (ان اعترض الإنسان لم يمنع جريان القدر ،وإن سلم جرى القدر، فلأن يجرى والإنسان مأجور خير من أن يجرى وهو مأزور) وفى مجال الحركة فى المجتمع، هذا الإيمان يدفع إلى التعامل بحكمة مع الناس، فلا يغفل عن عمارة لحظة من اللحظات، فما معنى أن يمضى عمر نصفه فى نوم والنصف الآخر فى غفلة، فكما قيل :(أبله الناس من عمل على الحال الحاضرة ولم يتصور وقوع ما يجوز وقوعه)، وأمثلة ذلك فى الحياة كثيرة :

- من يغتر بمقتضى أنه يملك شيئاً فإذا تغير هلك .
- من يعادى الناس لسلطته فإذا تغير حاله ندم .
- من يبذر فى ماله وينس أن المال إلى عدم .
- من يعطى كل ماله لولده ثم يبقى كلا عليه
- من يثق فى صديق فيبث إليه أسراره ثم يهلك .
- من يغتر بالسلامة ثم تتغير الأحوال فجاة عليه

وإن كانت الأشياء لا تثبت، والمحبة لا تدوم والتغير مقرون بكل حال، فعلى العاقل ألا يدخل فى شئ حتى يهئ الخروج منه بل عليه أن ألا يدخل فى شئ يريد الخروج منه :

ومن أمثلة ذلك :

١ -إذا أبغضت شخصاً لأنه يسوءك فلا تظهرن ذلك فإنك تدعوه إلى المبارزة بل ينبغى أن تظهر له الجميل وتبره ما استطعت فإن لم تطق فصبر جميل ومتى سمعت كلمة قذعة فاجعل جوابها جميلة .

٢ ـ الناس ثلاثة : أصدقاء ومعارف وإخوة، والثلاثة لا تصلح بحال مقاطعتهم، وإن وجدت منهم جفاء!! ، فمن قصر من الأصدقاء انقله إلى ديوان المعارف، ومن الغلط أن تعاتبه أو تلومه.

٣ ـ لا تغتر بظاهر تراه من الناس، فربما أظهر لك باطناً يسوؤك ولا يرضيك، رأى عمر بن عبد العزيز رجلاً من العمال كثير الصلاة فدسّ له من قال له: إن أخذت لك الولاية الفلانية فما تعطيني؟ قال: أعطيك كذا وكذا. قال له عمر: غررتنا بصلاتك.

٤ ـ الحر من الناس لا يشترى إلا بالإحسان :

تفضل على من شئت وأعن بأمره ... فأنت ولو كان الأمير أميره
وكن ذا غنى عن من تشاء من الورى ... ولو كان سلطاناً فأنت نظيره
ومن كنت محتاجاً إليه وواقفاً ... على طمع منه فأنت أسيره

(جـ) : مهارات حركية:
خطوات التعامل مع الناس
عشرون خطوة لكسب القلوب

أن تظل المياه جارية ، والجريان صافي، في انسياب رقراق ، وسحر يأخذ بالألباب ، هذا المشهد لا يتكرر كثيراً في حياة الناس، ولكن يمكن أن يجعله البعض منا، يتكرر على الدوام، ويحافظ بقدر الاستطاعة على استمراره، إن أخذ بخطوات التعامل مع الناس ، بحيث يسلم بعضها بعضاً، في بحر حياة الناس.

١ ـ ليس هناك أمر ومسلم وحتمي ، فالأفكار تصطك ووجهات النظر تتسابق والآراء تتبارى، من أجل أن يتكامل بعضها مع البعض، ويصوب بعضها بعضاً.

٢ ـ من العقل الموازنة بين ما عندي وعند غيري، وبذلك تقترب المساحات، وتلوح في الأفق القناعات، بلا شطط أو تناقض، وبدون إفراط أو تفريط.

٣ ـ من الهمة البحث الدائم عن المعرفة والعثور على كل جديد ، وفي

الحديث [هلا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العى السؤال] أبو داود عن جابر .

٤ - الرجوع إلى أهل التخصص وعدم الدخول فيما لا يعنينا، مما جعل النبى ﷺ يقول : [قتلوه قتلهم الله] حينما أفتوا بأن يغتسل أحد الصحابة من جنابة فى جو بارد وهو مصاب فمات .

٥ - التعامل مع المخطئ بالرفق واللطف لا بالعنف والغلظة، وتصحيح الخطأ بالطريقة المناسبة والتى لا تؤدى إلى خطأ أكبر حين أخطأ بعض الصحابة فدخل فى الصلاة راكعاً من باب المسجد وظل يمشى راكعاً حتى انتهى إلى الصف، وبلغ النبى ذلك فقال له : « زادك الله حرصاً ولا تعد » رواه البخارى عن أبى بكرة، فقدر الرسول ﷺ الدافع وهو حرصه على ألا تفوته ركعة من الصلاة فى جماعة، ولكنه أخطأ فى تصرفه ولذا قال له : ولا تعد .

٦ - ليس من التعصب أن يتبنى أحد الناس فكرة أو رأياً أو مذهباً، إن اقتنع بالحكم الشرعى، ولكن أن يلزم غيره بما وصل إليه، هذا هو التعصب، أن يغلق عقله على رأيه وفكرته، ولا يسمح لنفسه بفتح أى نافذة للحوار مع من يخالف هذه الفكرة أو الرأى، ولأنه مغلق العقل والنفس والقلب عن غيره ، فهو لا يرى إلا ذاته، ولا يسمع إلا رأيه، ولا يؤمن بغيره .

٧ - سيظل الحوار والتفاهم هو مادة العقلاء ، ومظهر من مظاهر التحضر الإنسانى، ولن ينجح تفاهم وحوار إلا بعد الحرية، **أولاً** : التحرر من الخوف، لأنه يغلق أبواب الحوار، **ثانياً** : التحرر من العقد القديمة لأنها قيود لا تطلق الحوار، **ثالثاً** : التحرر من نظرة الاستعلاء والتباهى لأنها تنسف وتدمر الحوار، والعجيب أن ترى فى ظل عدم الحرية، الخوف والعقد والاستعلاء من الطرفين، فكيف بالله يتفاهمان ؟ .

٨ - التركيز على نقاط الاتفاق ونبذ الاختلاف جانباً أو تنحيته مؤقتاً، والقاعدة الذهبية : [نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه] وهى مهارة عملية لا ينفع فيها الكلام ولا تقويها الأقوال .

٩ - التعاون فى مواجهة التحديات المشتركة وهذا هو التفكير الايجابى والعملى، والخوض الحقيقى فى مسائل ينبنى عليها عمل، وليس أخطر من التحديات المشتركة فى تجميع العقول وتكوين الثقافات وتوحيد الجهود وتركيز الأعمال وتحقيق نتائج وثمار .

١٠ - مناصرة قضايا العدل ونصرة المظلومين : وهى من الأمور التى لا يجتمع عليها إلا الشرفاء، وقد حض رسول الله ﷺ على نصرة المظلوم فى أكثر

من حديث كما تقدم وقد سمى ترك الإعانة والنصرة خذلان للناس، يقول النبى ﷺ :

« لا يقفن أحدكم موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدافعوا عنه » رواه الطبرانى .

١١ - النظر إلى القول بغض النظر عن قائله : وهذه خطوة العقلاء فى الوصول إلى الحق، فكل ما يصل بك إلى الحقيقة عليك الأخذ به، ولا تقف عند قائله فيمنعك من قبوله، ومن هنا يبدأ الارتفاع عن التعصب للأشخاص، وهو علو فى التفكير، ورقى فى تحقيق الهدف .

١٢ - الاعتراف بالخطأ والرجوع عنه شجاعة : وبها يعرف الفضلاء من الناس، فى رسالة أمير المؤمنين عمر لأبى موسى الأشعرى فى القضاء : (لا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل)وقد يظن البعض أن ذلك يقلل من تقدير الناس له فليقتدى بقول أحد العلماء :" لأن أكون ذنباً (ذيلاً) فى الحق خير من أكون رأساً فى الباطل) .

١٣ - الاهتمام بنقد الآخرين وقبوله فى سرور : قال عمر بن المهاجر، قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتنى حدت عن الحق فخذ ثيابى وهزنى وقل: مالك يا عمر . . ولقد سأل أحدهم: لماذا يغضب البعض إذا رُدّ عليه خطؤه؟ فقال: هم فى عقابات ولكنهم لا يحسون بها، وهذا عقاب آخر، ومن خفى عنه عقوباته سلب حلاوة الحياة، إلا من رحم الله وهم: بواطنهم كظواهرهم بل أجلى، وسرائرهم كعلانيتهم بل أحلى، وهممهم عند الثريا بل أعلى، فلماذا لا يتقبلون إذاً نقد الآخرين؟! وهم على هذا المستوى السامق؟! .

١٤ - المراجعة الدائمة للنفس والفكر بقصد نقد الذات وليس جلد الذات : لتجنب الخطأ وعلاج ما يترتب عليه، وهذا يجعل الفرد بعيداً عن الهوى، الذى هو الداء العضال الذى لا علاج له، لقد استطاع عبد الله بن عباس فى حواره مع الخوارج أن يرجع ألفان عن مذهبهم، إلا أن ابن ملجم رأى مذهبه هو الحق فاستحل قتل أمير المؤمنين ورأى ذلك دينا، حتى أنه لما قطعت أعضاؤه لم يمانع فلما طلب لسانه ليقطع انزعج وقال: كيف أبقى ساعة فى الدنيا لا أذكر الله !!! .

١٥ - فن التنازل عن الجزئيات لجمع الكلمة وعدم الاختلاف : فأيهما الأولى وأيهما الفرض وأيهما الأفضل وأيهما الأهم؟ .

هذه الأسئلة هى التى تجعل اجتماع الكلمة أولاً وفى لباقة يكون التنازل عن الجزئيات، عندما سئل الأوزاعى تقبيل الرجل امرأته، قال :يتوضأ وإن لم يتوضأ لم أعب عليه، وهذا الامام أحمد يسئل عن الركعتين بعد العصر قال : لا نفعله ولا نعيب من فعله، عن ابن مسعود قال النبى ﷺ : « لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » البخارى .

١٦ ـ الاستفادة مما لدى الآخرين من تجارب ومعارف وعلم وعمل : ليس الأمر فى سماعها كما يفعل البعض ظاناً منه أنه بذلك استفاد من الآخرين، بل يحترم هذه التجارب والخبرات، ثم يحولها إلى مشروعات مشتركةفيستفيد بصورة عملية، ويدعوه إلى التبادل الدائم بالأفكار والخبرات والعلم، وجمال الامتزاج مع الآخرين يظهر فى تكامل الخبرات واكتمال التجارب والاستفادات المشتركة، وهى تحتاج إلى روح وحب وصفاء.

١٧ ـ الثناء على المخالف فيما أحسن فيه : يقول تعالى ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** ﴾ فصلت/ ٣٤، والسؤال المطروح هل مخالفك فى الرأى هو عدوك؟ بالطبع أنت تستفيد منه وهو يستفيد فلماذا تغلق الأبواب؟ ومن هذه الأبواب الثناء والمدح عليه فيما أحسن فيه، وهذا حقّه فلسنا فى حلبة صراع، بقدر ما نحن فى بستان قلوب وحديقة عقول، نجنى فيها أحلى الثمار.

١٨ ـ المسئولية فى المجتمع مسئولية تضامنية كلنا نشترك فى أدائها : فلا يجوز أن ندع البعض بحسن نية وإخلاص أن يسيئوا التصرف بما يعود بالضرر على الناس، فالإخلاص وحده لا يكفى بدون تحرى الصواب والوعى فى تنفيذه، روى البخارى عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كقوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا! .

فإن تركوهم وما أرادواهلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً ».

وهكذا فكل فرد فى المجتمع متضامن وشريك وليس أحدٌ نائباً أو وكيلاً على أحد فى المشاركة.

١٩ ـ التغلب على الأزمات والمحن والعبور الجميل للمصائب والشدائد : وهذه الابتلاءات هى سنة الله فى عباده، ولمواجهة الأزمات فن قديم

يقول ابن الجوزى : (من نزلت به بلية فأراد تمحيقها :

- فليتصورها أكثر مما هى تهن
- وليتخيل ثوابها
- وليتوهم نزول أعظم منها ير الربح فى الانتصار عليها
- وليتلمح سرعة زوالها) .

ومدة مقام الأزمات والشدائد كضيف نزل عليك ويرحل، فكن كريماً، تراعى الساعات وتتفقد أحوال النفس وتتلمح الجوارح قيل : (حتى لا يبدو من اللسان كلمة أو من القلب سخطة) .

والعبور الجميل للمصائب بالصبر الجميل، والصبر الجميل نتائجه جميلة ، وعند الشدائد يعرف معادن الرجال، يقول الحسن : كانوا يتساوون فى وقت النعم فإذا نزل البلاء تباينوا.

٢٠ ـ الثقة فى الله وسؤاله العون والتوفيق والسداد والتأييد : فى أن يفتح قلوب الناس وعواطفهم ومشاعرهم لأن الفاعل الحقيقى هو الله، عن جابر رضى الله عنه أنه لما سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن أياته وأنا أنظر إليه » البخارى .

والسداد من الله هو الاصابة فى جميع الأقوال والأعمال والمقاصد كالذى يرمى إلى غرض فيصيبه، وقد أمر النبى ﷺ علياً أن يسأل الله عز وجل السداد والهدى وقال له : (اذكر بالسداد تسديدك السهم وبالهدى هدايتك الطريق) .

(د) : مهارات خاصة
كيف تتعامل مع هؤلاء الأفراد؟

١ ـ الذى يتكلم عن أمجاد الماضى :

دائم التحدث عن بطولاته السابقة، وأمجاده الماضية، ويرددها فى كل المنتديات ، وحاضره معدوم مما يحكى عنه، لابد من البراعة فى التعامل معه وإقناعه بتحويل هذه الأقوال إلى أعمال، وتقوية إرادته ومعاونته فى تحسين حاضره وتطويره.

٢ ـ الذى يتحدث عن مآسى الماضى ومحنه :

هو عكس الأول فهو دائم الحديث عن ماضيه المؤلم القاسى وكم عانى من الآلام، وكم تعرض للمحن، وأصبح ميزاناً ربما يزن به الناس، والبراعة هنا فى



إقناعه بالسعى الإيجابى فى تلافى هذه المآسى وتجنب الوقوع فى أمثالها ، وتذكيره بالدروس والعبر، وتحولها إلى واقع يستفيد منه الآخرون، ويرتفع بها شأنه من أسر الآلام إلى رحابة الواقع وصنع المستقبل.

٣ - الذى ينتقد الآخرين ويتكلم عن أخطائهم :

باسم النقد أو النصيحة ولكنه بغض النظر عن الدافع هو دائم التحدث عن أخطاء الآخرين مما يجعله يشعر أنه بلا عيوب، وأن الناس جميعاً حشو من العيوب ، والمهارة فى تبصرته بعيوبه والانشغال بها، وأن معرفتنا بأخطاء الآخرين ليست لإذاعتها ولكن بتجنبها فى أنفسنا وعلاجها فى أشخاصنا وهى فى نفس الوقت صورة خفية للإصلاح عندما يروا فينا قدوة عملية تبصرهم بالعيوب فكما قيل: الدليل بالفعل أرشد من الدليل بالقول.

٤ - المجادل :

والجدال لا يأتى بخير، ولذلك فأحسن الطرق للتعامل مع المجادل تجاهله وعدم جداله، فى رفق ولطف، مع الإنشغال بالعمل، حيث ثمة رسالة خفية تنقل إلى مشاعره بأن العمل أولى من الجدل والمراء، ونصيحة عملية لأنفسنا بأن العمل أولى من الرد على المجادلين.

٥ - الذى يختار الصعب من الأمور :

لا أدرى لماذا يختار البعض الصعب من الأمور، فيثيرونها أو يعملون بها، وهل يختار العاقل العسرى؟، والله يريد لنا اليسرى، والنبى ﷺ ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما!، ولذلك فاللباقة إقناعه بأن ما يفعله أمر منهى عنه وكان الصحابة على خلافه، حتى أطلق عليها العلماء بالأغاليط المنهى عنها.

٦ - الثرثارون والمتشدقون :

وهم الذين يملأون المجالس بكلام وأقوال وأحاديث لا نفع من ورائها ولا فائدة فيها وقد سبق تفصيل نهى النبى ﷺ عن ذلك، ومع تنبيههم بهذا النهى، فلا يتعرضون للحديث أو يتصدرون الناس، لأن ما يجنى من ورائهم متاعب ومشكلات جمة.

٧ - الذين يقولون ولا يعملون :

يتحدث عن المعانى والقيم والأخلاق، فيأسر الناس بأقواله، ولكنهم يروا صورة عكسية فى حياته، وهؤلاء على خطر شديد، وقد حذر النبى من هذا الصنف إن كانت نيته الرياء، وملخصها إذا أراد أن يقال فقد قيل، خاشع أو زاهد أو عالم أو مجاهد أو كريم أو مثقف أو ساعٍ بالخيرات، والقضية ما الذى

كتب عند الله من أجر وقبول للعمل، والبراعة هنا فى مخاطبة قلوبهم حتى يستقيم سلوكهم، ليكونوا أمثلة عملية، فقد نشر الاسلام بالخلق وفعل الخير وليس بالخطيب والمتحدث.

٨ - اليائس من العمل :

فهو يائس من كل شئ، ولذلك فاستجابته معدومة، وبالتالى فهو لا يبحث عن نجاح، وينس أى إنجازات سابقة، إنها صورة قاتمة تقابلنا، والحل مفتاحه يسير، إن قلبه لابد أن يتأثر بالإيمان والمعرفة ليعلم أن اليأس ليس من شيمة المؤمنين، ثم يفهم أن له مهمة هو يعمل لأدائها ولا يعمل لينجح أو يحقق نتائج فحسب، ومن يعمل كمهمة دائماً يجنى التفوق والرقى، وبالتالى فهو يدرك حينئذ أن من الظلم نسيان انجازات العمل على مدار السنوات، لأنها دافعة إلى مستقبل عمل مستمر.

٩ - المثالى الحالم :

نظرته إلى الأفراد أنهم ملائكة : ولذلك فهو يبحث عن سراب أو أمر غير موجود، لأن الإنسان له طبيعته، ونظرته إلى الأعمال أنها عملاقة : وهذا مستحيل، وبالتالى علام يعمل والأفراد الذين فى تصوره معدومين ؟ ولم يجتهد والأعمال لم ترقى إلى المستوى الذى فى ذهنه؟ إنه يسبح فى حلم لا نهاية له، والنتيجة أنه يصطدم بناموس كونى وسنة ماضية، ولذلك فالمهارة فى أن يؤمن بأن العمل لا يولد عملاقاً بل لابد أن يمر بمراحل ويتعرض لآفات وعوائق ومتاعب ، ولن يقصر طريق إلا باجتهاد العاملين وتشميرهم.

١٠ - الغضوب :

أعاذنا الله من الغضب، والغضب يعمى ويصم ، مما جعل الصحابى لا يسمع أو يفهم صوت النبى ﷺ، عن أبى مسعود البدرى قال : كنت أضرب غلاماً لى بالسوط فسمعت صوتاً من خلفى : اعلم أبا مسعود! .

فلم أفهم الصوت من الغضب فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ يقول : « اعلم أبا مسعود أن الله عز وجل أقدر عليك منك على هذا الغلام فقلت : يا رسول الله هو حر لوجه الله تعالى » رواه مسلم .

وخير تعامل مع الغضوب هو تركه ليشتفى بما يقول ولا نعول على ذلك، فسيعود نادماً معتذراً، والماهرون يصبرون لفورة الغضوب فإن الشيطان قد غلبه والطبع قد هاج، فإن أخذوا فى أنفسهم عليه أو أجابوه بمقتضى فعله كانوا كعاقل واجه مجنوناً أو كمفيق عاتب مغمى عليه، ولذلك فإذا انتبه بعد غضبه

ندم على ما جرى وعرف لك فضل الصبر.

وأقل ما نفعله معه أن نتركه فيما يفعل ونسلمه إلى ما يستريح به.

أما إذا قوبل على حالته ومقالته صارت العداوة متمكنة، ومع كل ذلك فإن أكثر الناس للأسف إذا رأوا الغضبان قابلوه بما يقول وواجهوه بما يفعل، متناسين هذه الحكمة الغالية.

١١ ـ الذى يمجد ذاته:

أو ما يعرف بالأنانية أو الذاتية بمعنى عدم رؤية إلا ذاته فقط، فإذا كانت الجهود يشترك فيها الكثير، فالأنانية تجعله لا يرى جهداً إلا من طريقه سواء كان رأياً أبداه أو وجهة نظر طرحها أو جهداً قدمه أو مجهوداً بذله أو خدمة أسداها، وكل ما سعى به الآخرون لا حساب له فلولاه ما كان أمراً من الأساس ، وكلمة (أنا) كأنها لصقت فى لسانه ، فلا تجد له تعبيراً إلا ويبدأ بكلمة (أنا) وكأن الناس الذين يسمعونه أغبياء ، والبراعة فى نقله من هذا المستوى السافل إلى الأرقى، بأن يكون قواماً بالقسط ولو على نفسه أو الوالدين أو الأقربين، وأن يتعمق لديه أننا نهينا عن أن نزكى أنفسنا حتى نضمن قبول العمل لدى الله تعالى.

١٢ ـ المسرف فى الحب والبغض :

عاطفة الحب فى الانسان تقابلها عاطفة الكره، والإطار الجميل فى ذلك أن جعلها الاسلام فى الله وحسب، وبذلك تحدد الحب والكره، بسياج متين، وهو الوسطية المطلوبة بضبط هذه العاطفة، وهذا هو الاعتدال فمع العدل والانصاف يتأتى كل مراد، وتتحقق الأهداف، والمسرف فى الحب والكره، إذا أحب شخصاً قدمه وذكره ومجده واختاره لكل شئ، وكذلك إذا كره شخصاً حرمه من كل ذلك ، ولذلك فغالباً تقديراته خاطئة مما يترتب عليها صراعات مع الناس، والمهارة فى ذلك أن يكون فى الله وحسب.

١٣ ـ المستغرق فى الأحلام:

كل المشاكل تعالج بالأمانى ، وكل الأزمات تحل بالأحلام، ويتوهم بالفعل أن الشدائد قد انتهت تماماً، وهى تحاصره من كل مكان، لسبب واحد أنه يعالج بدون أى رصيد من الواقع، وأى رصيد من طبيعة الأشياء، وقالوا إن هذا نوع من العجز، يلجأ إليه هؤلاء البعيدون عن الواقع فمن عجزهم وضعفهم الميدانى والواقعى والعملى، يغطون ذلك بالأمانى والأحلام، والمهارة فى التحامه بالواقع وتمرسه بالأعمال ليكتسب خبرات ، وتذكيره بنهى الاسلام عن الأمانى

والأحلام فليس الايمان بالتمنى ولكن ما صدقه العمل، أما خير معاملة معه عدم الاصطدام به، ولن تغيره اللحظة أو الموعظة أو التذكرة المباشرة، وإنما يحتاج ذلك إلى حكمة وعقل ومراحل وصبر، بدون فظاظة أو توبيخ.

١٤ ـ المستعجل فى قطف الثمرة:

المستعجل يصطدم بسنة الله ومن صادمها صدمته وقهرته لأنها غلابة، وثمار الغرس لا تخضع بحال إلى ذكاء الناس وعواطفهم، فكم من متأخر سبق متقدماً، وهو ينازع الله فى تصريفه وأقداره، ومن انحرف عن الجادة طالت طريقه، والمهارة مع المستعجل تبصيره بذلك، وتذكيره بالأهداف من أدائه لمهمته، وأخذه بالأساليب الناضجة التى تحقق ما ينشده، مع عدم الانصياع لفورة استعجاله فضررها بين وفسادها قائم لا محالة.

١٥ ـ الذى لا يتحرى الصواب من الخطأ:

يعامل الجميع بحسن نية، ويقابل الأفكار بحسن نية، ثم تكون الطامة عندما يكتشف زيف أفراد، أو فساد أفكار، أو ضرر أفعال، وهو السبب فى ذلك، لأنه لم يتحرى الصواب من الخطأ، لم يتعرف على الصحيح من القبيح، ولا تقل: لا يحسن النية أبداً، ولكن قل: يتصور الأمور على حقيقتها، ويبحث عن صوابها وخطأها ثم يحسن النية، وملخص هذا الأمر ميزان الصلاح القائم على النية الصالحة وموافقة الشرع وهو المعيار الدقيق للصواب والخطأ فى كل قول أو فعل أو حركة.

١٦ ـ المرتجل:

يعمل بلا خطة، يقول بلا تفكير، ويتحرك دون رؤية، ويفعل دون إعداد، ويقول: [خير البر عاجله، ليس فى الامكان أفضل مما كان، ربك يسويها، هل سنصلح العالم، وما النتيجة]، وغير ذلك مما شابه هذه الأقاويل، والبراعة فى تعليمه وتربيته على الدراسة والمناقشة والنصح، وأن الاعداد مهما أخذ وقته من بطء فإنه لا يقتل الحركة بل لابد من التأنى والتريث.

١٧ ـ الذى يتجاهل السنن فى الكون والمجتمع:

وخاصة فى النصر والتغيير، وهى سنن ثابتة لا تتبدل، كالإبتلاء والشدائد والمصائب، والاختلاف والظلم، والترف والطغيان والنعم، والهداية والتقوى، والرزق والسعى والمكر، وهى تتسم بالثبوت والاستمرار والتكرار والعموم، وإنما ذلك لتكون نبراساً لنا، بكيفية سلوكنا الصحيح فى الحياة، فلا نقع فى أخطاء السابقين، ولا نعرض أنفسنا لمخاطر نعرف نتائجها مسبقاً، ونتسلح بأسباب



تحقيق هذه السنن، خاصة فى النصر وتغيير الأفراد والمجتمعات، ودور الفرد من إيمان وتقوى وهمة وعمل.

١٨ - المبالغ فى تصور الأشياء:

لقد تعاملت مع بعض الناس يكبّرون الصغير ويصنعون منه مشكلة من العدم، ويقنعون الآخرين بأن هناك ثمة مشكلة وأزمة، وتضيع الأوقات وتبذل الجهود وتهيج الانفعالات وفى نهاية الأمر يضحكون من صنيعهم؟! والسبب فى ذلك المبالغة فى تصور الشئ وليس الأمر فى تكبير الصغير، بل أيضاً تصغير الكبير وتهوين الأمر وتهشيمه وتناوله بسطحية تكاد تعدمه من الوجود وقد يكون ضرره واضحاً وآثاره السلبية قد نالت من الأنفس والعواطف، فالمبالغ يصل حاله إلى التهويل فجأة أو إلى التهوين أخرى، إما أن يعظم الشئ وهو لا يستحق فيكون كالبالونة المنفوخة إن زدتها زال كيانها أو يحقر ما يستحق التعظيم فيفوته خير كثير ، والحل هو الوضوح فى تصور الأشياء على حجمها وطبيعتها، وإن أجهد نفسه فى الحصول على معلومات دقيقة فذلك أفضل من اتخاذ موقف يعود عليه بالندم!!

١٩ - المهرجون :

أقصد بهذا النموذج هؤلاء الذين لا تجد فيهم إلا الصراخ والضجيج والصوت العالى، وهم أبعد الناس عن العمل، وأخوف الناس من الإقدام، وأبخل الناس فى العطاء، ويغطون ذلك بالتشنجات والكلمات النارية كالممثل على خشبة المسرح يستجدى أيدى الناس بالتصفيق!، وهذا هو النجاح الذى ينشده، ولكن أن يتخذ موقفاً أو ينفذ عملاً أو يبتكر فكرة، فهذه ألفاظ لا يعرفها وليست فى قاموس التهريج، ولذلك لابد من التبصر الدائم بالزائف من الحقيقى، وتشجيعه على اكتشاف الحقيقة بنفسه، لعل صرخاته تتحول إلى هدوء يسبق العمل، ولا شئ أعظم من الحقائق فى عرضها بأسلوب يجذب العقل، وأحياناً لغة الأرقام والاحصائيات والواقع تبدد ضجيج المهرجين!!

٢٠ - السطحى فى فهم القضايا ومعالجتها:

قد يفاجئك هذا النموذج بما لم تكن تتصوره فى حساباتك! ومع أن ظاهره يبدو لك أنه من الفهماء العظام، ولكن النتائج تأتى على العكس لماذا؟ لأنه فى فهمه للقضايا سلّم بكل ما يشيعه الناس، وصدق كل ما يبثه الخصوم، فتأثرت عواطفه وزادت انفعالاته، فربما يبكى على ما كان من شموخ فات، يركز مشاعره على التفاخر بالماضى الذى كان، ومن ثم تأتى معالجته للقضايا

معالجة هشة أو مسكنة سرعان ما يزول أثرها، لأنه فى الأساس لم يكن عميقاً فى رؤيته، لم يكن عميقاً فى كشف الحقيقة، لم يكن عميقاً فى تصوره لما يجرى على أرض الواقع، فيغطى عجزه عن السعى فى العمق والاجتهاد لاكتسابه بتصديق تفسيره السطحى، والبراعة فى نقله إلى هذا الجو ودعوته إلى الأخذ بثورة المعلومات الهائلة اليوم والمنشورة فى الانترنت والفضائيات وعبر وسائل الاتصال المختلفة وأن يعلم أن الآمال تتحقق ولكن طريق نيلها مملوء بالعقبات، وهذا من طبيعة درب العاملين، مثل الطالب الذى يجمع الجميع أن هذه المادة سهلة، وتلك من المبشرات وأنها مضمونة النجاح، فلا يجتهد فيها ولا يتخطى معوقاتها فتأتى النتائج بما لا تحمد عقباه، فيزداد ألمه مرات.

٢١ ـ الذى يذوب فى شخص ما:

وهو ما يسمى (بالشخصانية) فكأنك تخاطب خيالاً وتتحدث مع وهم، فالشخصانية هى (طاقية الإخفاء) التى تخفى من تتعامل معه، وليست القضية فيمن يؤثر فيه، ولكن القضية كيف يرضى لنفسه بهذا المحق وهذا المحو وتلك الإزالة والإزاحة عن أعز ممتلكاته كيانه وشخصيته ووجوده؟!

ولذلك فأنت تتعامل مع شخص آخر فى جسد من تعامله، فكل ما جاء عن هذا الشخص هو صواب وإن خالفه الناس، والمهارة فى أن تصل به إلى النظرة الموضوعية فى الأشياء والمواقف والأحداث والأقوال بغض النظر عن أشخاص فاعليها أو قائليها، ولن يتحقق لك ذلك إلا إذا أزلت هذه الطاقية فتظهر شخصيته هو، وأراؤه هو، ومواقفه هو، وهنالك ينطلق لسانه: (كم كنت مخدوعاً بفلان)، ويشعر بكينونته المفقودة، ووجوده المعدوم، ويعود ليحتل فى الهواء مكاناً طالما اشتاق إليه ومن هنا يبدأ الطريق، ولن ينسى لك فعلك طيلة حياته!!

٢٢ ـ أبو العريف:

لم أجد اسماً لهذا النموذج الأبله إلا هذا الاسم، هذا الذى يحدثك عن كل شئ، ولا يتورع أن يفتى فى الدين كما يتحدث عن المغناطيسية والجغرافيا، فلماذا لا يحلل المواقف السياسية إذاً ويقدم الحلول للمشاكل العضال؟!.

والمشكلة فى أفواه المشدوهين الجهال الذين يمكنوه من الإدلاء بمعارفه وكأنه موسوعة الزمان التى لا ينقضى علمها!!.

لقد ألف ابن سحنون كتاباً عن رحلاته عبر العالم فلما جاء مصر قال: (فى مصر بيض وسود، البيض إذا جاعوا أكلوا، والسود إذا عطشوا شربوا)، ولما

ذهب إلى الشام قال : (مكثت أربعة أيام بالشام فوجدت دائماً أن الفجر يأتى قبل الشمس) !! وهكذا مضى يصف رحلاته العجيبة حتى أطلقوا عليه (ابن سحنون المجنون) .

والبراعة هنا فى الاقتناع باحترام التخصصات والإحالة إلى أهلها والاستعانة بهم، والفقهاء الفهماء كان رائدهم قول : لا أدرى، أو اذهبوا إلى فلان، عند الحاجة إلى تخصص معين، فلكل فن رجاله، وخاصة فى عصرنا، أما الذى يريد أن يبدو للناس بأنه يعرف كل شئ ويدلى برأيه فى كل موضوع، فهو فى الحقيقة لا يعرف شيئاً !! ولا ينخدع به إلا الجاهلون البلهاء ليكون كبيرهم ورائدهم!! .

٢٣ ـ المتجمد :

لا أقول الذى جمده البرد والصقيع، وإنما الذى يصر على وسيلة واحدة أو أسلوب واحد أو نهج واحد، ولا يحيد عنه، ويتمسك به، ويرفض غيره، بل وينال من أساليب الآخرين، فهى لا تجدى، وربما قدم لرأيه بأن آراء الناس جميعاً خاطئة، ولم يصل أحد إلى أسلوبه ورأيه، فإذا به يطرح أسلوباً بالياً، قد أكل منه الدهر وشرب، متهالكاً يكاد يقول : دعونى أرحل عن دنياكم، وهذا لابد من اطلاعه على أحدث الأساليب، وأقدرها على تحقيق الغاية بأقل جهد ووقت وبأدنى انفعال، وكيف علينا أن نستفيد من تجارب الآخرين حتى ولو كانوا من الخصوم فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها فهو أحق الناس بالعمل بها، ولا ينكر على المبدعين اجتهادهم وأفكارهم، ويحاورهم ويناقشهم إن كان له رأى مخالف، فى ظل الرفق والمودة والصالح العام . . وربما يقتنع! .

٢٤ ـ الذى يقبل أى شئ :

بمجرد أن تحكى له موقفاً يفتح فاه، بمجرد أن تروى له قصة يفتح فاه، بمجرد أن تبين له رأياً يفتح فاه، وكأنه خلق بفاه مفتوح!! .

إنه ذو الباب المفتوح كل المياه تدخل منه، الملوثة والسليمة، كل الآراء عنده مقبولة صالحها وقبيحها، كل الأفكار لديه مقبولة غثها وثمينها، وإن كان يبدو للناس سهلاً إلا أنه يتأذى ويؤذى غيره، فقد يعانى الأمرين ويقاسى نتيجة قبوله أى شئ، الآلام التى يتجرعها فى ندم، ولات حين مناص، فكيف يعيد زماناً مضى وأمراً قد قدّر؟! وهو يبدأ من العجز والكسل فى الفحص والتدبر والاختبار، ويتساءل لماذا أتعب نفسى وأجهد حالى؟! لماذا أتفحص الأمور؟! وامتحن الناس؟! هل أنا عالم فى معمله؟! هل الحياة حقل تجارب؟! .

ومما يدعوه أيضاً إلى القبول بأى شئ خوفه من النتائج العملية بأن تكون عليه، فلماذا يغامر، هل هو مكتشف القارات؟ وكيف يفعل إن ساءته النتيجة ولم تأتى لمصلحته؟ فعلام يخسر من الآن؟ ويسلم بالقبول ويرضى بالحاضر، غير ناظر إلى العواقب والنتائج والنهايات، ومن التجارب وللأسف كانت كلها عليه وليست لصالحه، لمخالفته سنة الله فى حياة الناس، وفى نفسه بالهمة والحركة والسعى والإقدام والمغامرة، وتحمل النتائج حينئذ والرضا بها سواء كانت له أو عليه.

٢٥ ـ الذى يعتمد على المصادفات :

على طريقة أهل الدجل والشعوذة، ويحاول أن يقنعك بمواقف حمقاء بأن المصادفات والاحتياطات والمفاجآت، هى التى تصنع الحياة، وأنت تثبت له دقة الصنع ودقيق القدر، والإعجاز الالهى فى الخلق، وأن النتائج تعتمد على البدايات، وأن الأرقام لغة يفهمها كل الناس مهما اختلفوا، وهى لغة قاطعة الدلالة، فكأنك تحاول كسر الجبل برأسك وهو كاسرك، فهو صخرة صماء لا عقل لها، تصطدم بها الرياح والأمطار كما تسخنها الشمس ويلطفها الهواء فى آن واحد، دون أن تفقه شيئاً، وهذا نوع من الجهالة، والجاهل عدو لما جهله، والمعرفة تبدد هذا الجهل، وتجعله يصاحب لغة الأرقام وتنقله من المصادفات إلى الدقة والنتائج الأكثر ضماناً.

٢٦ ـ المنعزل عن العالم والعصر :

ماذا يعود على المنعزل عن العالم وواقع عصره؟ فأحداث العالم لا يعلمها! وحركة الوجود لا يعرفها! وواقع الناس مجهول بالنسبة إليه! فلا يتابع صحفاً أو تليفزيون أو فضائيات، ظاناً منه أن ذلك يؤثر على صفاء نفسه وطهارة قلبه وحسن عبادته، والسؤال المطروح هل هو أفضل من النبى  الذى كان أعبد الناس وأصفى الناس وأطهر الناس ومع ذلك لم يكن منفصلاً عن العالم، فكان يعلم أرض الحبشة والنجاشى العادل واختارها لهجرة أصحابه، ورسائله إلى ملوك الأرض فى عهده، ولم يكن فى لحظة من اللحظات منفصلاً عن واقع الناس والمجتمع بل يعلم احتياجاتهم ويخاطبهم بما يناسبهم ويتفقد مشاكلهم، إن المنعزل غائب عن الوجود، ولم تكن خلوة العلماء إلا للخدمة، يتزودون منها بما ينطلقون به فى الناس نفعاً وخدمة وعوناً، فكانت كالملح فى الطعام أو السكر فى الفاكهة، وكانوا على اتصال دائم بالناس، كان ابن المسيب يضاحك الناس نهاراً وهو يخالطهم، وبالليل يبكى مع ربه.

٢٧ ـ المولع بالخلاف :

دائم الانتقاء للمسائل الخلافية ويثيرها فى كل المنتديات، وإن قال قائل له لابد أن نرتفع فوق هذه المسائل، اتهمه بالجهل ومصادرة الآراء، وكبت الحريات، بل الأدهى أنه يتعصب لرأى معين، فيصطدم بالآخرين، وتحل الفرقة مكان الاتفاق، فالاختلاف أصبح غايته، والصراع سبيله، والتعاكس أسلوبه، والمهارة مع هذا النموذج بعلاج الأصل فمجاهدة نفسه وعدم الإعجاب برأيه والتعصب الممقوت، يجعله يحسن الظن بآراء الآخرين من أجل الوصول إلى هدف مشترك فيه الصالح للجميع، والتنبيه الدائم للعناية بالأمور المتفق عليها أولاً وتحسينها وتطويرها.

٢٨ ـ الذى يحب التميز :

التميز شئ جميل فى حياة الناس، والشخصية المتميزة مطلوبة للنفع العام، وتحقيق مصالح الناس، ولكن قد يكون التميز مكروهاً عندما يبحث صاحبه عن أى ميزة من أجل أن يتعالى على الآخرين، ولا يحب أن يكون مثل غيره فدائماً هو أفضل من غيره، ولذلك لا بد من إعلامه بنسيان نفسه، وأنه ليس فى الوجود وحده، وهنالك الكثير من الناس الذين هم أفضل منه ولهم ميزات نادرة، فلماذا هو يعتبرهم فى عداد النسيان أو الغائبين ولماذا لا يبحث عن مواضع الالتقاء مع الآخرين، ليستفيد ويفيد، وأن ينفتح على الآخر ويقدر تميزه ويحترم تخصصه، فلا يهمشه ولا يلغيه ولا يكبته فيكون من المنبوذين المكروهين الممقوتين، ولن يتحقق ذلك إلا بالحكمة فى التنبيه والفطانة فى التوجيه، وتوظيف تميزه مع من هم أعلى منه تميزاً، ليكون جاهزاً للنصح، وسلوك الطريق الصحيح، فى خدمة الناس والمجتمع.

٢٩ ـ المخطئ :

« كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » فالخطأ أمر طبيعى فى حياة الإنسان، وعلاجه الطبيعى أيضاً الاعتراف به وتصحيحه والانتباه الدائم إلى عدم العودة إليه، مع تحمل أى إجراءات لتصويبه أو الإقلاع عنه، وبذلك يتحقق الخير فى المخطئ بالتوبة، وتصويب الخطأ بإعادة الحقوق لأصحابها كاملة سواء كانت مادية أو معنوية، والإنسان ينسى فربما يتكرر منه الخطأ، ولذلك كانت صيغة المبالغة « خطاء » ولا يجدى حينئذ مع المخطئ إلا الرفق، وواجبنا مساعدته فى تصحيح الخطأ، ولا نفتح له ثغرات للشيطان المتربص به حال خطئه وضعفه لينال من مناعته، بل تكون عوناً له باللطف لا بالغلظة، باللين لا بالعنف،



بالحب لا باللوم والتقريع، حتى لا نعالج الخطأ بخطأ أكبر منه، فيتحول إلى مرض مزمن لا يستطيع الفكاك منه، والذى يتعامل مع المخطئ يتصور نفسه هو المخطئ، ولا محالة هو واقع فى الخطأ، فكلنا خطاءون، ويسأل نفسه آنذاك بأى أسلوب أحب أن أصحح الخطأ؟، وما أجمل وسيلة فى ذلك؟، فإن ارتاحت نفسه إلى نهج معين فليفعله مع المخطئ.

٣٠ ـ المتشدد :

تحدثنا من قبل عن التشدد والمتشددين وموقف الاسلام الجميل من هؤلاء بأنهم يعذبون أنفسهم، ولا يقطعون طريقاً، ولا يحققون غاية، ورأينا الصورة الحياتية الناصعة لرسول الله ﷺ مع بيته وأصحابه وأقاربه والمجتمع والناس جميعاً، وقد تعاملت مع كثير من المتشددين فوجدت أنها فورة زمنها قليل وتنتهى، فإن لم يكن له عاصم من فهم ترك كل شئ بنفس فورة الحماس، ولذلك فالفهم الصحيح هو العلاج الوحيد لوقف هذا الخطأ على الناس جميعاً، فالمتشدد أثره السئ يمتد إلى الناس باتهامهم بالتقصير والتهاون والكفر والازدراء، فإنه بالفهم يعلم أنه مخالف لسنة النبى ﷺ ويعلم أن النافلة لا تقوم بحال على الفريضة، كما أن الفرع لا يتقدم الأصول، والقاعدة أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة، وبالفهم يعلم أن حقوق الناس أولى من أدائه للنوافل، وبذلك تستقيم الأمور فى اعتدال وتوازن.

٣١ ـ صاحب الرأى والفكر :

حبذا لو أصبح لكل فرد فى المجتمع رأى وفكر، فمن احتكاك الآراء، واصطكاك الأفكار، يأتى الرأى السديد، ونحصل على الفكرة الابداعية، والاسلام رغب فى ذلك فى جو من المودة والحب والوئام، وأخذ النبى ﷺ بآراء لم تكن معهودة من قبل مثل حفر الخندق وخدعة ابن نعيم، واعتبر أن لصاحب الرأى الخطأ أجراً، فإن أصاب فله أجران، وفى جو الحرص على مصلحة المجتمع يكون حوار الآراء موضوعياً وبناءً وناهضاً وتحقيق الهدف، فصاحب الرأى له حريته فى العرض، وله الإفصاح عن رأيه بدون تهديد من تحقير أو استهزاء أو كبت أو تهوين مهما كان الرأى متواضعاً.

أما الممقوت فى ذلك أن يعجب صاحب الرأى برأيه ويصر عليه، ويحتقر غيره من الأراء زاعماً أنه أتى بما لم تعرفه البشرية، وعلى الناس الانصياع لرأيه وشكره والركوع حمداً على هذا الالهام العجيب، وقد يكون بعد العرض رأيه قد قطع بحثاً لقدمه، أو قد يكون مكرراً، أو معروفاً بإستحالة تنفيذه ولذلك

القاعدة الذهبية : (رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب) .

إن تمكنت من النفوس والقلوب باخلاص وحب وفهم، نستطيع أن نحول أراءنا إلى در نادر وما أحوجنا إلى الأفكار والآراء ومن المهارة إذاً فن تشجيع الأراء وتحفيز الأفكار وتوفير المناخ المساعد، مع التفريق بين صاحب الرأى السديد من غيره.

٣٢ ـ صاحب التجربة :

صاحب الخبرة لم يكتسبها فى لحظة بل هى عمر تحمله بخيره وشره، بحلوه ومره، فالخبرات لا تأتى بل نصنعها من أعصابنا ودمائنا وآلامنا وأفراحنا فالاستهزاء بها استهزاء بالزمن، ومخالف لقوله ﷺ :« أنتم أعلم بأمر دنياكم » .

فما أجملها أن تخاطب صاحب الخبرة : (بالطبع أنت أعلم منى بهذا الأمر) هنالك تثير فى عواطفه أشجان السنين، وفى ذاكرته ثمرات العواصف، وفى مشاعره تضحيات الأيام والليالى، فالاحترام للخبرة مقدم، وهو لا يرتبط بسن أو عمر ولكن بمحتوى السن والعمر والزمن.

صاحب الممارسة هو من امتلك أسراراً وإن لم يفصح عنها اللسان، تشعر بها من ثنايا كلامه وحركات جوارحه، فسر الممارسة لا يعلمه إلا من ذاق لحظاته، فلماذا نضيع أوقاتاً وأعماراً فى كلام وأقوال، وصاحب الممارسة يختصرها لنا فى نقاط محددة؟! .

صاحب المشاهدة هو من رأى وعاين وليس من سمع كمن رأى، والمشاهدة خبرة وتجربة عاشت فى وجدانه، وتمكنت من مشاعره، ولذلك فهو مقدم بها مقدم عن غيره.

ومن المهارة أن تتعامل مع صاحب الخبرة والتجربة والممارسة والمشاهدة، بهذه الروح العالية، أما الممقوت فى صاحب التجربة أن يتعالى بها على غيره، أو يحتكرها، أو يخفيها عن الناس متعللاً : (لابد أن يعانوا مثل ما عانيت) ، أو يستغلها فيما حرم الله، وكل ذلك يحتاج إلى نصح رقيق، وفن فى توظيف خبرته بالطريقة المناسبة.

٣٣ ـ الذى يسئ الظن بالآخرين :

من كمال إيمان الفرد إحسان الظن بالله وحسن الظن بالناس، ومسئ الظن بالآخرين ممقوت على الدوام، فإنك بين يديه فى قفص الاتهام، وعليك أن تسوق من الأدلة ما تبرئ به ساحتك، فعلام هذا الجهد المضنى بين يديه،



ولذلك فالإنسان إما أن يعرض عنه أصلاً، أو يواجهه بما لا يليق ولا يحمد وفى كل من الأمرين، قد أوصد بابه عن الآخرين أو التعامل معهم والسبب فى ذلك إساءته الظن بالناس، والمسئ الظن من الصعوبة بمكان أن تغير قناعاته لأنه مرض يتحكم فيه الهوى، وقد أمرنا الدين ألا نشق عن قلوب الناس ونياتهم، بل نحن مأمورون أن نحكم على الناس بالظاهر منهم وما يبدو للعين، ونكل السرائر للمطلع على السريرة، فليس ذلك فى إمكاننا، وليست هذه مهمتنا كبشر، ثم إن الأصل فى معاملة الناس (البراءة لهم) وليس (الاتهام) حتى يثبت عليهم أنهم أساءوا، أما أن تتعامل معهم بالشك والاحتمال والأوهام والكلام المرسل وأن نطلق خيالات فنصدقها وهم ليسوا كذلك، كل ذلك ضرب من الجنون والخبل، لا قيمة له فى ترابط المجتمع، ولذلك نهى عنه الإسلام.

وحتى فى حالة الثبوت، ينبه الاسلام على من ادعى تحميل الوجه الحسن دائماً، لتستمر مسيرة الحياة، وتمضى سفينة الود، رغم الأعاصير والعواصف، لتصل إلى الشاطئ بأمان.

ولذلك أرى النصح لمسئ الظن بعاقبة سلوكه، والجرأة فى الرد عليه، وعدم الوقوف بين يديه كمتهم يدافع، بل ناصح مهاجم، وينذره بسوء الخاتمة، ويدعوه إلى الاقلاع عن ذلك.

٣٤ - الإرهابى والمجرم:

كلمة الارهابى وهى اختراع أمريكى ومبرر لها للهيمنة على الأرض بغير حق، بغض النظر عن دين أو اتجاه أو مذهب، ولذلك بدءاً يجب أن نفرق فى مفهومنا بين من يدافع عن عرضه وأرضه ووطنه ضد المحتل الذى يعيث فساداً فى مقدراته وارادته وترابه وبلده، وبين مجرم يقتل ويسلب وينهب وينتهك الحرمات مهما كانت تبريراته فى ذلك، فالمقاومة دفاع عن الحق ضد محتل ظالم غاصب إرهابى، والإجرام شئ آخر.

ولذلك فالذين يقتلون أبناء مجتمعهم ويسلبون الناس حرياتهم وأقواتهم هذا إجرام ، سواء كان من حكومات أو أفراد، وهو مرفوض كلية شكلاً وموضوعاً، وتصدى له الاسلام بأقصى العقوبات، وتفصيله واضح فى الدين. والذين يحتلون الأرض ويخربون الزرع ويدمرون البيوت ويهدمون مصالح الأمة وينهبون الخيرات ويسجنون الرجال وينتهكون الأعراض، هذا هو الارهاب الحقيقى الذى يجب مقاومته بالنفس والروح، والمقتول فى سبيل ذلك هو شهيد عند الله .

فمن المهارة أن نفرق بين الإرهابى والمجرم، والذين أجرموا ولهم مبررات من الدين هؤلاء أخطأوا فهم الدين، وليسوا كلهم قد مارس الإجرام، فالإجرام لا يقاوم بالإجرام، ولكن بتصحيح مفاهيم مغلوطة وترك الحرية للناس فى التعبير والحركة حتى لا تسرى الأفكار المغلوطة سراً، والسماح لأصحاب الخبرات والتجربة من الفكر المعتدل للتصويب والتصحيح، وذلك إن أردنا فعلا مصلحة للوطن، وقد مر كيف استطاع عبد الله ابن عباس محاورة الخوارج حتى رد أكثر من ألفين إلى الفكر الصحيح، فى الوقت الذى ركب ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين هواه، ولم يغير فكره وعند قطع لسانه رفض لأنه يزعم أن لسانه يذكر به الله!!! وهذه هى سماحة الإسلام ألا يؤخذ أحد بجريرة غيره، والذين أخطأوا فى الفهم يصوب فكرهم، ويعودون إلى المجتمع مرة أخرى يساعدون فى نهضته.

وأما أن نطلق كلمة الإرهاب بالمفهوم الأمريكى الذى تحول اليوم إلى ملاحقة كل ما هو إسلامى على الأرض، فى معركة ستخسر فيها حتماً أمريكا لأن الله تكفل بنصرة دينه، وربما تفيق الأمة جمعاء من سباتها الذى طال فتواجه الارهاب الأمريكى والاسرائيلى بما واجه به رسول الله ﷺ الارهاب اليهودى بالجزيرة وبما واجه به قطز التتار، وبما واجه به صلاح الدين الصليبيين، حتى يأتى نصر الله وما هو ببعيد.

٣٥ - الفظ الغليظ:

لعلنا فى هذا الكتاب حذرنا كثيراً من الفظاظة واعتبرناها عائقاً يحول بين مهمة الإنسان مع الناس، وكان النبى ﷺ الطف الناس وألين الناس وأرفق الناس، ولم يكن فى لحظة بالفظ الغليظ بل كان بالمؤمنين رءوفاً رحيماً، ومن ثم التف حوله أفراد المجتمع والناس جميعاً، فبالرفق واللين وحسن الخلق وبشاشة الوجه يحبك الناس ويتقربون منك ويلتفون حولك، وما من علاج فى معاملة الفظ غير الرفق، ومواجهة الغليظ باللين، وتقديم وسائل الرحمة والمودة حتى يتبين له خطأه، ويعود إلى الصواب.

٣٦ - الرث فى مظهره:

يحلو للبعض أن يظهر فى شكل الزاهدين، ظاناً أن ذلك يقربه إلى الناس، ويحلو للبعض ألا يهتم بمظهره أو ملبسه أو سمته العام لاقناع الناس بأنه متدين، فهل هذه الصور لو صدق أصحابها فى زعمهم تخالف الاسلام أو تتوافق معه؟ بالطبع تخالفه مخالفة صريحة، فأين ذلك من قول أجمل



الناس ﷺ : «إن الله جميل يحب الجمال» ، وقال النبى ﷺ لمالك بن فضلة وقد رآه أشعث الهيئة أما لك مال؟ قال : فإن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن ترى عليه ، بل إن الامام ابن الجوزى لما رأى هذه الصور صرخ قائلاً : آه لو كان للزمان عمر.

والبراعة فى إقناعه أن ذلك يضر بالدين أكثر مما ينفعه، إذ أن الناس يصفونه بالتخلف وكأنه يعيش فى كون آخر، وبالتالى يسئ إلى الدين إن أراد أن يُظهر لهم بذلك التدين!!

٣٧ ـ المتذبذب والمتردد :

فكرت كثيراً فى حال المتذبذب من الناس، وفى أحواله، فإنه مرة مع هؤلاء وأخرى مع هؤلاء، تارة ينتصر لرأى وفى التو لا يؤيده، وبالتالى من الصعوبة أن تقرأه كصفحة واحدة، لأنه يسبح فى بحر من الغموض، ويبدو للناس مثل لغز عسير الحل، وبالتأمل فى قوله تعالى : ﴿ **مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً** ﴾ النساء/ ١٤٣ ، والآية تصف حال المنافقين مرة مع المؤمنين وأخرى مع الكافرين، والسبب فساد قلوبهم، جعلهم يتخبطون هكذا، دون أن يتضح لهم سبيل، وكذلك هذا الصنف يدفعه فساد قلبه، وضميره الخفى، وعقله الحائر، تحت ستار الموازنات والإقتناص والمصالح، إلى هذا السلوك المشين، روى مسلم عن ابن عمر قول النبى ﷺ : «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين: تعير إلى هؤلاء مرة وإلى هؤلاء مرة» والمهارة الخاصة هنا فى نقله إلى الإيمان وتطهير قلبه، واستيقاظ ضميره، مع أخذ الحيطة والحذر من أفعاله الخفية الماكرة التى تبطن الضرر، ولو ظهر فى صورة ودية حميمة.

٣٨ ـ المتهاون المتكاسل :

وهذا نموذج آخر يعيش بيننا، يأول الأحاديث بالخطأ، يتكاسل عن العمل ويتهاون فى الحقوق متذرعاً بأن الله رب قلوب، وإن قلبه مادام نظيفاً فماذا عليه بعد ذلك؟ .

مع أن المعنى الحقيقى هو عكس ما يقوله تماماً، فالمقصود فى الاسلام أن العمل لابد أن يكون له روح، وأن الحركات وحدها لا تجدى إلا بقلب مخلص وأداء ما يرضى الله عنه، ولذلك فلما خلا عمل القلب، تكاسلت الحركات، فلو خشعت القلوب لخشعت الأعمال والحركات، روى مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : «إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى

قلوبكم وأعمالكم » فأين المتهاون فى ذلك؟

وروى مسلم أيضاً عن أبى هريرة قوله ﷺ : « التقوى ها هنا التقوى ها هنا وأشار إلى صدره فحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

ولذلك فالمتهاون على خطر شديد : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » هكذا قال النبى ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن أبى هريرة .

وللإيمان مظاهر عملية، يظهر أثرها فى المجتمع والناس بالسلوك والأخلاق، ولذلك فعلى المتكاسل مراجعة ايمانه، روى مسلم عن أبى هريرة قوله ﷺ : « رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » هكذا قال النبى ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن أبى هريرة .

وللإيمان مظاهر عملية، يظهر آثرها فى المجتمع والناس بالسلوك والأخلاق، ولذلك فعلى المتكاسل مراجعة ايمانه، روى مسلم عن أبى هريرة قوله ﷺ : « الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » . ودعوة المتكاسل إلى العمل تبدأ بالمفهوم ثم بالسلوك الايمانى الذى هو الروح بالنسبة للعمل، فتدب فى حركاته الروح وكانها حياة جديدة .

٣٩ ـ المقلد للغرب :

إننى أعجب بعد أن أسفر الغرب عن أهدافه فى الهيمنة والسيطرة وطبع العالم بهوية واحدة وطمس غيرها، وإجبار أهل الأرض بأديانهم المختلفة ومذاهبهم وتياراتهم وأحزابهم بالارتماء فى أحضانه والذوبان فى حضارته، باسم الحرية واليمقراطية والعدل، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتى أصبح الغرب وأمريكا القطب الواحد الذى لابد أن يفرض بالقوة، بإزاحة الاسلام والمسلمين من الوجود، أعجب بعد ذلك كله من هؤلاء الذين ما زالو يقلدون الغرب ، يتكلمون بمفهومه وينشرون كالأبواق تعاليمه، التى تصطدم بالعقل قبل الدين، من احتقار للغيبيات وإهمال القيم الروحية وتدمير المعانى الأخلاقية، أعجب من هؤلاء المغتربين الذين يريدون أن ينقلوا إلينا مناهج غير مناهجنا وغايات غير غاياتنا، من دعوة إلى المادية والاباحية والنفعية والفلسفية، واعتبار الغرب هو سيد العالم وأستاذ الوجود، هؤلاء لا ينفع معهم إلا الجهر بالحقائق وكشف زيف ما يريدون فرضه، خاصة بعد استيقاظ الشعوب على صور الهيمنة الزائفة الكاذبة الخاطئة، وشعوب أمتنا تئن فى فلسطين والعراق وكشمير وأفغانستان وغيرها .

٤٠ ـ **الذى يعمل وفق ثقافة الجزئيات :**

ومن هنا كانت الثغرة التى ضاع منها مجهود هؤلاء الأفراد، وكانت الصخرة التى تكسرت عندها تضحيات كثير من الأفراد، فمنهم من قال أعمل بالسياسة وكفى، وآخر لا حل عنده إلا فى العمل العسكرى لتغيير المجتمعات، وآخر يقول: العمل الحقيقى هو الخدمى الاجتماعى فقط، ومنهم من عاش سلبياً كعدمه منتظراً دولة الاسلام أو الخليفة أو المهدى المنتظر، فلا استفاد بالعمل ولا أدى مهمته!! .

متناسين أن العمل النافع له ألوان كثيرة مثل العمل الفكرى والثقافى والتربوى والاجتماعى والتعليمى والسياسى والرياضى والفنى وكل ذلك ينتظم فى منظومة واحدة كلية فى مجتمع واحد متحاب، وأن العمل العسكرى قد أثبت فشله عبر التجارب المؤلمة وليس من أساليب النصر المنشود، والناس مواهب مختلفة، والفروق بينهم طبيعية، ولذلك فكل متميز فى مجال يجب عليه نشره والعمل به ولعل هدف هذا الكتاب هذا النموذج الكامل الشامل العابد الواعى. المتحرك فى المجتمع والناس، من أجل حياة طيبة كريمة، يسعد فيها الفرد، ويبتهج بها المجتمع.

ثانياً: أفكار عملية لحركة الفرد فى المجتمع

١ ـ **مجمل الأفكار** : هذه الأفكار هى التى قدمها النبى ﷺ لأصحابه، فتحركوا بها وابتكروا فى وسائلها، من بعد ما رأوها تتحرك أمام أعينهم وبين أيديهم من الأسوة والقدوة ﷺ، **ونجملها أولاً** : كعناوين ثم نرتحل ، **ثانياً** : فى جولة مع رسول الله ﷺ وهو يدفعهم بها ويحميهم فى أدائها، ويرغبهم فى ابتكار وسائلها، ويبشرهم بأجرها الجميل، وهى كالتالى:

١ ـ كف الشر عن الناس .
٢ ـ التبسم فى الوجوه.
٣ ـ الأمر بالمعروف .
٤ ـ النهى عن المنكر .
٥ ـ ارشاد الرجل فى أرض الضلالة .
٦ ـ اماطة الحجر والشوك والعظم والأذى عن الطريق .
٧ ـ التسبيح .

٨ ـ التكبير .
٩ ـ التحميد .
١٠ ـ تسمع الأصم .
١١ ـ تهدى الأعمى .
١٢ ـ تدل المستدل على حاجته .
١٣ ـ تسعى مع اللهفان المستغيث .
١٤ ـ تساعد الضعيف .
١٥ ـ جماع الزوجة
١٦ ـ النفقة على الزوجة .
١٧ ـ النفقة على الأهل .
١٨ ـ النفقة على الأولاد .
١٩ ـ الانفاق فى سبيل الله .
٢٠ ـ الانفاق على الأصحاب .
٢١ ـ الانفاق على الخادم .
٢٢ ـ اللقمة فى فم الزوجة .
٢٣ ـ العدل بين اثنين .
٢٤ ـ إصلاح ذات البين .
٢٥ ـ إعانة الرجل فى سيارته ودابته .
٢٦ ـ الانفاق على المسكين .
٢٧ ـ اعانة الرجل فى حمل متاعه .
٢٨ ـ الكلمة الطيبة .
٢٩ ـ الخطوات إلى الصلاة بالمسجد .
٣٠ ـ منحة العنز .
٣١ ـ رد السلام .
٣٢ ـ تشميت العاطس .
٣٣ ـ القرض .
٣٤ ـ هداية الطريق وإرشاد السبيل .
٣٥ ـ الوجه الطلق .
٣٦ ـ تفرغ من دلوك فى دلو أخيك .
٣٧ ـ لا تحقرن معروفاً ولو صلة الحبل .



٣٨ ـ لا تحقرن معروفاً ولو شسع النعل .
٣٩ ـ تؤنس الوحشان .
٤٠ ـ عيادة المريض .
٤١ ـ اتباع الجنائز .
٤٢ ـ إجابة الدعوة .
٤٣ ـ النصح الجميل .
٤٤ ـ إبرار القسم .
٤٥ ـ نصرة المظلوم .
٤٦ ـ إفشاء السلام .
٤٧ ـ إنظار المعسر .
٤٨ ـ الإحسان إلى الحيوان .
٤٩ ـ بر الوالدين .
٥٠ ـ الوفاء بالعهد .
٥١ ـ الصبر على الأذى .
٥٢ ـ صلة الرحم .
٥٣ ـ سلامة الصدر .
٥٤ ـ الحب في الله .
٥٥ ـ ستر العورات .
٥٦ ـ التيسير على المعسر .
٥٧ ـ احترام الناس .
٥٨ ـ تنفيس الكربة .
٥٩ ـ تأمين الناس وعدم ترويعهم .
٦٠ ـ إدخال السرور إلى الناس .
٦١ ـ أداء الأمانات .
٦٢ ـ الترحيب بالقادم .
٦٣ ـ الإقبال على المتحدث .
٦٤ ـ توسيع المجلس .
٦٥ ـ حب النظام .
٦٦ ـ حب النظافة .
٦٧ ـ اكرام الضيف .

٦٨ ـ الإحسان إلى الجار
٦٩ ـ حق الجسد (الصحة والرياضة)
٧٠ ـ الترويح عن الناس
٧١ ـ حق العين (غض البصر)
٧٢ ـ المحافظة على أوقات الناس
٧٣ ـ الوقاية من كل ما يجلب الأذى .
٧٤ ـ التواجد بين الناس
٧٥ ـ مكافأة الجادين
٧٦ ـ الهدايا
٧٧ ـ الغرس يغرس فى الله فيأكله إنسان أو طير
٧٨ ـ الزرع يزرع فى الله فيأكله إنسان أو طير
٧٩ ـ أن تجبر المنكسر
٨٠ ـ أن تصاحب الغريب
٨١ ـ النصيحة إذا استنصحك أحد
٨٢ ـ قضاء الحاجات
٨٣ ـ احترام الكبير .
٨٤ ـ العطف على الصغير .
٨٥ ـ قضاء الدين عن الناس .
٨٦ ـ البذل والعطية .
٨٧ ـ العفو عن الناس .
٨٨ ـ تحرى الحلال .
٨٩ ـ عدم الغش .
٩٠ ـ السماحة فى البيع والشراء والاقتضاء .
٩١ ـ الوفاء بالدين .
٩٢ ـ إنزال الناس منازلهم .
٩٣ ـ علم ينتفع به .
٩٤ ـ ولد صالح يدعو لأبيه وأمه .
٩٥ ـ قلة الكلام فيما لا يعنى .
٩٦ ـ تعين صانعاً .
٩٧ ـ تصنع لأخرق .



٩٨- صلاة الضحى .
٩٩ - احتمال أذى الناس .
١٠٠ - الاستغناء عن الناس .

٢ ــ جولة الأفكار العملية مع رسول الله ﷺ

١ - في الصحيحين عن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله أفرأيت إن ضعفت عن بعض العمل، قال تكف شرك عن الناس فإنها صدقة

٢ - روى الترمذي من حديث أبي ذر قول النبي ﷺ (تبسمك في وجه أخيك لك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة وإرشادك الرجل في أرض الضلالة لك صدقة وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة) .

٣- روى ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال:
« ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة في كل يوم طلعت فيه الشمس ، قيل: يا رسول الله ومن أين لنا صدقة نتصدق بها؟ .
قال: إن أبواب الجنة لكثيرة:

- التسبيح والتكبير والتحميد
- والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
- وتميط الأذى عن الطريق
- وتسمع الأصم وتهدي الأعمى
- وتدل المستدل على حاجته
- وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث .
- وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك) .

٤ - في صحيح ابن حبان عن أبي ذر قول النبي ﷺ : « ومباضعتك امرأتك صدقة، قلت: يا رسول الله نأتي شهوتنا ونؤجر؟ قال: أرأيت لو جعلت ذلك في حرام أكان تأثم؟ قال: قلت: نعم، قال:
أفتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير؟ » .

٥ - في الصحيحين عن أبي مسعود الأنصاري عن النبي ﷺ قال: « نفقة الرجل على أهله صدقة » .

٦ ـ فى صحيح مسلم عن ثوبان أن النبى ﷺ قال: « أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه على فرسه فى سبيل الله، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه فى سبيل الله » .

٧ ـ فى صحيح مسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين أفضلها الدينار الذى أنفقته على أهلك » .

٨ ـ روى الامام أحمد من حديث أبى هريرة قول النبى ﷺ : « تصدقوا فقال رجل: عندى دينار قال: تصدق به على نفسك قال: عندى دينار آخر قال: تصدق به على ولدك قال: عندى دينار آخر قال: تصدق به على خادمك قال: عندى دينار آخر قال: أنت أبصر » .

٩ ـ فى الصحيحين عن أنس قول النبى ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان أو طير أو دابة إلا كان له صدقة » .

١٠ ـ قول النبى ﷺ لسعد رضي الله عنه : « إنك لن تنفق نفقة تبتغى وجه الله إلا أجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها إلى فىّ زوجتك » .

١١ ـ فى الصحيحين عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس

تعدل بين اثنين صدقة

وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة

والكلمة الطيبة صدقة

وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة

وتميط الأذى عن الطريق صدقة »

١٢ ـ روى البخارى عن حديث حسان بن عطية عن أبى كبشة السلولى قال: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ :

« أربعون خصلة أعلاها منحة العنز

ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها أو تصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة » .

قال حسان بن عطية: فعددنا ما دون منحة العنز من :

رد السلام وتشميت العاطس

وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه ما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة »

١٣ ـ فى المسند عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال: « أتدرون أى الصدقة

أفضل أو أخير؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: المنحة تمنح إخال الدراهم، أو ظهر دابة، أو لبن شاة أو لبن بقرة »والمراد بمنحة الدراهم: قرضها ، ومنحة ظهر الدابة: إفقارها وهو إعادتها لمن يركبها، ومنحة لبن الشاة أو البقرة أن تمنحه بقرة أو شاة يشرب لبنها ثم يعيدها إليك، وإذا أطلقت المنيحة لم تتصرف إلا إلى هذا.

١٤ ـ روى الامام أحمد والترمذى من حديث البراء بن عازب قول النبى ﷺ: «من منح منحة لبن أو ورق أو أهدى زقاقاً كان له مثل عتق رقبة» .

يقول الترمذى: معنى قوله: «من منح منحة لبن أو ورق» أى يعنى بالورق قرض الدراهم.

وقوله (وأهدى زقاقاً) يعنى به هداية الطريق وهو إرشاد السبيل.

١٥ ـ روى الامام أحمد من حديث جابر عن النبى ﷺ: «كل معروف صدقة ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك فى إنائه».

١٦ ـ فى المسند عن أبى حرى الجهنى قال: سألت النبى ﷺ: عن المعروف فقال:

«لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تعطى صلة الحبل (وصلة للحبل) ولو أن تعطى شسع النعل (رباط الحذاء) ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ولو أن تنحى الشئ من طريق الناس ولو أن تؤنس الوحشان فى الأرض» .

١٧ ـ فى صحيح ابن حبان عن أبى ذر بعد أن عدد النبى ﷺ أعمال الصدقات قال الرجل: يا رسول الله إن هذا كله ليسير، قال النبى ﷺ: «والذى نفسى بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله إلا أخذت بيده يوم القيامة فأدخلته الجنة» .

هذا عن ثواب الأعمال، ولكنه اشترط لكل هذه الأعمال اخلاص النية.

١٨ ـ وكل حقوق المسلم على المسلم، هى أيضاً من الأفكار العملية التى حث النبى ﷺ على أدائها: فى الصحيحين عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

« حق المسلم على المسلم خمس:

رد السلام وعيادة المريض وإتباع الجنازة، وإجابة الدعوة وتشميت العاطس»

وفى رواية مسلم: «للمسلم على المسلم ست: قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال:

إذا لقيته تسلم عليه

وإذا دعاك فأجبه

وإذا استنصحك فانصح له
وإذا عطس فحمد الله فشمته
وإذا مرض فعده،
وإذا مات فاتبعه » .

١٩ ـ وفى الصحيحين عن البراء بن عازب قال :
أمرنا رسول الله ﷺ بسبع :
« بعيادة المريض واتباع الجنائز وتشميت العاطس وإبرار القسم ونصر المظلوم وإجابة الداعى وإفشاء السلام » .
وفى رواية لمسلم : « وإرشاد الضال » بدلاً من « إبرار القسم » .

٢٠ ـ ومن الأفكار العملية المشى بحقوق الناس الواجبة إليهم : قال ابن عباس : من مشى بحق أخيه إليه ليقضيه فله بكل خطوة صدقة ومنها : إنظار المعسر.

٢١ ـ ومن الأفكار العملية الإحسان إلى الحيوان والرفق به : لما سئل النبى ﷺ عن سقى البهائم أجمل فقال : « فى كل كبد رطبة أجر » .

٢٢ ـ قال ابن عمر : (البر شئ هين) ، (وجه طلق وكلام لين)، وقد يقترن البر بالتقوى فى قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ قيل فى التفسير : أى معاملة الناس بالإحسان ومعاملة الحق بالطاعة واجتناب المعاصى .

٢٣ ـ وروى الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهنى قال : قال رسول الله ﷺ : « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ « تصل من قطعك وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك » .

٢٤ ـ روى الترمذى حديث النبى ﷺ : « من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً مرائياً مكاثراً مفاخراً، لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان » .

٢٥ ـ روى البخارى ومسلم عن جرير بن عبد الله قال : (بايعت رسول الله ﷺ على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) .

٢٦ ـ روى أبو داود عن أبى هريرة أو رسول الله ﷺ قال : « من أقال مسلماً أقال الله عثرته » عثرته خطيئته، وإقالة البيع، رد المبيع على البائع وقبول رده أزال الله مشقته يوم القيامة .

٢٧ ـ روى البخارى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « رحم



الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » .

٢٨ ـ روى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله » .

٢٩ ـ روى مسلم قول النبى ﷺ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة » .

٣٠ ـ روى البخارى ومسلم عن ابن عمر قال : سمعت عمر يقول : كان رسول الله يعطينى العطاء فأقول : أعطه من هو أفقر إليه منى، فقال :

« خذه إذا جاءك من هذا المال شئ وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك » .

٣١ ـ روى أحمد عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال :

« من سأكلم بالله فأعطوه

ومن دعاكم فأجيبوه

ومن أهدى لكم فكافئوه

فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوه له » .

٣٢ـ روى مسلم عن ميمون أن عائشة مر بها سائل فأعطته كسوة ، ومر بها رجل عليه ثياب وهيئة ، فأقعدته فأكل ، فقيل لها فى ذلك فقالت : قال رسول الله ﷺ : « أنزلوا الناس منازلهم » .

٣٣ـ قال بعض أصحاب النبى ﷺ : والذى نفسى بيده إن شئتم لأقسمنّ لكم بالله إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ، ويحببون عباد الله إلى الله ، ويسعون فى الأرض بالنصيحة .

٣٤ـ فى مسند الإمام أحمد من حديث معاذ بن أنس الجهنى عن النبى ﷺ قال : « أفضل الفضائل :

أن تصل من قطعك

وتعطى من حرمك

وتصفح عمن شتمك » .

٣٥ـ خرّج مسلم من رواية أبى الأسود الديلمى عن أبى ذر عن النبى ﷺ قال : « يصبح على كل سلامى أحدكم صدقة

فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة

وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة

وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة

ويجزى من ذلك ركعتا الضحى يركعهما » .

٣٦- روى البخارى من حديث أبى ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سألت النبى ﷺ : أى العمل أفضل ؟ قال : « ايمان بالله وجهاد فى سبيله » .

قلت فأى الرقاب أفضل ؟ قال :

« أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها »

فإن لم أفعل ؟ قال :

« تعين صانعاً أو تصنع لأخرق <الأخرق : من لا يحسن صنعا ولا يهتدى إليه > »

قال : فإن لم أفعل ؟ قال :

« تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك » .

***

مائة فكرة نبوية عملية
تضمن بها الجنة





١ـ كف الشر عن الناس

● هذا ما عدّه الإسلام من أضعف ما يقوم به الفرد من صدقات فى يومه ، وربما يقول البعض ما فى هذه الفكرة من فعل وكيف تكون إذن فكرة عملية ؟

وللمتأمل فى الأفكار يراها فكرة عملية حتمية فلو فتح هذا الباب لجاء سيل من أفكار سيئة تؤذى الناس وتؤلمهم وتنغص عليهم حياتهم !! وهى فعل فى الأساس وليست نظرية يتشدق بها اللسان .

● **ومن ايجابيات ذلك على الفرد** : أن يقلل من آثامه وذنوبه ، وربما كانت فترة مراجعة يعلم منها عيوب نفسه فيحاسبها ، ويقوى عنده الإحساس بالآخرين حينما يتأمل أثر الأذى على الناس وشرور ذلك ، وهى فترة راحة واستجمام للأعضاء جميعاً حينما يكف عملها من الشر ليبدأ عهداً جديداً كله خير وصلاح وإصلاح وحب ونفع ، فالعين والسمع واللسان والغمز واللمز واليدين والرجلين ثم العقل وما فيه من خواطر وأوهام وظنون وتدبير ومكر ، ثم القلب وما فيه من حقد وحسد وكره وتطلع ، كل هذا المصنع الضخم يتوقف ولو برهة من الزمن ليعيد حساباته من جديد .

ولا تنفع العزلة التامة بل لابد من مخالطة الناس وإلا ما فائدة الوقفة لمصنع قد تهدم ، وأزيل من الوجود ، وكيف يبدأ المعدوم فى نهج جديد ؟! قد يتصور البعض بأنه حينما يمارس المعصية أنه لا أثر لها من شر على الناس ، ولكنه إن علم أن الذنب يُرى أثره فى زوجته وولده والناس جميعاً الذين يتعامل معهم فى يومه ، من انفعالات أو ضيق أو كآبة أو قلق لا قتنع بذلك ، ولذلك كان بعضهم يقول : إنى أرى أثر ذنبى فى زوجتى وولدى ودابتى ، وآخر حينما رأى تعثراً فى علاقته مع الناس تذكر ذنبا منذ سنين ويحتاج إلى توبة ، بهذه الحساسية يستطيع الفرد أن يبدأالطريق فى كف الشر عن الاخرين .

● **ومن ايجابياته فى المجتمع** : نشر الخير والتمهيد الكريم الطيب لفعل الأخيار وامتداد أعمالهم الحسنة وتمكين الحب والوئام أن يستمر بلا منغصات ، مما يعمل على ترابط المجتمع وتقويته ، والمجتمع السعيد هو الآمن على قوته والامن من الخوف ﴿ **فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ قريش .

وبالتالى فكف الشر يجعل أفراد المجتمع يأمنون على أرزاقهم كما يأمنون

من كل خوف ، قد يبذل الكثير من الأموال والجهود والأوقات من أجل نشر الأمان فى المجتمع ، وتسن من القوانين وتشرع من العقوبات ما يكون رادعاً للشر ، ولكن بالضمير والإيمان ونيل الصدقات والأجر ، وبأقل ما يفعله الإنسان من كف الشر عن لحظة حضوره ، يتوفر فى المجتمع الأمن المطلوب والأمان المنشود .

● **ومن وسائل كف الشر عن الناس** : غض البصر والصمت وطرد الخاطر ووقف الكيد والمؤامرة ، والبعد عن أصحاب السوء ، وعزلة أماكن الشر ، وذكر الله ، ومقاطعة أماكن اللهو ، وملك النفس عند الانفعالات من غضب أو فرح أو حزن أو حسد أو حقد ، والتسليم للأقدار ، وترك التنافس على الدنيا ، وغيرها .

ونرى أن كل هذا الوسائل تتفق فى أنها مكبوتة ومكتومة داخل الفرد ، وهذا صحيح لأنها كلها حبس للشر فى داخل النفس ، ومن ثم فهى فعل داخلى غير مرئى للناس ، وإن كان الله يسمعه ويراه ويجزل عليه العطاء فى حال صدقه ونبل غايته .

٢ـ التبسم فى الوجوه

كان سعيد بن الخمس هاشاً باشّاً مع الناس ، (فسئل : ما أبشك ، قال : ما يكلفنى شيئاً) ، فلماذا نصرُّ على نشر الكآبة فى المجتمع ، وفى وجوهنا أمر ما يكلفنا جهداً ولا مالاً ولا وقتا ، وهو البشاشة ، ولهذا السر ما رأوا رسول الله ﷺ إلا هاشا باشا ، حتى إن ابن جرير يبلغنا أنه ما رأى النبى ﷺ إلا يبتسم له ، ولسنا فى معرض نقول الأدلة بقدر ما نحن نخاطب فينا العاطفة ! لقد كتبت فى كتاب الدعوة المؤثرة عن التبسم مع المدعوين ، وفى كتاب الحب روح الحياة الزوجية عن التبسم بين الزوجين ، وفى كتاب المشاعر المؤثرة عن التبسم كخطاب لمشاعر الناس ، وفى كتاب فقة السالكين عن التبسم كسلوك ينبع من القلب المؤثر فى قلوب العباد ، والآن نكشف عن سر التبسم فى حركتك الطبيعية مع أفراد المجتمع ، وليس خفياً أثره على الفرد المبتسم ثم أثر ذلك على كل الناس ، ولذلك كان لك صدقة فى تبسمك فى الوجوه ، لأن من البسمة يبدأ المجتمع السعيد ، حيث تختفى الكآبة بسحر البسمة ، التى تمسح على الألم فتمحوه ، والتى تمر على الضيق فتبدده ، والتى تنفرج لها أسارير الوجوه لتحمل رسالة إلى الإنسان تقول له : أنت الآن سعيد !! ، لتبدأ حياة

الهناء والسرور ، والبسمة التى يحملها الوجه إلى الوجوه تنطلق من قلب صدوق طاهر صافٍ نقى ، ولهذا فالعين تحمل ود القلب والأسارير تنقل صدق الحب ، والفم يترجم ذلك برسالة تعبر عنها الخلجات إلى القلوب مباشرة ، وإن لم تكن تحوى حروفاً أو كلمات ، ولكنها من أبلغ اللغات فى التعبير ، قد يقول البعض ما هذا الخيال ؟ ولكنها حقيقة مجربة بالفعل ، فجرّب وأنظر الأثر ! وادعُ لى !! .

٣ــ الأمر بالمعروف

من أعجب ما قرأت أن المعروف لا يحتاج فعله إلى نية ، فمجرد فعلك للمعروف أو أمرك به ولو كان بلا تدبر أو تدبير ، أخذت أجره واستلمت صدقته ، وقد اتفق على ذلك بعض العلماء ، فما علاقة ذلك بالقاعدة النبوية « إنما الأعمال بالنيات » ؟ من تأملى فى ذلك وجدت أن المعروف كالسحور ، مجرد قيامك للسحور فقد حققت النية ، وعلى ذلك فالتلفظ بالنية أو عدم اهتمامك بالنية ، أو وفق قول البعض نسيت النيـــة ، كل ذلك لا يؤثر من قريب أو من بعيد على الفعل ، لأن السحور يحوى النية أساساً ، كذلك المعروف من الأعمال التى فعلها هو نيتها ، وتحقيقها يحوى فى طياتها النية ، لأن المعروف كله معروف ، كما أن الحسن كله حسن ، ولذلك فليس من المعروف فعله بمنكر ، أو الأمر به بمنكر ، لأن هذا خلط لا يستقيم ، ولذلك كانت القاعدة : « أن تأمر بالمعروف بمعروف وأن تنه عن المنكر بمعروف » ، فالمعروف طريق لا يعرف إلا المعروف ، ولسنا بصدد تعريفه والتحدث عن أقسامه وآدابه بقدر ما نحن نكشف عن جهة مقصودة وهى فقه الحركة بالمعروف والانطلاق به كشحنة للفرد مع الناس ، ومن قبلها كشحنة قلبية داخل كيان الفرد .

فلابد للقلب أولاً : أن يعرف المعروف وهذا فرض لا يسقط عن أحد ، ومن نفع ذلك فى وقت الفتن كما أوضح النبى ﷺ : أن يكون عاصماً لصاحبه فى زمن تختلط فيه الأمور ، فينجو لمعرفته القلبية بأن يأخذ بالمعروف ، ومعرفة القلب تنفع كذلك فى معاملاته مع الناس ، بأن تجعله يتعامل معهم بالمعروف ، ويظهر ذلك فى ثلاث خصال :

رفيق بما يأمر ، عدل بما يأمر ، عالم بما يأمر ، يقول الإمام أحمد : الناس محتاجون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة .

والمعروف فرع من حسن الخلق فى معاشرة الناس ، يقول ابن المبارك فى تعريفه لجسم الخلق : (بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى) ، وباعتياد فعل المعروف يصبح الأمر به شيئاً طبيعياً فى حياة الإنسان ، لا تكلف فيه ولا صناعة ، لأنه من فطرة الله يقول تعالى : ﴿ **فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** ﴾ ولهذا سمى الله ما أمر به معروفا وما نهى عنه منكراً ، يقول تعالى : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى** ﴾ ، يقول الإمام الطبرى فى تفسيره : ﴿ **خذ العفو وأمر بالمعروف** ﴾ أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض .

٤ ـ النهى عن المنكر

لماذا يرى البعض المنكر ولا ينهى عنه ؟ هل يخشى هؤلاء من بطش أهل المنكر لهم ؟ ولماذا البعض يفسرون المنكر على غير حقيقته فيعطون لأنفسهم الحق فى تغييره على غير ما اتفق عليه الشرع ؟ فيثيرون فى المجتمع الفزع والرعب ؟ ومن ثم كأن علينا أن نقف وقفة أمام فقه تغيير المنكر المتفق عليه لدى العلماء فى حديث النبى ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

أولاً : أن يكون المنكر منكراً أى حراماً وليس مشتبه فيه ، ولذلك فالذى يحدد حرمته الشرع وليس الأهواء ، لقوله ﷺ « منكراً » .

ثالثاً : القدرة على التغيير فى قوله « فمن لم يستطع » فعليه أن يتركه لمن يستطع !! من كل ذى قدرة على من دونه كالزوج والأب وصاحب المؤسسة .

رابعاً : التغيير بأرفق أسلوب وأجمل طريقة بحيث لا يؤدى إلى منكر أكبر منه إذ ما فائدة التغيير إذن ؟ .

وكما أن المعروف لابد أن يعرفه القلب وهو فرض على كل مسلم كذلك المنكر ، يقول ابن مسعود : (هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر) ويقول ابن رجب : (معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرفه هلك أما اللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة) .

وبهذا فإن النهى عن المنكر إعذار للفرد إلى ربه ونصح للناس وتطهير للمجتمع ، وقيمة مستمرة تصد عقاب الله أن يشمل الجميع ، فمن المشهور أن الله تعالى أوحى لجبريل حينما راجعه فى قوم (أمر الله بتدميرهم

لذنوبهم) قائلاً : إن فيهم عبدك فلان لم يغضبك طرفة عين ، قال : (ابدأ به فإنه لم يتمعر فيّ وجهه قط) .

وعلى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر أن يوطن نفسه على الصبر على أذى الناس ، فهو لاحق بفعله ، وهذا أمر طبيعى ، وفي وصية لقمان لابنه : ﴿ **وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور** ﴾ ولقوله تعالى : ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ العصر ، فجاء التواصى بالصبر لاحقاً لالتزامهم بالحق والجهر به فعرضهم ذلك للأذى ، وهو أمر حتمى ، يخفف بالصبر .

٥ـ إرشاد الرجل فى أرض الضلالة

فى اللغة : ‹ الضلال عن الشئ › الذهاب عنه والحيد ، ولا يزداد وغولاً إلا ازداد من موضع حاجته بعداً وعن المكان الذى أراده ابتعاداً .

وهذه الفكرة العملية ما أحوجنا إليها خاصة لمن تعرض لهذا الموقف فى حياته ، فهو الذى يدرك أهميته وقدره !! فالرجل الكامل التام الواعى المدرك حينما ينزل أرضاً لا يعرفها ، ويقابل أناساً لا صلة لهم به ، ويواجه لغة غريبة عليه ، وعادات لم يجريها من قبل ، فمع رشاده ورجاحة عقله وقوته وغناه فإنه يحتاج إلى إرشاد وتصويب وتوجيه ، ويكون حينئذ كالطفل يتعلم ابجديات الأمور ، ولن ينساها لك أبداً ، بل ستظل عالقة بذهنه مدى حياته .

إن مشاعر الضال ، انسحاب وانقطاع من الزمان وإحباط ووحشة فى المكان ، فإذا امتدت اليد الحنون التى تأخذ به إلى الصواب وتوجهه إلى مقصوده ، فإنها تبدد هذه المشاعر بعاطفة جياشة ، وقد مرت مواقف فى حياتى كهذه تماماً حينما وصلت إلى محافظة المنيا لأول مرة لأحول من كلية الهندسة إلى الاسكندرية وتعثر الأمر فذهبت إلى المسجد لأصلى صلاة الظهر فقابلت إنساناً طالباً فى الفرقة الثانية اسمه حسن بنفس الكلية ، الذى أصر أن أترك الأوراق قائلاً : لا تقلق وبالفعل قام بأكثر مما كنت سأقوم به وارشدنى فى يومى إلى كل ما أريد انجازه فكان يوماً لا ينسى وأصبح صديقاً لا انساه !! .

وحينما ذهبت لأول مرة إلى جدة بالسعودية لاستلام العمل لا أنسى من استقبلنى من جهة العمل وأرشدنى إلى الفندق ثم العمل ولم يقطع اتصاله التليفونى للاطمئنان فظل فى مشاعرى لا أنساه !! .

والمواقف فى حياة كل انسان كثيرة ، ولعلك فى بعضها كنت أنت المرشد

للرجل فى أرض الضلالة فشعرت بجمال ما تصنع وجلال ما تقدم من دغدغة للعواطف وتأثير فى المشاعر وإرشاد صادق ، ولذلك كان الوعد الجميل من النبى ﷺ لفاعل هذه الفكرة بالأجر الجزيل من الله ، والصدقة التى لا يتناهى ثوابها .

(والرجل فى أرض الضلالة) لا تعنى بأن هذا الضال لابد أن يكون ضعيفاً رثا ذليلا بل هو (الرجل) الكامل فى عقله ووجدانه وقوته وسمته وغناه ، ولكن وحشة المكان فى أرض الضلالة ، تجعله يفرح بمن ينتشله من بحر الحيرة ، والبحث عن هدفه الذى لا يراه ، ولا يعرف طريقاً للوصول إليه ، وقد يكون قريباً منه أو فيه مثلما قال الشاعر : (تسأل عن نجد وأنت فيها) .

● ومن وسائل هذه الفكرة : الاشتراك فى فرق الجوالة فمن أعمالهم الأساسية ارشاد الناس ، حتى يعتاد الإنسان تنفيذ هذه الفكرة ، وتوطين الفرد على ارشاد الغرباء لأماكنهم والوصول إلى مقصودهم ، وتهيئة الفرد لاستقبال المسافرين وصحبتهم ، وانشاء مراكز للارشاد خاصة بعد التقدم المذهل فى وسائل الاتصالات التليفونية والالكترونية ، ومع كل ذلك سيبقى الإنسان هو الأساس ، فالوسائل ما هى إلا آلات يحركها الإنسان الذى يريد الحركة والأجر وإرشاد غيره .

٦ـ إماطة الأذى عن الطريق

نظافة الطرق علامة من علامات التحضر ، ومهما بلغت الدول فى تحقيقها والعناية بها ، فإنه سيظل الفرد هو الأساس الذى يحافظ على الطريق ، ولا تنفع مع هذه الفكرة الأشكال والصور والمعايير المزدوجة ، مثلما أحافظ على طريقى وليذهب طريقك إلى الجحيم !! وهذا ما نراه فى التلفاز والفضائيات عن القوات الأمريكية التى تعبث بطرق العراق أو الإسرائيلية التى تحرق الزرع وتخرب الطرق بالدبابات والجرافات وتدمر البيوت !! .

والذى أريد أن أخلص إليه أن الذى يحرك الإنسان أساساً قلبه المملوء بالإيمان فى المحافظة على الطرق وأن هذا الفعل هو عمل ايمانى يؤجر عليه ويتعبد به ربه ، والذى يدفعه إلى أدائه الإخلاص ونيل الثواب والأجر ، وبالتالى فإن ذلك لا يتوقف على مقولات : طبيعة الطريق وأهميته وهل الإنسان هو المستفيد أم غيره مثل المثل الانجليزى الذى يقول : (لو نظف كل واحد أمام

بيته لأصبحت الطرق أو المدينة كلها نظيفة) ، فالإسلام يقول للمسلم : نظف أمام بيتك أو بيت جارك أو بيت الغريب ، نظف فى طريق يمر بمدينتك أو مدينة غير مدينتك ، بل حتى فى بلد ليس فيه أحد تعرفه ، لأنك مطالب بموقف ايمانى ، وهذه هى طبيعة هذه الفكرة ولذلك فى الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة : يقول النبى ﷺ : « بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك على الطريق ، فأخره فشكر الله له فغفر له » ، فالرجل كان يمشى بطريق ولم يحدد هذا الطريق ، بل فى انسيابية طبيعية يؤخر الشوك ، مع إنه لن يستفيد منه مستقبلاً ، ولكنه خلق وعبادة وأجر بغض النظر عن أى شئ آخر .

والنبى ﷺ أكد هذا المعنى فى روايات كثيرة منها ما أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة « وتميط الأذى عن الطريق لك صدقة » وكلمة الأذى تعنى كل ما هو مخالف لنظافة وسهولة وتجميل ونظام الطريق ، وفى رواية : « انحاؤك القذر عن الطريق صدقة » ، وفى رواية « والشئ ينحيه عن الطريق » ، وفى رواية : « اماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة » وفى رواية : « رفعك العظم عن الطريق صدقة » ، وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا اللاعنين قالوا : وما اللاعنان ؟ قال : الذى يتخلى (يتغوط) فى طريق الناس أو فى ظلهم » .

ويكفى الفرد أن هذه الفكرة شعبة من شعب الايمان عن أبى هريرة يقول ﷺ : « الايمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان » .

● ومن الوسائل الجميلة فى ذلك أن يقوم الشباب بتنظيف الطرق وتشجير الشوارع ودهان الأرصفة ، والمساعدة فى رصف بعض الطرق وتجميل الأسوار لتبدو مدينتهم نظيفة وجميلة . وكذلك الطلاب فى جامعاتهم ومدارسهم ، والعمال فى شركاتهم ، والموظفون فى مؤسساتهم ، والصناع فى مصانعهم ، والناس فى ممراتهم وشوارعهم ونواديهم ومراكزهم وجمعياتهم ، وعقد مسابقات ومباريات وكئوس لمكافأة المتميزين لأن ذلك من محاسن الأعمال ، روى مسلم عن أبى ذر قول النبى ﷺ : « عرضت علىّ أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق » .

ولذلك فهذا الذى يؤدى هذه الفكرة الحسنة ينعم ويتقلب فى الجنة كما أخبر النبى ﷺ فيما رواه مسلم عن أبى هريرة : « لقد رأيت رجلاً يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين » .



٧ـ تسمع الأصم

تتفاوت الناس فى قوة سمعهم ، وقد يصل البعض إلى الصمم التام ، ولكن بشئ من الأجهزة الحديثة الدقيقة يستطيع أن يستمع إليك بنسبة ولو قليلة فما ذنبه ألا يعيش حياة طبيعية ، ويسمع مثل الآخرين ؟ وماذا لو كان الأمر بيدك ولن يكلفك شيئاً ؟ فدرجات أصواتنا نستطيع أن نعليها ونخفضها كيفما شئنا دون أى جهد يبذل ، أو مال يدفع ، أو وقت ينفق ! فلماذا لا نسعد من حرموا من السمع بأن نسمعه ما نقول حتى ولو تطلب الأمر تعلية أصواتنا إلى حدها الأقصى !؟ ، ولن يقف الأمر عند حد إسعاده بل لنا فى ذلك الأجر والصدقة من الله تعالى .

وإن كانت مجتمعات اليوم تهتم بهذا الجانب من عدة نواحى الصحية والمهنية والتدريبية والتعليمية والتأهيلية الخاصة بالصم ، وأصبح فى الإعلام مخاطبة خاصة لهم بالاشارات من المتخصصين فى ترجمة النشرات والبرامج واللقاءات ، فإنه جميل ومطلوب وعظيم فى أن يستمر هذا العطاء الإنسانى النبيل ، ولكن مع ذلك سيظل أيضاً الفرد فى حركته مع أسرته وأقاربه وزملائه وفى الشارع ووسائل المواصلات ومع المجتمع ككل فى حاجة ماسة إلى الإنسان الذى يؤجر بإدخال السرور على الأصم بأن يسمعه ما يقول .

والسمع نعمة من نعم الله على الإنسان وشكرها بالمحافظة عليها وأداء حقها ، ومن وسائل حفظها أن أقدر هذه النعمة إن انتقصت لدى الآخرين باسماعهم خاصة من عرضوا لمرض بعد صحة أو كبار السن أو حادث بعد عافية .

وليس معنى إسماع الأصم أن يكون الصوت عالياً مرتفعاً صاخباً مزعجاً ، وإنما ما حقق الهدف بأى أسلوب هو الصحيح ، وما تجاوز ذلك من غير علة فهو خطأ وأذى للسامع ، وما كان أقل من تحقيق الهدف فهو رعونة وأذى للسامع أيضاً .

٨ـ وتهدى الأعمى

حينما تأخذ بيدك الأعمى وتبين له طريقه ، وتهديه لما يريد ، فكأنك ملك من السماء لا يعرف إلا الرحمة ولا يحركه غير الحنان ، هنالك تشعر بالراحة المفقودة والطمأنينة النادرة ، ومع أن المساعدات اليوم للضرير أصبحت

كثيرة مثل القراءة ومعرفة الوقت والإحساس بالطريق والناس ، ولكن دفء الإنسان لا تعوضه الآلات ، وإحساس الإنسان لا تنقله الأجهزة ، ولذلك فالفرد سيظل هو الأساس فى هداية الأعمى لطريقه ، وأعرف كثيرين فقدوا نعمة البصر فشقوا طريقهم ببصيرتهم فتفوقوا على الإنسان المبصر ، وكذلك فالمبصر الحقيقى الذى يبحث عن الأجر ويتحرك مع أصناف المجتمع ، فمن البصيرة أن يفقه دوره ، فى أن يهدى الأعمى ، يقول تعالى : ﴿ **إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التى فى الصدور** ﴾ الحج / ٤٦ ، أى أن الإنسان قد يكون مبصراً لكنه لا يستخدم حاسة البصر فيما خلقت من أجله فى التقاط مجاهيل الأشياء ، وفعل الطاعات ، ومنها أن يهدى الأعمى .

وهذا الأعمى الذى ذهبت حبيبتيه (عينيه) إن صبر فالله تعالى وعده بالأجر الجزيل والجنة ، فكأن من يعينه يشاركه فى الجنة سواء بسواء ، لأنه يعينه علي الصبر والطاعة ، وهذا سبب من أسباب الدوام على تنفيذ هذا الأمر يتبعه ما يلاقيه الإنسان من سعادة وإقبال على الحياة بروح فاعلة وهمة قوية .

ولقد عاتب الله تعالى رسوله ﷺ فى قرآن يتلى إلى يوم الدين حينما انشغل وأعرض عن الأعمى الصحابى الجليل عبد الله بن أم مكتوم ، عن عائشة قالت : أنزلت ﴿ **عبس وتولى** ﴾ فى ابن أم مكتوم قالت : أتى إلى رسول الله ﷺ فجعل يقول : أرشدنى ! قالت وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين قالت : فجعل النبى ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخرين ، ويقول : أترى بم أقوله بأساً ؟ فيقول : لا .

هذا الموقف الذى ظل يتذكره النبى ﷺ كلما رأى ابن أم مكتوم فيرحب به ويوسع له ويقدمه على غيره ، يقول الراوى : فلما نزل فيه أكرمه رسول الله ﷺ وكلمه وقال له : ما حاجتك هل تريد من شئ ؟ وإذا ذهب من عنده قال له : هل لك حاجة فى شئ ؟! ثم استخلفه على المدينة مرتين فى غزوتين خرج فيهما النبى ﷺ .

٩ـ تدل المستدل على حاجته

المستدل كل من له حاجة يريد الاستعلام عنها أو عن خطوات قضائها ، وله نية العمل ، وقد يتفوق على من دله إلى حاجته ، ولا يشترط على المستدل أن يكون فقيراً أو جاهلاً أو محتاجاً وإنما هو كل إنسان ليست لديه خبرة وبحاجة إلى دليل واستدلال حتى ينجح فى إتمام حاجته ، فقد يكون مثقفاً أو

غنياً أو ذا وجاهة ولذلك فإنك تكون دليلاً بغض النظر عن شخصه أو حاجته ، وهنالك تؤجر وتثاب ، وهذه الحاجة قد يكون لك فيها خبرة أو يمكنك إعانته بمن لديه خبرة ، وفى كل من الأمرين أنت قمت بمهمتك على ما يرام .

البعض يحلو له أن يخفى خبرته وتجاربه أو معرفته بقضاء الحوائج مع أنه لن يقوم هو بأدائها أو فعلها أو التعب فى قضائها ، ومع ذلك يبخل ويضن متعذراً بقوله : (لابد أن يتعلم مثلما تعلمت) (هو الشئ بالسهل) وهذه كلها شبهات يثيرها الشيطان وهوى النفس لتغلق عليك إرشاد السائل وإدلال المستدل ، فيضيع عنك الأجر ، وتحرم نفسك من مواقف حياتية لا ينساها لك أبداً صاحبها ، فكم من تعارف متين وأخوة صادقة وتعاون طويل وانصهار صافٍ وامتزاج راقٍ ، تم بين الناس وظل محفوراً فى الذاكرة ، وذكرى يحكيها صاحبها فى كل مكان، لمجرد موقف واحد قمت فيه بإعانة مستدل عن حاجته .

وهذه الحاجة حتى يبارك الله لك فيها وتؤجر لابد أن تكون حلالاً والطريق إليها حلالا ، ولا تعرض فيها أحداً لأذى أو مصيبة أو فتنة ، وهذا أمره مفهوم ولا يحتاج إلى زيادة إسهاب .

١٠ـ تسعى مع اللهفان المستغيث

اللهفان الذى بلغ حداً نال من عاطفته وامتلك شعوره الإحساس بالإحباط فى قضاء حاجته ، والمستغيث يأتى فى الدرجة التى تليها من ترجمة اللهفة بإطلاقه نداءات الاستعانة طالباً الغوث ، فهل يترك على هذا الحال دون مساعدة أو عون ؟ .

إن الواجب أن يكون العون على قدر انفعالته ومساوٍ للحد الذى وصل إليه فى استغاثته ، ولذلك كان التوجيه النبوى بأن تسعى ، والسعى أن تهرول وتسرع لمساعدته بقوة بل بكل ما تملك من وسائل دون توقف أو كلل ، مقدراً ما وصل إليه ، وتعذره فى انفعالته وعدم تقديره إلى الوقت المناسب أو المكان الملائم أو الزمان المهيئ ، وهذا ما فعله النبى ﷺ روى مسلم عن أنس بن مالك : أن امرأة كان فى عقلها شئ (.من شدة انفعالتها ولهفتها وطلبها القوت) فقالت : يارسول الله : إن لى إليك حاجة فقال رسول الله ﷺ : « يا أم فلان خذى فى أى الطريق شئت ! قومى فيه حتى أقوم معك ، فخلا معها رسول الله ﷺ يناجيها حتى قضت حاجتها » وفى رواية : « ومعها

صبى لها » .

والغرض من البُعد بالمرأة حتى لا يسمع شكواها أحد غير رسول الله ﷺ ، وهكذا رسم النبى ﷺ خطوات السعى مع اللهفان المستغيث :

أولاً : العمل على راحة اللهفان واطمئنان نفسه وإشاعة الأمن والسكينة ، وذلك في مناداتها : « يا أم فلان » .

ثانياً : مراعاة انفعالة اللهفان وليس مراعاة حالى أنا ، ومعنى ذلك أن أعلم أن لهفته لا تجعله يقدر زماناً أو مكاناً ولا وقتاً ، ولذلك لابد أن أظهر له أننى لا شغل لى إلا به وبصدق وعلى قدر انفعالته الساخنة . فى قوله ﷺ : « خذى فى أى طريق شئت قومى فيه حتى أقوم معك » .

ثالثاً : المحافظة على السر إن كانت شكواه من هذا النوع بأن تجعل له مناجاة خاصة ، بعيداً عن الناس وعليك بسعة الصدر والسماع بتركيز والوعى لما يقول ويعانى .

رابعاً : الاطمئنان أن السعى قد حقق الهدف ، واتخاذ كافة الوسائل الكافية بانجاز شكواه ، والاطمئنان بأن حاجة اللهفان قد قضيت وتمت بالفعل ، وذلك فى قول الرواى : حتى قضت حاجتها .

إن أهم ما فى السعى مع اللهفان هو مكثك واهتمامك وإقبالك ومراعاتك للمستغيث ، فالأشكال فيه لا تنفع ، والصور لا تجدى ، حتى لو تطلب الأمر تأخير واجب تقوم به ، يؤثر علي الناسَ فيه غيابك ، وهذا ما حدث للنبى ﷺ حينما أخر فريضة الصلاة ، للسعى مع لهفان ، فيما رواه أحمد عن أنس أن المؤذن أو بلالا كان يقيم فيدخل رسول الله ﷺ ، فيستقبله الرجل فى الحاجة فيقوم معه حتى يخفق عامتهم برءوسهم » والمعنى حتى تميل رءوسهم من النعاس .

١١ـ تساعد الضعيف

مظاهر الضعف تبدو واضحة على الوجه وفى النفس ، ولذلك فقبل تقديم المساعدة تكون المهارة في فحص النفس واكتشاف نوع الضعف ، والفراسة فى الوجه لمعرفة حجم الضعف ، ثم مخاطبة مشاعر الضعيف ، وهى بمثابة فتح باب الاطمئنان بأنك بجواره ، ثم السعى معه لمساعدته عمليا ، وما أجمل أن تكون المساعدة من مالك الخاص أو طعامك الخاص أو جهدك أو وقتك أو همتك الوثابة أو روحك العالية هنالك لا ينساها لك أبداً ، لأنه بحث عنك وقصدك ،

وما أروع أن تكتشف نوع الضعف ، ثم تجمع الضعفاء الذين يعانون من نفس النوع لتساعدهم جميعاً ، فيبارك الله لك فى جهدك ووقتك ، وهمتك ومالك ، وتأمل معى هذه الخطوات التى فعلها النبى ﷺ مع أبى هريرة فيما روى البخارى أنه خرج جائعاً يقول : مر أبو القاسم ﷺ فعرف ما فى نفسى وما فى وجهى فتبسم وقال : « أبا هر إلحق » فاتبعته فدخل فاستأذنت فأذن لى فوجد لبنا فى قدح فقال لأهله : أنّى لكم هذا اللبن ؟ قالوا : أهداه لك فلان فقال : « يا أبا هر انطلق إلى أهل الصفة فادعهم لى » قال : فأحزنى ذلك وقلت : ارجو أن أشرب من هذا اللبن شربة أتغذى بها ، فما يغنى عنى هذا اللبن فى أهل الصفة ، وأنا الرسول فإذا جاءوا أمرنى فكنت أنا أعاطيهم ، ثم يقول : ولم يكن من طاعة لله عز وجل وطاعة رسوله بد فانطلقت إليهم فدعوتهم ، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم ، فأخذوا مجالسهم من البيت وقال : « أبا هر » قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : « قم فاعطهم » ، فأخذت القدح فأعطى الرجل حتى يروى ثم يردّه إلىّ حتى روى جميع القوم ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فأخذ القدح فوضعه على يديه ثم رفع رأسه فنظر إلىّ فتبسم وقال : « اقعد » فقعدت فشربت وقال : « اشرب » فما زال يقول : اشرب اشرب حتى قلت : والذى بعثك بالحق ما أجد له مسلكا ، قال : فأرنى فرددت إليه الإناء ، فحمد الله عز وجل وشرب منه .

● وكان من فعل النبى ﷺ إذا أهدى له شئ أن يشاركه فيه الضعفاء ، أما إن كان الشئ صدقة تركها كلها لهم .

● ومن الأخلاق المعاونة فى مساعدة الضعيف عدم الأنفة أو الاستكبار ، فهما كالسدين يحولان دون تقديم المساعدة ، إذ كيف يكتشف المتكبر ضعفاً فى غيره ؟! لذلك روى النسائى باسناد حسن عن أبى أوفى قوله ﷺ : « وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشى مع الأرملة والمسكين فيقضى له حاجته » .

● ولذلك مهما كانت قوتك ونجاحك وشجاعتك وإقدامك ، فلا تنس الضعيف لأنه غالباً ما يكون فى المتأخرين من الصفوف ، ومن المتعثرين فى الحركة ، فلو لم يهتم الأب بالابن الضعيف أو المدرس بالتلميذ الضعيف أو الرئيس بالمرءوس الضعيف ، أو أى إنسان فى موقعه ، لظل الضعيف ضعيفاً ويسرى الضعف فى المجتمع ، مع أن لحظات الضعف قليلة ، ويحتاج فيها الضعيف إلى من ينتشله من محيط هاويتها ، ومستنقع السقوط فيها ، وإلا

عرضناه إلى المزيد من التخلف والتدنى ، وكان النبى ﷺ فى الغزوات كما مربنا يتفقد الصفوف الخلفية فيرعى الضعيف ويردف له ويحمى الناس ، فضعيف اليوم قد يكون قوى الغد ، وقوى اليوم ضعيف الغد ، ولذلك فعلينا ببث روح الاستعداد والوقاية والقوة لمواجهة أى ضعف قبل وقوعه أو أثناء وجوده .

● ومن ضعفاء المجتمع الأرملة والمسكين واليتيم وذو الحاجة والفقير ، لذلك أوصى الله تعالى نبيه ﷺ بهم يقول تعالى : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم** ﴾ الكهف / ٢٨ ، وبشر النبى ﷺ بأنهم أهل الجنة ، فعن حارثة بن وهب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مستضعف < يستضعفه الناس > لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر » متفق عليه .

وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « احتجت < اختصمت > الجنة والنار فقالت النار فىّ الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة فىّ ضعفاء الناس ومساكينهم » .

بل من حسن الثواب والأجر فى مساعدة الضعيف أن يكون أجر المساعد كأجر المجاهد في سبيل الله ، فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأحسبه قال : وكالقائم الذى لا يفتر وكالصائم لا يفطر » متفق عليه .

● وبعض الناس ينظرون إلى الضعيف نظرة استعلاء وفضل ، والبعض قد يحدث نفسه بأنه أفضل وأحسن ممن دونه ، إلى هؤلاء نترك مصعب بن سعد بن أبى وقاص يحدثهم عن أبيه قائلاً : رأى سعد أن له فضلاً على من دونه فقال النبى ﷺ : « هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم » البخارى وفى رواية لأبى الدرداء قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « أبغونى الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » .

١٢ـ إصلاح ذات البين

● من خلال جولتنا مع رسول الله ﷺ تبين لنا كيف أن على كل سلامى < مفصل > من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، ومن هذه الصدقات فكرة يقدمها النبى ﷺ فى قوله : « تعدل بين اثنين صدقة » ومعنى « تعدل بينهما » أى تصلح بينهما بالعدل ، يقول الله تعالى : ﴿ **لا خير فى كثير من**

نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ النساء / ١١٤ .

ويقول تعالى : ﴿ **والصلح خير** ﴾ النساء / ١٢٨ .

ويقول تعالى : ﴿ **فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم** ﴾ الإنفال / ١ .

ويقول تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم** ﴾ الحجرات / ١٠ .

وهكذا تجولت الآيات من الاصلاح بين الناس عامة إلى الصلح بين الزوجين إلى اصلاح ذات البين عند المؤمنين ثم الإصلاح بين الأخوة وهى الصداقة الخاصة بين الناس ، وذلك لطبيعة الخلاف أولاً ثم الدعوة إلى الإصلاح ثانياً إن ظهر .

● ومن أجل انجاح أمر الصلح رخص الإسلام بالكذب وهذا من مرونة الدين للمحافظة على ترابط المجتمع عن أم مكتوم بن عقبة بن أبى معيط قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى (يبغى) خيراً أو يقول خيراً » متفق عليه وفى رواية مسلم زيادة قالت : ولم أسمعه يرخص فى شئ مما يقوله الناس إلا فى ثلاث تعنى : الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها .

● ويجب على من يريد تنفيذ هذه الفكرة أن يوطن نفسه على معرفة أى تخاصم بين الناس أو شر قد حدث بينهم ، فيبادر بأسرع من البرق إليهما ، وما أجمل أن يذهب إليهما فى صحبة من الناس ، ورفقة من الأصدقاء ، ويحرص على الإصلاح مهما تعطلت مصالحه ، ويوليها اهتماماً حتى يتم الصلح ، وهكذا كان النبى ﷺ ، عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول ﷺ بلغه أن بنى عمرو بن عوف كان بينهم شر فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم فى أناس معه فحبس (أمسكوه ليضيفوه) رسول الله ﷺ وحانت الصلاة ، فجاء بلال إلى أبى بكر رضى الله عنهما فقال : يا أبا بكر إن رسول الله ﷺ قد حبس وحانت الصلاة فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال : نعم إن شئت ، فأقام بلال الصلاة وتقدم أبو بكر وكبر الناس وجاء رسول يمشى فى الصفوف حتى قام فى الصف فأخذ الناس فى التصفيق وكان أبو بكر لا يلتفت فى صلاته فلما أكثر الناس التصفيق التفت فإذا رسول الله ﷺ فاشار إليه رسول الله فرفع أبو بكر يده فحمد الله ورجع القهقرى (رجع إلى الخلف) وراءه حتى قام فى الصف فتقدم رسول الله ﷺ فصلى للناس » متفق عليه .

والذى يهمنا من سرد هذا الجزء من الحديث أنه لأول مرة يتأخر النبى ﷺ عن الصلاة ثم يحدث ما حدث من حرج لأبى بكر وتصفيق الناس والإشارات

بين النبى ﷺ وأبى بكر ، انتهت إلى أن يتقدم النبى ﷺ للإمامة ، والسبب فى هذا كله بيان مهمة الاصلاح بين الناس ، وهى رسالة من النبى ﷺ لمن يتعللون اليوم بمشاغلهم أو همومهم أو أعمالهم التى تعطلهم عن الإصلاح بين الناس، عليهم فقط أن يتذكروا هذا الموقف النبوى ويفقهوا رسالة النبى الكريم كلما تكرر منهم ذلك !!! .

● وعلى المصلح بين الناس أن يذكرهم بالله تعالى ، وبأمره وبمهمتهم فى الحياة ، هنالك تصغر بين المتخاصمين المشكلات ، بل قد يتنازل أحدهما للآخر ، بعد خصام وصيحات وأصوات مزعجة وانفعالات غير محسوبة تجعله لا يدرى بما يفعل ، أو بما يقول ، فإذا بهذا التنازل يبدد جو الشحناء إلى وئام ، وهذا منطق النبى ﷺ عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمع رسول الله ﷺ صوت خصوم بالباب عالية أصواتهما ، وإذا أحدهما يستوضع الاخر ‹ يسأله أن يضع بعض دينه › ويسترفقه فى شئ ، وهو يقول : والله لا أفعل .

فخرج عليهما رسول الله ﷺ فقال : أين المتألى على الله لا يفعل المعروف ؟.

فقال : أنا يارسول الله فله أى ذلك أحبّ » متفق عليه .

١٣ـ النفقة على الأولاد

● الإنسان الصالح يحب إسعاد أولاده ، والإنفاق عليهم يجعله يجتهد ويكد ويخطط ويدخر ، والإسلام لم يغفل هذه الحركة فى الحياة ، بل جعلها صدقة وله فيها من الله أجر ، وهى الأمر الطبيعى فى حياة الناس ، بل إن النبى ﷺ عدّها أفضل أموال الرجل ، وهى التى ينفقها على أولاده ، عن ثوبان بن بُجْدُد قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه علي عياله » رواه مسلم .

● حتى وإن نأت بين الأب وأولاده أو الأم وأبنائها الظروف ، وحالت بينهم اللقاءات في حالات السفر أو المرض أو الطلاق أو الموت فإن النفقة عليهم يظل أجرها ممتداً ، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : قلت يارسول الله هل لى أجر فى بنى أبى سلمة ‹ أولادها من أبى سلمة › أن أنفق عليهم ، ولست بتاركتهم هكذا وهكذا ‹ يتفرقون لطلب الطعام يميناً ويساراً › إنما هم بنى ؟.

فقال : نعم لك أجر ما أنفقت عليهم » متفق عليه .

ولذلك يقول تعالى : ﴿ **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف** ﴾ البقرة/ ٢٢٣ .

● ومن فوائد النفقة ليس الأجر فحسب ، بل إن الرجل ينقذ نفسه أن يكون في قائمة الآثمين ، خاصة عمن يملك قوتهم ، ومنهم الأولاد ، ولذلك حذر النبى ﷺ عن التقصير في ذلك ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » رواه مسلم .

● وبذلك يكون الرجل ايجابيا فى الحياة مع أولاده بأن يعيشوا حياة السعداء الأخيار ، فعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » البخارى ، أى ما يخرجه الإنسان من ماله بعد أن يكفى حاجة أهله وأولاده ، فالأولوية للأولاد ، فهم الامتداد الطبيعى فى الحياة ، وهم أفضل ما يقدمهم الرجل إلى المجتمع كأفراد أبطال أعزاء شرفاء ايجابيين .

١٤ـ الكلمة الطيبة

● الكلمة المؤذية لا تؤذى الآذان فحسب بل إنها تجرح الشعور وربما أقعدت الإنسان عن الحركة ، ومشاركة الآخرين ، فى حديث أبى ذر أنه سمع النبى ﷺ يقول : « من دعا رجلا بالكفر أو قال : عدو الله وليس كذلك إلا جار عليه (رجع عليه) متفق عليه .

وهذا هو الحد الأقصى وينسحب على أى كلمة تؤذى الإحساس بأى صفة سيئة وإلا رجعت على قائلها تغليظاً على النطق بها ، فلماذا لا تنطلق الكلمات الطيبات ، وتأمل معى عمر بن الخطاب وهو يقول : استأذنت النبى ﷺ فى العمرة فأذن لى وقال : لا تنسانا يا أخى من دعائك » فقال عمر : كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا » حديث صحيح رواه أبو داود .

● والكلمة الطيبة تنفذ إلى القلوب ، كنغم ساحر يؤثر فى أحاسيس الناس ، عن عدى بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : « الكلمة الطيبة صدقة » متفق عليه .

ولذلك فالكلمة كم رفعت من شأن الكثيرين وأدخلت السرور فى مشاعرهم وانطلقوا فى الحياة والمجتمع مجتهدين ، فلماذا لا تستحق الأجر من الله ؟ ولماذا تكون حائلاً بين قائلها والنار ؟ عن عدى بن حاتم قال : قال رسول

الله ﷺ : اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة » متفق عليه .

١٥ــ التحميد

● يقول تعالى : ﴿ **وقل الحمد لله** ﴾ الإسراء / ١١١ ، ويقول تعالى : ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين** ﴾ يونس / ١٠ .

فالحمد ليس فى الدنيا فقط بل إنه نداء أهل الجنة فى الجنان ، فهو امتداد بالإنسان ، وقد اقتربت يوماً من أحد المبتلين فى حكم ثلاث سنوات وكان كثير الهمس فسمعته يكرر عبارة : الحمد لله ، مما جعله آمنا فى محنته ، وكان يبلغ من العمر ٧٦ عاماً ، والسر فى أمنه وأمانه أن الله جعل الزيادة فى الخيرات بالحمد عليها وشكرها يقول تعالى : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ إبراهيم / ٧ .

● وأول الحمد حمد الله على الهداية فهى نعمة سابغة تتطلب الحمد على خيرها الدائم مما جعل جبريل عليه السلام يحمد الله أن هدانا لهذه النعمة روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ أتى ليلة أسرى به بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما فأخذ اللبن فقال جبريل عليه السلام : « الحمد لله الذى هداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك » .

● والحمد الحقيقى الذى يداوم عليه صاحبه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كل أمر ذى بال لا تبدأ فيه بـ (الحمد لله) فهو أقطع (قليل البركة) » حسن رواه أبو داود .

● ومن أعظم أنواع الحمد العملى منه وهو الذى يعانى الإنسان من قسوة ظروفه ، خاصة فى حالات موت الأبناء ، عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم فيقول : فماذا قال عبدى ؟ فيقولون : حمدك واسترجع (قال إنا لله وإنا إليه راجعون) فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد » رواه الترمذى وقال حديث حسن .

● **أما عن ثواب التحميد** :

١- أنها من غراس الجنة لقوله ﷺ : « وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر » الترمذى حسن .

٢- أنها أجر صدقة فى الدنيا لقوله ﷺ : « وكل تحميدة صدقة » مسلم .

٣- تملأ ميزان العبد يوم القيامة لقوله ﷺ : « والحمد لله تملأ

الميزان » مسلم .

٤ـ تملأ ما بين السماء والأرض من الأجر لقوله ﷺ : « وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السموات والأرض » مسلم .

٥ـ إدراك السابقين في الأجر وسباق اللاحقين في الثواب لقوله ﷺ : « ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال : تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين » .

٦ـ مغفرة للخطايا وإن كانت مثل زبد البحر لقوله ﷺ لمن سبح وكبر وحمد دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين : « غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » مسلم .

١٦ـ التسبيح

● يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ الأحزاب ٤١ : ٤٢ .

وفي فضل التسبيح يقول النبي ﷺ في حديث أبي هريرة : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » متفق عليه .

● والتسبيح أحب الكلام إلى الله عن أبي ذر قال : قال لي رسول الله ﷺ : « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ؟ إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده » مسلم .

● وبالتسبيح تكسب في اليوم ألف حسنة ، وهذا سؤال سأله صحابي للنبي ﷺ وأجاب عليه ، عن سعد بن أبي وقاص قال : كنا عند رسول الله ﷺ فقال : أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة ، فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب ألف حسنة قال : يسبح مائة تسبيحة ، فيكتب له ألف حسنة أو يُحَطُّ عنه ألف خطيئة » رواه مسلم .

● والأجر من الله على كل تسبيحه عن أبي ذر قول النبي ﷺ : « فكل تسبيحه صدقة » مسلم .

ولذلك كان يكثر النبي ﷺ في ركوعه وسجوده من التسبيح عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : سبوح قدوس رب الملائكة والروح » مسلم .

● أنت تسبح الله وبكل تسبيحة تحجز نخلة فى الجنة ، عن جابر عن النبى ﷺ قال : « من قال : سبحان الله وبحمده ، غرست له نخلة في الجنة » الترمذى : حسن .

● وهل يحتاج التسبيح إلى مسابح يحملها الناس أم هى معانى يفهمها القلب ويلهج بها اللسان ؟ يحكى سعد بن أبى وقاص أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال : « ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل : فقال : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق » الترمذى : حسن . فالمقصود فهم المعنى وإدراك التسبيح والتنزيه بغض النظر عن الوسيلة المستخدمة .

١٧ـ التكبير

عن أبى هريرة قال النبى ﷺ : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس » مسلم .

وهو القائل ﷺ عن أبى ذر : « كل تكبيرة صدقة » مسلم ، وقد ورد فضل وأجر التكبير ثلاثا وثلاثين عقب كل صلاة مع التحميد والتسبيح .

● وأوصى النبى ﷺ بالتكبير للمسافر ، وعن أبى هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله إنى أريد أن أسافر فأوصنى قال : عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (كل عال مرتفع) فلما ولى الرجل قال « اللهم اطو له البعد وهون عليه السفر » رواه الترمذى وقال : حسن .

● وفى كل اللحظات وعند كل مرتفع وصعود يقال الله أكبر ، عن جابر رضي الله عنه قال : كنا إذا صعدنا كبرنا ، وإذا نزلنا سبحنا » رواه الترمذى .

● وفى الحياة يأتى التكبير تذكرة للفرد ، بأن الله أكبر من كل شئ ، فيلجأ إليه ويستعين به ، ويتوكل عليه ويصبر به ، فيخرج من أزماته ما دام مع الله يقوله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ .

١٨ـ حب الزوجين

هذه الفكرة العملية الجميلة التى تجعل الزوجين يسبحان فى سحر السعادة ، ولهما من الله الأجر ولمن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابنا (الحب

روح الحياة الزوجية) أو كتابنا (الزوجان فى مملكة الحياة الزوجية) ، أما هنا فليسمح لى الزوجان بالتحدث عن نقطتين :

الأولى : أن يكون الزوج على هوى امرأته !! هل هذا كلام معقول ، فما بالك إذا كان النبى ﷺ كذلك !! لا تنزعج وتأمل معى ما رواه مسلم فى صحيحه عن جابر قال : كان النبى ﷺ رجلا سهلا إذا هَوِيَتْ - يعنى عائشة رضى الله عنها - الشئ تابعها عليه » .

معناه إذا رغبت فيما هو جائز في شرع الله لم يمانعها وإنما أجابها إليه حتى أن عائشة تحكى وتقول : وقف رسول الله ﷺ على باب حجرتى والحبش يلعبون بحرابهم فى مسجد رسول الله ﷺ فقمت أنظر إليهم فقام يسترنى بردائه حتى انصرفت أنا من قبل نفسى، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » متفق عليه .

والنقطة الثانية : أن تمدح الزوجة زوجها فى كل شئ حتى فى أناقته وملابسه ، وبما يحلو لها من ألفاظ وكلمات الدلال ، عن عائشة : أن النبى ﷺ لبس بُردة سوداء فقالت عائشة :

ما أحسنها عليك

يشرب بياضك سوادها

وسوادها بياضك » رواه أحمد

١٩ـ جماع الزوجة

نعم هى شهوة ولحظات لذة ولكن الله جعل فيها للزوجين أجراً ، فى صحيح ابن حبان عن أبى ذر قول النبى ﷺ : « ومباضعتك امرأتك صدقة ، قلت : يارسول نأتى شهوتنا ونؤجر ؟ !! قال : أرأيت لو جعلت ذلك فى حرام أكان تأثم ؟ قال : قلت نعم قال : أفتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير ؟ » .

٢٠ـ اللقمة فى فم الزوجة

إنها اللحظة الحانية الدافئة التى تمتد فيها العاطفة قبل اليد ، ويتسابق فيها الزوجان فى وضع اللقمة فى فم الآخر ، يبتغيان بهذه الحركة وجه الله تعالى ، فينظر الله لهما نظرة رحمة فيغرقان فى بحر السعادة وينهلان من نهر الحب ، ولذلك فالصناعة والخداع والأشكال التى من أجل التقاط الصور التذكارية سرعان ما ينكشف أمرها إن لم تكن على أساس ابتغاء وجه الله ثم حوز

الزوجين لرضا بعضهما لبعض وذلك فى قول النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص : « إنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فىّ امرأتك » .

وكم هى مؤثرة فى المجتمع الأسرى والعائلى حينما تنتشر لحظات العاطفة والحب والمودة ترفرف فى جنبات المكان بحركة لا تكلف جهداً !! .

٢١ـ العدل بين الاثنين

● يقول تعالى :﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ النحل / ٩٠ .

ويقول تعالى : ﴿ **واقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾ الحجرات / ٩ .

وقد أوضح النبى ﷺ ثواب العدل وأنواع العادلين ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المقسطين عند الله علي منابر من نور : الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما وُلّوا » رواه مسلم .

فالعادل الأول : الذى يعدل فى حكمه بين الناس ، بين كل متنازعين فإنه يراعى الله أولاً ، ثم الشرع ثانياً ، ولا يخشى فى الله لومة لائم ، **والعادل الثانى** : فى أهله بينه وبين زوجته ومع أولاده وسائر عائلته ، **والعادل الثالث** : الحاكم وكل مسئول فلا يظلم ولا يستغل سلطانه ، فيستحق أن يظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله فهم كما أخبر النبى سبعة منهم : إمام عادل .

● وإنما جزاء من يعدل بين الناس الجنة ، يعدل بينهم فى أخذهم أو منعهم أو نزاعهم أو توزيع حقوقهم وما يستحقون ، لقول النبى ﷺ « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفق ، ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذى قربى وعفيف متعفف ذو عيال » رواه مسلم ولو انتشر العدل بين الناس ما رأينا مظلوما يئن أو جرائم تنتشر بين الناس .

٢٢ـ رد السلام

● يقول تعالى : ﴿ **إذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** ﴾ النساء / ٨٦ .

ويقول تعالى : ﴿ **هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام** ﴾ الذاريات ٢٤ :٢٥ .

● وليس رد السلام بمثله إنما الزيادة من خلق الملائكة الأطهار عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله آدم عليه السلام قال : اذهب

فسلم على أولئك - نفر من الملائكة جلوس - فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال : السلام عليكم فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله ، فزادوه : ورحمة الله) متفق عليه .

● وأم المؤمنين تخلقت بهذا الخلق فى رد السلام فكان ردها على جبريل عليه السلام حينما قال لها النبى : « هذا جبريل يقرأ عليك السلام » < قالت قلت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته > متفق عليه .

● فرد السلام من شيم النبى ﷺ حتى مع المسئ صلاته ، عن أبى هريرة « أنه جاء فصلى ثم جاء إلى النبى ﷺ فسلم عليه فرد عليه السلام فقال : ارجع فصل فإنك لم تصل فرجع فصلى ثم جاء فسلم على النبى ﷺ حتى فعل ذلك ذلك مرات » متفق عليه . فمهما كانت الانفعالات بين الناس أو الانشغالات فرد السلام شئ والانفعالات شئ آخر .

٢٣ ــ إفشاء السلام

● المجتمع الآمن ، مجتمع ينتشر فيه السلام بين الناس ، وليس السلام مقصوراً على من تعرف فقط فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » متفق عليه .

● وإفشاء السلام بين الناس يزيد المحبة بين الناس التى هى طريق الجنة ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » متفق عليه .

وكان عبد الله بن عمر يذهب إلى السوق لا يبيع ولا يشترى فلما سئل فى ذلك قال : إنما نغدو من أجل السلام نسلم على من لقيناه .

● ومن أجل أن ينتشر السلام بين الناس جعل الإسلام المبادر بالسلام هو أولى الناس بالله تعالى ، عن أبى أمامة قيل : يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام قال : « أولاهما بالله تعالى » الترمذى : حسن .

٢٤ــ تشميت العاطس

● إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ، ولذلك كان العطاس رسالة لتواصل الناس مع بعض وحوار جميل تعلمناه من النبى ﷺ فعن أبى هريرة

قوله ﷺ : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك اللـه فإذا قال له : يرحمك الله فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » رواه البخارى .

● وللمحافظة على الصحة وجمال الناس يحدثنا أبو هريرة « أن رسول الله ﷺ كان إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض بها صوته » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

٢٥ـ عيادة المريض

● ليس هناك ثواب لعيادة المريض غير الجنة ، عن ثوبان رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل فى خُرفة الجنة حتى يرجع » قيل : يارسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال : « جَنَاها < ما يقطع من الثمار مادام غضاً > » رواه مسلم .

● والملائكة تصلى على من يعود المريض بعدد هائل يصل إلى سبعين ألف ملك ، عن على رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك متى يصبح وكأن له خريف < الثمر المخروف أى المجتنى > فى الجنة » رواه الترمذى وقال حسن .

● ومن أحلى الكلمات التى تقال للمريض ما كان يقوله النبى ﷺ ، عن ابن عباس أن النبى ﷺ « دخل على أعرابى يعوده وكان إذا دخل على من يعوده قال : لا بأس طهور إن شاء الله » البخارى ، لاشدة ولا تعب وإن شاء الله يكون المرض تطهيراً للذنوب .

● وفى عيادة المريض فتح الأمل فى الشفاء ، والدعاء له ، وإبداء مشاعر الألم والتعبير عنها وعدم كتمانها ، كل ذلك يخفف عن المريض ويرفع من معنوياته ، عن سعد بن أبى وقاص قال : « عادنى رسول الله ﷺ فقال : اللهم اشف سعدا ، اللهم اشف سعدا ، اللهم اشف سعدا » رواه مسلم .

٢٦ـ اتباع الجنائز

● عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان » قيل : وما القيراطان ؟ قال : « مثل الجبلين العظيمين » .

وفى رواية البخارى : كل قيراط مثل أحد ، هذا عن ثواب اتباع الجنائز وأجرها العظيم .

● وفى مشهد الجنازة تذكرة وموعظة للإنسان بما سيصير إليه ، ولذلك كانت تذكرة النبى ﷺ عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « أسرعوا بالجنازة ، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه ، وإن تك سوى ذلك ، فشر تضعونه عن رقابكم » متفق عليه .

● وفى اتباع الجنازة يعود الناس وقد شهدوا للميت بالجنة أو النار ، فكيف يكون ذلك ؟ ، عن أنس قال : مروا بجنازة فأثنوا عليها خيراً فقال النبى ﷺ « وجبت » ثم مروا بأخرى ، فأثنوا عليها شراً ، فقال النبى ﷺ : « وجبت » فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وما وجبت ؟ قال : « هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض » متفق عليه .

٢٧ـ إجابة الدعوة

● لما فيها من تقدير واحترام الداعى ، وإدخال السرور على قلبه ، والتواصل مع الآخرين والمعايشة المطمئنة الكريمة ، وكان من خلق النبى ﷺ إجابة الدعوات وكان مقصده تلبية الدعوة بغض النظر عن وضع الداعى الاجتماعى فقد لبى دعوة الخياط كما لبى دعوة مشاهير الصحابة ، ولبى دعوة الفقراء كما لبى دعوة الأغنياء ، وما تخلف قط عن دعوة وجهت إليه ، بل كان يحمس الناس لدعوته ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : لو دعيت إلى كراع (ما بين الركبة إلى الساق) أو ذراع لقبلت ، ولو أهدى إلى ذراع أو كراع لقبلت » البخارى .

● وما أجمل أن توظف الدعوات لتحقيق آثارها السابقة ، فلا يجتمع الناس فقط من أجل الطعام والشراب ثم ينصرفون ، وإنما لنقل الناس إلى أجواء أخرى فيها النصح والموعظة والتبصرة والمدارسة حول أحوالهم وظروفهم ، وعلاج السلبيات إن وجدت ، وهذا ما كان يفعله النبى ﷺ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى دعوة فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه ، فنهش منها نهشة وقال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، هل تدرون مم ذاك ؟ ثم حكى في حديث طويل الإجابة على سؤال الناس يومها « ألا تنتظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ » حتى بلغ قوله بين يدى ربه : « فأقول

أمتى يارب .. أمتى يارب » فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنةوهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب » متفق عليه وهذا يدلنا كيف وظف النبى ﷺ الدعوة إلى أهداف أخرى غير الطعام والشراب .

● ومن الدعوات الجميلة دعوة الصائمين إلى الإفطار ، وعلى الصائمين تلبية مثل هذه الدعوات تحقيقاً لرغبة الداعى فى الأجر ، عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « من فطر صائماً كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شئ » الترمذى : حسن صحيح .

● والداعى الصائم له كذلك من الأجر العظيم فى دعوة غيره ، عن أم عمارة الأنصارية أن النبى ﷺ دخل عليها فقدمت إليه طعاماً فقال : كلى فقالت : إنى صائمة فقال رسول الله ﷺ : « إن الصائم تصلى عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا وربما قال : حتى يشبعوا » الترمذى : حسن .

● ولم يأنف النبي ﷺ مما يقدم فى الدعوات من طعام لأن الأمر كما تبين في تلبية الدعوة من غير أن يرتبط ذلك بما يقدم من طعام فخم ، عن أنس أن النبى ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة رضي الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل ثم قال النبى ﷺ : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » أبو داود باسناد صحيح .

والعجيب أن هذا الدعاء المشهور لم يقل على مائدة عظيمة أو أطعمة فخيمة وإنما على خبز وزيت ، ولسنا فى ذلك نمنع ما يقدم من طعام فخم ولكن أردنا أن نشير إلى أن فى هذا دلالة أن الأمر يرتبط بخلق اجتماعى وصلة بين الناس بغض النظر عن نوعية الطعام أو وفرته أو حجمه ، وفى هذا الثواب والأجر حيث تتساوى الدعوة على مائدة فقير فى كوخ أو على بوفيه مفتوح فى أحد الفنادق الكبرى لثرى من الأثرياء .

● وقد أشرنا من قبل إلى أن الدعوات الخاصة لعدم إحراج أصحابها تلبى لمن تم دعوته ، فإن جاء أحد بدون دعوة فليستئذن أولاً حتى لا يحرج هو من ناحية ولا يحرج صاحب الدعوة من ناحية أخرى ، عن أبى مسعود البدرى قال : دعا رجل النبى ﷺ لطعام صنعه له خامس خمسة فتبعهم رجل ، فلما بلغ الباب ، قال ﷺ : « إن هذا تبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع قال : بل آذن له يارسول الله » متفق عليه .

٢٨ــ التواجد بين الناس

● بمعنى أن يكون هناك وقت للناس ومخالطتهم والبحث فى مسائلهم ، والعمل على وضع حلول لمشاكلهم ، وكان شعار النبى ﷺ العملى : (الناس أولاً) عن كعب بن مالك قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ثم يقعد ما قدر له فى مسائل الناس وسلامهم » البخارى .

● والتواجد بين الناس يجعلك قريباً من نفوسهم ، حبيباً إلى قلوبهم ، خاصة إذا كنت بينهم طبيعياً بمعنى تعيش عيشهم ، دون تصنع أو تكلف ، وتكون كأحدهم دون تميز أو علو ، عن أنس يقول : بينما نحن مع رسول الله ﷺ جلوس فى المسجد إذ دخل رجل على جمل فأناخه فى المسجد وعقله ثم قال : أيكم محمد ؟ ورسول الله ﷺ متكئ بين ظهرانيهم ، فقلنا له : هذا الأبيض المتكئ .

● وبالتواجد بين الناس ، يرون فيك القدوة ، التى تسرى فى مشاعرهم ، إذ كيف يتأثرون بك وأنت في برج عاجى ؟ أو يحيط بك حراس ؟ ليطردونهم ؟ وهكذا كان حال النبى ﷺ لا يمنعه زحام الناس أن يتواجد بينهم يروى عبد الله بن عامر يقول : رأيت رسول الله ﷺ يرمى الجمرة على ناقة شهباء ، لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك (صحيح رواه الترمذى) .

والمعنى : لا يوجد حراس يطردون الناس أو يضربونهم أو يباعدون بينهم وبينه .

● والتواجد بين الناس يجعل بينك وبينهم حساسية خاصة ، تمنعهم من الوقوع فى المحظور حينما يرونك بينهم يقول عبد الله بن مغفل رضي الله عنه : كنا محاصرين قصر خيبر فرمى إنسان بجراب فيه شحم فنزوتُ لآخذه (أسرعتُ) فالتفت فإذا النبى ﷺ فاستحييت منه » البخارى .

● والتواجد بين الناس يتيح لك ، فرصا كثيرة كنصرة المظلوم ، والأمر بالمعروف ، والنصح للمسلمين ، عن أبى مسعود البدرى قال : كنت أضرب غلاماً لى بالسوط ، فسمعت صوتاً من خلفى : « اعلم أبا مسعود ، فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا منى إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول : أعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك علي هذا الغلام فقلت : يارسول الله هو حر لوجه الله تعالى » مسلم .

٢٩ـ المشى إلى المساجد

● الخطوات إلى المسجد ، هى خطوات فى الجنة ، كلما غدا أو راح صاحبها أعد الله له نزلاً فى الجنة ، عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلاً كلما غدا أو راح » متفق عليه .

● الخطوات إلى المساجد ، خطوة تمحو خطيئة ، وأخرى ترفع درجة ، فالخطوات آلة للتطهير وللتقريب ، للتنقية والترقية ، عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « من تطهر فى بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ، ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة » رواه مسلم .

● الخطوات إلى المسجد ، كلما كانت طويلة كُتب لك ممشاك إلى المسجد ورجوعك ، وهكذا كان رجل من الأنصار أبعد بيتا عن المسجد ولا تخطئه صلاة ، يقول : ما يسرنى أن منزلى إلى جنب المسجد إنى أريد أن يكتب لى ممشاى إلى المسجد ورجوعى إذا رجعت إلى أهلى ، فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله » رواه مسلم .

● الخطوات إلى المسجد ، بشارة لصاحبها بالنور التام يوم القيامة ، عن بريدة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » رواه الترمذى .

٣٠ـ إنظار المعسر

● من تقلبات الحياة بالناس ، أن تجعل الموسر معسراً ، ولذلك دعا النبى ﷺ إلي هذه الفكرة العملية التى لا ينساها لك المعسر من الناس ، ولو علم الناس ما فى هذا العمل من أجر ونجاة لأخذوا يبحثون فى أوراقهم على المعسرين ليس ليطالبوهم بالحق وإنما ليتجاوزوا عن حقهم ، وهنالك يتجاوز الله عنك ، وهذه قصة رواها النبى ﷺ لأصحابه ، عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كان رجل يداين الناس وكان يقول لفتاه : إذا أتيت معسراً فتجاوز عنه ، لعل الله أن يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه » متفق عليه .

● وبالتنفيس عن المعسر ، كأن ترجئ حقك ، أو تضع بعضه عنه ، أو تسقطه من عليه ، كل وفق درجة إعساره ، ينجيك الله من كرب يوم القيامة ،

عن أبى قتادة قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة ، فلينفس عن معسراً أو يضع عنه » رواه مسلم .

● وقد يكون موسر اليوم هو معسر الغد ، أو العكس ، ومن العقل أن ينتبه الإنسان إلى حاله وينظر في نهاية أمره ، فيعمل من أجل يتقى بفعله حساب يوم القيامة ، وهذه قصة رجل موسر فى الحساب يوم القيامة يحكيها النبى ﷺ عن أبى مسعود البدرى قال رسول الله ﷺ حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شئ ، إلا أنه كان يخالط الناس ، وكان موسرا ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل : « نحن أحق بذلك منه ، تجاوزوا عنه » رواه مسلم .

● وبإنظار المعسر يستطيع الإنسان أن يظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أنظر معسراً أو وضع له ، أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » الترمذى : حسن صحيح .

٣١ـ إعانة الرجل على دابته

● وقياساً على الدابة اليوم أى نوع من المواصلات سواء كان سيارة أو أتوبيس ، وهى ما يمتلكه اليوم الناس في المدن ، وما زالت الدابة تستعمل كما فى الريف كالحصان أو الحمار ، أو الجمل في الصحراء ، وإعانته تبدأ من تعليمه كيف يقود مواصلته ، وكيف تكون سلسة معه ، وكيف يضمن لها الاستمرار ، إن أصابها مكروه ، فكثيراً ما يحدث ما يعطل المواصلة عن السير ، فإعانتك لصاحبها وهو فى هذا الموقف الذى يرثى له لا ينساه لك ، ويحدث علاقة حميمة قد تستمر زمنا طويلا ، مع أن اعانتك قد تكون هينة ويسيرة جداً ، ولكنها تعظم وتكبر لعظم الموقف وخطورة الانفعالات المصاحبة له .

● وفى حديث جرير قوله : ما حجبنى النبى ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآنى إلا تبسم فى وجهى ولقد شكوت إليه إنى لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدرى وقال : « اللهم ثبته واجعله هاديا مهدياً » البخارى .

٣٢ـ إعانة الرجل فى حمل متاعه

● متى يحمل الرجل متاعه ؟ إنها أوقات فى الحياة تمر علينا جميعاً ، يكون فيها أحدنا بحاجة شديدة لمن يخفف عنه ويعاونه ، حتى بعد أن أصبح حمل

المتاع مهنة يرتزق منها البعض ، إلا أن مبادرتك لمعاونة أى فرد يحمل متاعه ، ستظل لحظة فى حياته لا ينساها لك ، وكم من علاقات وصداقات وروابط كان من أسبابها أنك عاونت رجلاً فنقلته إلى مشاعر جديدة وإحساس جديد .

● أما عن هذه الأوقات فهى متكررة فى يومنا من قدوم جديد من الجيران أو زملاء العمل ، أو انتقال أحد أقاربنا من مكانه إلى مكان آخر وكذلك أصدقائنا أو جيراننا أو زملائنا ، وهناك أوقات طبيعتها حمل المتاع كالسفر والتواجد فى الموانى أو المطارات أو المحطات هذا بالإضافة للحركة اليومية العادية لكل منا كالقدوم من الأسواق أو البيع والشراء ، وفى كل هذا دلالة على إتساع تطبيق هذا الفكرة فى المجتمع .

● وفى هذه المبادرة للإعانة تنشرح الصدور وتفتح مغاليق القلوب ، ويكون الإنسان غارقاً فى بحر من المشاعر والعواطف ، تستطيع وقتها أن ترتبط بعلاقة ورابطة قوية ، وفى هذا الجو لا ينفع أبداً التصنع الكاذب أو المبادرة الكلامية أو معسول الأقوال ، لأنها مجال عملى يتلخص فى (حمل المتاع عنه) فى صفاء وبشر وحب وإرادة وتطبيق ، سرعان ما ينتقل إلى مشاعره وهذا هو سر التأثير .

● ولكى يكتمل الأجر فى هذه الحركة لا نفرق فيها بين غنى أو فقير ، أو بين مشهور أو مغمور ، أو بين صغير وكبير ، أو بين قريب وبعيد ، أو بين صديق وزميل ، أو بين معروف وغريب ، لأنها تقصد إعانة الرجل من حمل متاعه ، أى رجل يحمل متاعه ، لقد وفد إلينا مجموعة من الأصدقاء يحملون متاعهم فأقبل البعض منا على المشهور منهم يرحبون به ويتسابقون فى حمل متاعه وأقبلت على الغير مشهور فيهم بنفس قوة الترحيب وبنفس المبادرة فى حمل متاعه ، ففوجئت بعدها بأن أحدهم يقول لى : إنى أحبك والسبب فى ذلك ترحابك بى وحمل متاعى ، فضحكت إذ أننى لم أبذل أمراً عظيماً فخماً ، ولكنه كان فى نفسه كذلك !!!

٣٣ـ الوجه الطلق

● عن أبى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق » رواه مسلم .

والوجه الطلق يعرف من أساريره المنفرجة ، والنور الذى ينبعث منه ، والسرور الذى يبرق ، والدخول إلى القلوب بدون استئذان ، يروى كعب بن

مالك : « كان رسول الله ﷺ إذا سرّه الأمر استنار وجهه كأنه دارة القمر » البخارى .

أما عائشة التى حظيت كثيراً بالوجه النبوى الطلق تقول عن دخول النبى ﷺ : « إن رسول الله ﷺ دخل مسروراً تبرق أسارير وجهه » البخارى .

● والوجه الطلق ليس فقط المبتسم ، إنما الابتسام جزء من الوجه الطلق ، ولذلك أوصى النبى ﷺ أن يكون الوجه الحسن من صفات السفراء والمندوبين عنك فى قضاء حاجاتك عن أبى هريرة قوله ﷺ : « إذا بعثتم إلىّ رسولاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم » الطبرانى وصححه الألبانى .

● والوجه الطلق هو حديث إلى القلب دون كلام وكلام إلى النفس دون حروف ، لأنه من لغة المشاعر التى هى أرقى وأرق لغة فى الوجود كله ، ولن يتحقق ذلك إلا بالصدق ، الذى ينبعث أساساً من داخلنا ، من داخل قلوبنا وعواطفنا ، فما يراه الناس فى وجوهنا إلا ترجمة لما فى داخلنا ، يحكى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قائلاً : « وكان إذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه » .

● والوجه الطلق هو رسالة حب يقرأها الأمى قبل المثقف ، والصغير قبل الكبير ، لابد أن ترفرف فى أسرنا مع زوجاتنا وأولادنا ، فى أعمالنا ومع زملائنا ، فى أقاربنا ، فى أصحابنا ، فى الناس جميعاً .

٣٤ـ أداء الأمانة

● يقول تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ النساء / ٥٨ .

عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الاخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت » متفق عليه ، والوكت هو الأثر اليسير .

● فإن كانت الأمانة هى الأساس وهى الأصل فى القلوب ، فعلينا رعايتها ، والرعاية الحقيقية لها بأدائها كما ينبغى وكما أمر الله تعالى ، والأمانات مع الناس فى يومنا كثيرة غير المال ، أمانة السر ، وأمانة المجالس ، وأمانة الحقوق ، وأمانة الكلمة ، وأمانة العهد ، وعكسها الخيانة وهى من خصال المنافق أعاذنا الله وإياكم منه .

٣٥ـ الوفاء بالعهد

● عن جابر رضي الله عنه قال : قال لى النبى ﷺ : (« لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا » فلم يجئ مال البحرين حتى قبض النبى ﷺ فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر رضي الله عنه فنادى : (من كان له عند رسول الله عدة - وعد - أو دين فليأتنا ، فأتيته وقلت له : إن النبى ﷺ قال لى كذا ، فحثى لى حيثة - غرف لى من المال بيديه - فعددتها فإذا هى خمسمائة فقال لى : خذ مثليها) متفق عليه .

● وحينما يعرف الإنسان فى مجتمعه ومع الناس بالوفاء بعهده وإنجاز ما يعد به ، يحبه الناس ويلجئون إليه ويقدرونه ، ويصبح محل احترامهم الدائم ، وبذلك يشق طريقه إلى مشاعرهم وقلوبهم فى يسر وسهولة .

٣٦ـ الصبر على الأذى

● احتمال الأذى والصبر عليه ، يفتح الأبواب وإن أغلقت ، وعلى الإنسان أن يوطن نفسه على الأذى من قبل الناس ، وكيفية احتماله ، وتجرع مرارته ، عن أبى هريرة أن رجلا قال : يارسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى ، وأحسن إليهم ويسيئون إلىّ وأحلم عنهم ويجهلون علىّ ! فقال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تُسفهم الملّ ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم ما دُمت على ذلك » رواه مسلم .

فكأنما بصنعك هذا تطعمهم الرماد الحار والله معك يؤيدك عليهم ، فكما يصاب آكل الرماد بالألم كذلك هم بما يكتسبون من الإثم بتقصيرهم فى حقك وإدخالهم الأذى عليك .

● وكما يأتيك الأذى من أقرب الناس إليك ، فقد يأتيك من الغريب وأنت تمشى بين الناس وهذا ما حكاه أنس : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ فأدركه اعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته ثم قال : يا محمد مُر لى من مال الله الذى عندك فالتفت إليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء » متفق عليه .

يقول تعالى : ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ الشورى / ٤٣ .

● ومن أقسى أنواع الأذى أن تصاب فى نيتك وأنت المخلص ، فقد قسم



رسول الله ﷺ قسماً فقال رجل من الأنصار : إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله ، فذكرت ذلك للنبى ﷺ فاحمر وجهه وقال : « رحمة الله على موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر » متفق عليه .

فهل أنت على استعداد أن توجه السهام إلى إخلاصك فتصبر وتحتمل ؟ .

٣٧ـ أن تعفو عمن ظلمك

● عن عائشة : ابتاع رسول الله ﷺ جزوراً (بعيراً) من أعرابى بوسق (قدره ستون صاعاً) من تمر الذخيرة (نوع من التمر) فجئ إلى منزله فالتمس التمر فلم يجده فى البيت قال : فخرج إلى الأعرابى فقال : « يا عبد الله إنا ابتعنا منك جزورك هذا بوسق من تمر الذخيرة ونحن نرى أنه عندنا ، فلم نجده ، فقال الأعرابى : واعذاره واعذراه ، فوكزه الناس وقالوا : لرسول الله ﷺ تقول هذا ؟ فقال : دعوه » رواه أحمد فالأمر خطير ، إذ أن الأعرابى نصب من نفسه قاضياً فحكم ، بما يسير مع هوى نفسه ، مع أن الأمر قد أوضحه له النبى ﷺ ، ولو لم يوضحه لكان يكفيه أنه رسول الله ﷺ ، الصادق الأمين ، فلما وكزه الناس قائلين له : لرسول الله ﷺ تقول هذا ؟ ماذا يفعل حكام ووزراء ووجهاء الناس اليوم ؟ إن قيل لهم ، واعذراه ، يا أصحاب العذر العظيم ، يا غادرون ، لفعلوا والله العجب ولفتحوا السجون تستقبل القائل وأهله ومعارفه ومن ليس يعرفهم !! .. لكنه المصطفى ﷺ الأسوة في العفو عمن ظلمه هو الذى يقول : « دعوه » اتركوه خلّوا سبيله .

٣٨ـ نصرة المظلوم

لقد سبق التحدث عن هذه الفكرة ، وأن الله تعالى يأخذ للمظلوم من الظالم ، فقد روى ابن عباس ابن مرداس السلمى عن أبيه أن النبى ﷺ دعا لأمته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب : « إنى قد غفرت لهم ما خلا الظالم فإنى آخذ للمظلوم منه » رواه ابن ماجة .

ولذلك أراد الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز أن يختبر ابنه عبد الملك وكان مثالاً للتقوى والجهر بالحق ورد المظالم ونصرة المظلوم ، سأله أبوه في رأيه حول بعض مظالم أقاربه قائلاً : ما ترى فى هذه الأموال التى أخذها بنو عمنا من الناس ظلماً ؟ وقد حضر أصحابها وجعلوا يطلبونها وقد عرفنا حقهم

فيها ؟! فقال : أرى أن نردها إلى أصحابها ما دمت قد عرفت أمرها ، وإنك إن لم تفعل كنت شريكا للذين أخذوها ظلما ، فانبسطت أسارير عمر وارتاحت نفسه وزال عنه ما أهمّه .

وهكذا كان الاطمئنان الأبوى على انتقال الأفكار النبوية العملية للأبناء ، والتزام الأبناء بالسلوك النبوى الراقى فى التعامل مع الناس خاصة المظلومين .

مما دفع وزير عمر عبد العزيز إلى قوله : (لم أر والداً قط ولا ولداً مثلهما يرحمهما الله) .

٣٩- التبشير والتهنئة

● هذه الفكرة النبوية ، كم جعلت القلوب تجتمع حول رسول الله ﷺ وترتبط به فى حب جميل وعاطفة راقية ، ولم تكن خاصة بأسرته وأصحابه فحسب ، بل إنها امتدت لكل مسلم سواء كان معروفاً أو غير معروف فقد بشر خديجة ببيت فى الجنة « متفق عليه » ولما وقف أبو موسى الأشعرى عند باب بئر أريس قائلاً : لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم ، فلما استأذن أبو بكر ، أذن له النبى ﷺ وقال لأبى موسى : « ائذن له وبشره بالجنة » وهكذا قال لعمر ثم عثمان ، متفق عليه .

● وامتد التبشير إلى كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، حينما قال النبى ﷺ لأبى هريرة : « اذهب بنعلى هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستقيناً بها قلبه ، فبشره بالجنة » رواه مسلم .

وبعد توبة الله عن كعب بن مالك ، هنأ النبى ﷺ كعباً وبشره بتوبة الله عليه ، ووجهه يبرق من السرور .

● وقد تنوعت اليوم أساليب ووسائل التبشير والتهنئة ، من برقية أو تليفون أو رسائل الكترونية أو رسائل بالمحمول إن كنت بعيداً ، أما إن كنت قريباً فأفضل الوسائل بالمقابلة والزيارة وما أكثر المناسبات فى حياة الناس التى تحتاج إلى المبادرة والإسراع ليحظى الإنسان بأن يكون أول من يتحرك بالبشارة فلا تُنسى له أبداً .

٤٠- المجالس القرآنية

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله : « ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة،

وغشيتهم الرحمة ، وحفظتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم .

وهذه الفكرة تقرب الصلات بين الناس وتربطهم بأعز رباط فى الوجود ، يتلون كلام الله ، يلتفون حوله ، ويتدارسونه فيما بينهم ، يقرءون تفسيره ويقفون عند أوامره ، ويتدبرون دروسه وعبره ، ويتفقون فيما بينهم على الابتعاد عن نواهيه ، إلا وعاشوا فى دنيا أخرى من السكينة والرحمة والرعاية والعناية والحفظ وأصبحوا مشهورين فى السماء عند الله تعالى .

● وما أروع أن يجتمع الفرد إلى الفرد ، لا يجمعهما إلا القرآن ، عن ابن مسعود قال : قال لى النبى : « اقرأ علىّ القرآن فقلت يارسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال : إنى أحب أن أسمعه من غيرى ، فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ قال : حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان » متفق عليه .

فهذا خير اجتماع الفرد بجاره أو صاحبه أو زميله أو قريبه .

٤١ـ صلاة الجماعة

● فى المسجد يجتمع الجيران والأصدقاء والأقارب ضيوف على الله تعالى ، يجتمعون فى رياض الجنة على الأرض ، فيتعارفون وتزداد الصلات بينهم ، وربما كان فى المحافظة الدائمة على صلاة الجماعة أن تنطلق كل هذه الأفكار النبوية بسلاسة ويسر ، ولذلك رغب فى ذلك النبى ﷺ فعن ابن عمر قوله ﷺ : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » متفق عليه .

وفى لفظ البخارى عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين ضعفاً » .

● يكفى أنها طاردة للشيطان عن أهل الحى أو الشارع أو القرية ، وبذلك يقوى الناس باجتماعهم وتعاونهم عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله يقول : « ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ، فعليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية < البعيدة > » رواه أبو داود باسناد حسن .

● ولسد الطريق إلى النفس أن تأتى إليها صفات المنافقين ، شدد النبى ﷺ فى حضور الفجر والعشاء فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « ليس صلاة

أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً » متفق عليه .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » رواه مسلم .

٤٢ـ صلاة الضحى

● عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يصبح على كل سُلامى (مفصل) من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أرقد » متفق عليه .

● فصلاة الضحى تجزئ عن صدقات كثيرة أنت في حاجة إليها ! وصلاة الضحى ركعتان كانتا من وصية الخليل ﷺ لأبي هريرة ، واليوم وقت الضحى يأتي في وقت تتزاحم فيه أشغال الناس ، ويكونون في أمس الحاجة لقضاء حوائجهم بنفس هادئة ، وقلب قد تزود من لقاء ربه ، فربما كان ذلك سبباً في توفيق الله للأمور ، وتيسيره للأحوال ، وفتح القلوب وإقبال الناس ، فتقضى الحاجات ، وتحل الأزمات وتحل البركات .

٤٣ـ سماحة التقاضي

لقد أردنا في كتاب (المشاعر المؤثرة) تفصيل هذا الموقف النبوي الذي حكاه أبو هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ له ، فهم به أصحابه فقال رسول الله ﷺ : « دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً » ثم قال ! : « اعطوه سنا مثل سنه (جملا في عمر جمله) قالوا : يارسول الله لا نجد إلا أمثل من سنه (أي أكبر وأفضل) قال : اعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء » متفق عليه .

وبتطبيق هذه السماحة النبوية وهذه الفكرة العملية ، تنتشر الرحمات في المجتمع ، عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « رحم الله رجلا سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » رواه البخاري .

فلو فقدت هذه السماحة في التقاضي ، ولو فقدت هذه السماحة في

المجتمع ، وحل محلها سوء التقاضى بدلاً من حسن التقاضى لهمّ الناس بعضهم ببعض وضاعت الحقوق وأغلقت الأبواب التى تصل المجتمع بعضه بعضا ، وانتشرت الكراهية فى القلوب ، وتقطعت الأواصر ، وضاعت الأوقات والساعات فى أقسام الشرطة وأروقة المحاكم !! .

٤٤ـ تعليم الحكمة

● عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : « لا حسد ‹غبطة› إلا فى اثنين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ‹ وجوه الخير › ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » متفق عليه .

وهكذا أجاز النبى ﷺ للإنسان أن يتمنى مثل هذا الرجل ، الذى يعلم الناس الحكمة ، وذلك من أجل أن يتنافس الناس فيما بينهم ، على العمل بالحكمة ونشرها .

● ومن تشبيهات النبى ﷺ البليغة لصاحب الحكمة والعلم والهدى أن يكون مثل الغيث الذى قبلته الأرض ، فأخرجت الزرع فنفعت الناس ، لأنه عَلِم وعلَّم ، عن أبى موسى قال : قال النبى ﷺ : « مثل ما بعثى الله من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة : قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان فيها أجادب ‹ أرض صلبة لا تشرب الماء سريعاً › أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان ‹ جمع قاع وهى الأرض الملساء التى لا نبات فيها › لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ » ثم يقول ﷺ : « فذلك مثل من فقه فى دين الله وفقه ما بعثنى الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ‹ كناية عن شدة جهله › ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » متفق عليه .

● وفساد الناس ليس بانتزاع العلم فيما بينهم ولكن بقبض العلماء ، فماذا يحدث بين الناس إذا لم يكن بينهم عالمٌ ؟! يقول عبد الله بن عمرو بن العاص : سمعت رسول الله يقول : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما ، اتخذ الناس رءوساً جهالاً فسُئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » متفق عليه .

وهكذا تتلخص هذه الفكرة فى التسابق إلى العمل بالحكمة ونشرها بين الناس ، فيعم بها النفع ، حتى لا يأتى من يضل الناس بفتاوى جاهلة مضلة ، إذا لم يبق فيهم عالم ينشر الحكمة فيما بينهم .

٤٥ـ الدعاء بظهر الغيب

● إذا أردت حقاً أن تعيش فى حالة هادئة وساكنة ومطمئنة ، فادعو لغيرك دون أن يعلم ذلك ، أو يسمعه منك ، وهذا هو الدعاء بظهر الغيب ، لجارك أو زميلك أو أقاربك أو أحد أفراد أسرتك ، وهذا أمر مجرب ، يعود بالفائدة على الناس جميعاً ، ويزيد من حبك وثقتك بالآخرين ، حينما تستحضر أشخاصهم وتدعو لهم بالسداد والتوفيق والثبات فى مصائبهم أو النجاح فى أعمالهم ، إنه جو فريد نادر ، يحتاج إلى التطبيق العملى ، حتى تمتلك الإنسان هذه المشاعر الجميلة ، يقول تعالى ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾ الحشر/ ١٠ ، ويقول تعالى : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ محمد / ١٩ .

● يحكى أبو الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل ذلك » رواه مسلم .

وهكذا يعم الخير الجميع ، فالدعوة مستجابة والملك الموكل بالداعى يقول : آمين ويبشره بأن له مثل ما يدعو به من خير للناس ، ما أروعها من فكرة ، لا تكلف الإنسان جهداً ولا مالاً ولا وقتا إلا الصدق مع الله والحرص على الخير للناس جميعاً .

٤٦ـ الرجل فى حياته الخاصة

● **ونقصد بالحياة الخاصة** : عمل الرجل فى بيته ، تعامله مع أطفاله ، تعامله فى انفعالاته ، ذكره للناس ، تزينه وتجمله ، اهتماماته الخاصة بالأطعمة والشراب ، طريقة وأسلوب حياته فى أهله .

قد يتصور البعض أن هذه المواطن أسرار لا ينبغى أن يعرفها أحد ، فهى حياته الخاصة التى لا يطلع عليها أحد وله فيها كامل الحرية الشخصية ، ولكن من جمال الإسلام أن ربط كل أفعالنا بالله تعالى ، فتحولت إلى عبادة ، لأن الله مطلع على خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ولذلك فقد قدم لنا النبى ﷺ الأسوة لكل من أراد حياة خاصة عبادية ربانية ، فهيا معاً نخوض هذه الحياة النبوية الراقية ، التى لم يكن لحظة من ساعات الليل والنهار بمنأى عمن حوله من الذين فى بيته أو خارج بيته .

● **أما في بيتـه** : يقـول الأسـود سـألت عـائشـة رضـى الله عنهـا كـيف كـان رسـول الله ﷺ يصنع في أهله ؟ قـالت : « كـان فى مـهنـة أهله فـإذا حضـرت الصلاة قام فصلى » رواه الترمذى وقال حسن صحيح .

فكلمـا تواجـد فى البـيت كان فى مـهنة أهله ، وتفسـر ذلك عـائشة حينمـا سئلت : كـيف كـان رسـول الله ﷺ فى بيتـه فتـقـول : « كـان يعـمل كـعـمل أحدكم في بيته ! يخيط ثوبه ويخصف نعله » رواه أحمد .

● **أما تعامله فى انفعالاته** : تقول عائشة : « ما ضرب النبى ﷺ امرأة قط ولا ضرب خادماً قط ولا ضـرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، ولا ينل منه فانتقم من صاحبه إلا أن تنتهك محارمه فينتقم » متفق عليه .

وعن أنس قال : لم يكن رسول الله ﷺ سباباً ولا فحاشا كان يقول لأحدنا فى المعتبة : « ماله تربت يمينه » .

● **أما تعامله مع أطفاله** : يروى أنس : « ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ وكـان استرضع لابنه إبراهـيم فى أقصى المدينة وكـان زوجهـا قينا ‹ حـداداً › فيـأتيه الغلام وعليه أثر الغبـار فيلتزمه ويقبله ويشـمـه » متفق عليه ، فعجبت من آباء ينهرون أبناءهم لظروف خارجة عن إرادتهم فى ملبسهم أو شكلهم .

● وعن ذكـره للناس في بيتـه : تقـول عـائشـة : « كـان رسـول الله ﷺ إذا بلغه عن رجل شئ لم يقل له : قلت كـذا وكـذا بل قال : ما بال أقـوام يقولون كذا وكذا ؟ » رواه البخارى .

● **أما عن تزينه وتجمله** : يقول عمر بن الخطاب : « رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وعليه جبة شامية ضيقة الكمين » رواه مسلم ، وفى رواية عن المغيرة : « وعليـه جبة رومـيـة ضيـقـة الكم » وفى رواية البـخـارى : « خـرج النبى ﷺ  وعليه حلة حمراء مشمرا » .

وعن جـابر بن سـمـرة قـال : « رأيت النبى فى ليلة أضـحـيـان وعليـه حلة حـمـراء فـجعلت أنظر إليـه وإلى القـمـر فلهـو أحـسن في عـينى من القـمـر » الترمذى : صحيح .

وفى مسلم تقول عائشة عن كيفية خروجه متزينا من بيته : « خرج رسول الله ﷺ ذات غداة إلى المسجد وعليه مرط ‹ كساء › مرحّل ‹ موشى › منقوش عليه رحال الإبل من شعر أسود » .

● **أما عن اهتماماته بالأطعمة** : « فكان يحب العسل والحلوى كما قالت

عائشة » البخارى ومسلم ويقول أنس : « كنت أسقى النبى ﷺ فى هذا القدح اللبن والعسل والسويق والنبيذ ‹ التمر فى الماء › والماء البارد » مسلم .

وكان لا يفرض أو يمنع طعاماً عن الناس ، فعن ابن عباس قال : (أهدى لرسول الله ﷺ سمن واقط وضب فأكل السمن والأقط ثم قال للضب : « إن هذا الشئ ما أكلته قط فمن شاء أن يأكل فليأكله » ، فأكل على خوانه) متفق عليه .

ويقول أنس : (أن النبى ﷺ كان يجمع بين الرطب والبطيخ) قال مسلم : وربما قال : الخربز .

● **أما عن أسلوب حياته الخاصة** : عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « اللهم اجعل عيش آل محمد قوتاً » متفق عليه ، القوت : ما يكفى حاجتهم دون زيادة ، ولذلك كان أنس يقول : (ما أكل رسول الله ﷺ خبزاً مرققاً حتى مات » البخارى .

ومع ذلك يقول أنس : (أن النبى ﷺ كان لا يسأل شيئا إلا أعطاه) رواه مسلم .

● **وبذلك امتلك الشباب الدائم** : عن أنس أنه قال : (أن النبى ﷺ قبض وليس في رأسه ﷺ عشرون شعرة بيضاء) البخارى .

● **والسر فى كل ذلك** : تجافيه عن الدنيا وإقباله على الآخرة ، بل كما قال النبى ﷺ بنفسه عن أنس : « إنى بعثت أنا والساعة نستبق » متفق عليه ، فهذا هو السباق الحقيقى ، فمن ذا الذى يريد أن يتأس فى حياته الخاصة بأرقى وأحسن وأنظف حياة ؟! أين المتسابقون ؟ بل أين السباقون ؟ هذا هو ميدان التسابق فاستبقوا !! وبهذه الفكرة النبوية تزال عن أذهان الكثيرين مازينه الشيطان بأنك حر فى حياتك الخاصة ، لأن أحدا من الناس لا يراك ناسين أن حياتنا كلها عبادة ، فتراه فى بيته سلطاناً يامر ويشجب ولا تسمعه إلا شتاماً سباباً عيّاباً فحاشاً ضراباً منتقماً لا يحن على أطفاله فيتأفف منهم ، ولا يلتزمهم ولا يقبلهم ولا يشمهم ، ولا ينطلق لسانه إلا فى غيبة الناس وذكر مساؤهم ، كأنه يغمر بيته بالمعاصى ، وهو صاحب العيوب ، رث الملبس لا يعرف التجمل ، يبحث عن التخمة وأنواع الطعام الرقيق ، ولا يعطى أحداً ، فأنى له السعادة ؟ أو أن يعيش شاباً دائماً كما كان النبى ﷺ ؟!! .

٤٧ـ استقبال الزائرين من الشباب

● (الشباب مستقبل المجتمعات ، ومتى تم إعداده وتهيئته نتنبأ لهذه المجتمعات بمستقبل مشرق وضاء) هذه العبارة كان كثيراً ما يرددها مدير مدرستى الاعدادية ، ومع الأيام ازداد فهمى وإدراكى لمراميها العظيمة حتى عثرت على هذا الموقف النبوى العظيم وهو ﷺ يستقبل الشباب ، ويقيم عنده ، الأيام والليالى ، ينهلون من الإسلام ، ويمارسونه فى أعظم معسكر مع أكمل الأنبياء ، ثم يرجعهم إلى أهليهم بعد هذا الإعداد ليؤدوا رسالتهم ويقوموا بمهمتهم ، عن أبى سليمان مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة ‹ شباب › متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيما رفيقاً ‹ فى رواية رقيقاً› فظن أنا قد اشتقنا أهلنا فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه فقال :

« ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم وصلوا صلاة كذا فى حين كذا ، وصلوا كذا فى حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم » متفق عليه ، وفى رواية البخارى : « وصلوا كما رأيتمونى أصلى » .

● وهذه الفكرة النبوية هى التى تناسب الشباب فى سن متقاربة ، بعمل رحلات وزيارات ومعسكرات ، يتعارفون فيها على رسالتهم فى الحياة ، فتكون كالأساس للانطلاق المكين ، والبناء المتين .

وعلى الإنسان الصالح أن يسعى لتطبيق هذه الفكرة النبوية عن طريق المؤسسات الشبابية كالنوادى الرياضية ونوادى الكشافة والجامعات والمدارس وكل المنتديات الشبابية .

٤٨ـ حفظ اللسان

● حفظك للسان أن تحقق بكلامك المصلحة ، ومتى كان هناك شك فى تحقيقها ، فالصمت أولى ولا تتكلم ،عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخرة فليقل خيراً أو ليصمت » متفق عليه .

وقد سأل سفيان بن عبد الله رضي الله عنه النبى ﷺ قائلاً : يارسول الله ما أخوف ما تخاف علىّ ؟ « فأخذ بلسان نفسه ثم قال : هذا » الترمذى ، وقال : حسن صحيح .

● ومن أحلى ما ينتشر بين الناس التفاءل والفأل الصالح ، عن أنس قال النبى ﷺ : « يعجبني الفأل الصالح ، والفأل الصالح الكلمة الحسنة » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة أنه سمع النبى ﷺ يقول : « لا طيرة وخيرها الفأل قيل : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » رواه مسلم .

● فكم أذل اللسان الكثيرين ، وقادهم إلى الهاوية ، مع أنه عضو حفظه الله فى الفم ، وأغلق عليه الباب ، وجعل له نصيحة يومية كل صباح ، عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان < تخضع وتذل له > تقول : اتق الله فينا ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » الترمذى .

● فلماذا يصرُّ البعض على إفساد الأجواء ، بكلمة لا يلقى لها بالاً ، أو كلمة تثبط الهمم ، أو كلمة فيها حكم على الناس مشين ، وتأمل معى ، هذا المشهد من قصة كعب بن مالك وهو يقول : (قال النبى ﷺ وهو جالس بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يارسول الله حبسه برداه ، والنظر في عطفيه . فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت والله يارسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ) متفق عليه .

٤٩ـ النصيحة الجميلة

● النصيحة هدية ، يتقبلها البعض هكذا ، فرحين بها ، وفى نفس الوقت هى مصيبة المصائب عند آخرين ، فيكرهونك ويؤذونك ويتربصون بك .

● النصيحة سلاح ذو حدين ، فقد يهجوك البعض ، وينشرون عيوبك ، زاعمين إنهم ينصحون ، فتتقطع الأواصر ، وكلا الطرفين يظل على رأيه أنه على صواب ، فأيهما النصيحة وأيهما الفضيحة ؟!.

● ومن أعظم الأمور الاعتدال ، كما تبين لنا مسبقاً ، ومن الاعتدال موافقة الشرع ، فيجوز لك ذكر الآخرين لغرض شرعى لا يمكن الوصول إليه إلا به ، وبالتالى فهو نصح مباح في خمسة أسباب :

١ـ : التظلم :

فنقول : ظلمنى فلان بكذا ، وتقال : لولى الأمر والقاضى ومن له ولاية .

عن عائشة قالت : قالت هند امرأة أبى سفيان للنبى إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطنى ما يكفينى وولدى إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم ؟ قال :

« خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف » متفق عليه .

٢ـ تغيير المنكر :

فنقول : فلان يعمل كذا فازجره ورده عن معصيته وتقال : لمن له قدرة على إزالة المنكر بشرط : أن يكون المقصود منها إزالة المنكر وليس التشهير .

وإلا كانت حراماً .

٣ـ التحذير من الشر :

■ تقال عند المشاورة فى مصاهرة إنسان أو مشاركته أو معاملته أو ايداع مال أو محاورته ولا يخفى المشاور العيوب بشرط نية النصيحة .

■ إذا رأى حكيما يأخذ العلم عن مبتدع أو فاسق فعليه تحذيره بشرط نية التضحية وليس الغيرة أو الحسد .

■ إذا رأى مسئولا غير كفء فى مكانه ينصح لمن له إدارة عليا عليه بشرط النية الصالحة .

عن فاطمة بنت قيس قالت : أتيت النبي ﷺ فقلت : إن أبا جهم ومعاوية خطبانى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع العصا عن عاتقه » متفق عليه ، لا يضع العصا قيل : يضرب النساء .

٤ـ المجاهر بالخطأ :

كالذى يفخر بظلمه ومصادرته الناس وترويعهم وسلب المال وجبايته وإدارة المحرمات ، يجوز ذكره في النصيحة بشرط ألا يذكر عيب آخر غير العيب الذى يجهر به ، عن عائشة أن رجلاً استأذن علي النبى ﷺ فقال : « ائذنوا له بئس أخو العشيرة » متفق عليه .

٥ـ المعروف بلقب :

كالأعمى والأصم والأحول والبغل والحيوان والجحش والأطرش ، كل ذلك يجوز إلا إذا قصد شئ آخر بالنصيحة فذكر الاسم على وجهة النقيض كالاحتقار أو الانتقاص .

● هذا البيان الموجز أورده الإمام النووى ، وعرضناه بتصرف ، ليكون سهلا وميسرا ، وحتى لا يخشى أحد من تطبيق النصيحة ما دام لا يخالف شرعاً أساساً ، ثم تأتى الآداب والفن والأسلوب ، وكل ذلك مكتسب ويرتبط بلباقة وأخلاق الناصح وهو كذلك إن شاء الله ، ولعل قارئ هذا الكتاب من خلال ما عرضناه من صفات الفرد وخصائص الحركة والمهارات ، ما يكون شافيا له ، ودافعاً ومحققاً القصد والغاية .

٥٠ـ توسيع المجلس

● إنها صور مؤذية حقاً للمشاعر ، وقد تترك فى النفس كرها يتجدد ، دون أن يدرى صانعها وتلك مصيبة أخرى ، مشهد من يقيم الآخر من مقعده أو كرسيه أو مكانه أو مجلسه ثم يجلس فيه ! وقد يقيمه قهراً وبطريقة مباشرة أو يقيمه حيلة وبطريقة غير مباشرة ، ظاناً أن فى ذلك منه ذكاء !! وهذا أدهى وأمر !! ولذلك فقد عرض النبى ﷺ هذه الفكرة المعتدلة الوسطية الرحيمة الرقيقة ، فعن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : « لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا » وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه ، متفق عليه . لا إفراط ولا تفريط ، لا نغلق باب المشاعر ولا نفتح باب الرياء والمجاملات والحركات الكاذبة ، فالفكرة فى توسعة المجلس وإفساح مكان للآخرين وعدم استحواذ الأكثر ، فتمتد بنا المشاعر المعتدلة التى تعبر اللحظات بين القلوب بالمودة والحب والصفاء ، ولذلك كان صاحب التجربة يقول : ثلاث يصفين لك ود أخيك (أن تناديه باسمه وأن توسع له فى المجلس وأن لا تتكلف له) وفى رواية (وأن تسلم عليه) .

● لعل الإنفعالات التى تكثر فى مجالسنا ، والتراشق والصيحات والصرخات ، إن فتشنا عن منشئها ، نجده فى مشاعر سلبية تحملها النفس ، فتهاجم بدون فهم بدليل كثرة الاعتذارات ، وقزم المشكلة عند تعقل الأمر !! وتأملت فى ذلك فوجدت أن هذه المشاعر السلبية طازجة أى أنها قد تكونت فى اللحظة فقط ، وبالبحث عن أسباب وجودها وجدتها تتفق وإن تنوعت فى < التفاهة > و <النقص > و < الصغر> ومنها مثلاً :

■ صورة من يأتى متأخراً فيتجه إلى الصف الأول وإلى مكان الصدارة ، والنبى قدم حلا جميلا فى أدب أصحابه ، يقول جابر بن سمرة : « كنا إذا أتينا النبى ﷺ يجلس أحدنا حيث ينتهى » الترمذى : حسن ، فما الضرر فى ذلك ؟ .

■ صورة من يقوم من مكانه بنية العودة لأى سبب أو عذر ، فإذا بأحد القناصة يستولون على مقعده ، فيعود غاضبا ، مما يلجأ البعض إلى تحمل أذى ما أو عدم القيام لقضاء أمر ، حتى لا يفقد مقعده ، وكأننا فى معركة عظمى !! والنبى قدم قاعدة فى ذلك عن أبى هريرة قوله ﷺ : « إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه فهو أحق به » مسلم .

■ صـورة من يفـرق بين اثنين ليـجلس بينهـمـا ، وتتـحـول المجـالس إلى مـشاجرات ومغاضبات ، ثـم كره وقطع صلات ، ولذلك فالنبى حرّم ذلك فى قوله ﷺ : « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » الترمذى : حسن .

وفى رواية لأبى داود : « لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما » ، فالإذن فاتحة للتعارف والتواد والتواصل .

● وليس معنى توسعة المجلس أن يكون بهواً كبيراً أو صالة واسعة ، إنه معنى شعورى فى الأصل ولا يرتبط بمكان واسع أو ضيق ، فالدنيا الواسعة لا تسع متباغضين ، والمكان الضيق يصبح واسعاً بما يحوى من القلوب المحبة لبعضها البعض ، عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خير المجالس أوسعها » رواه أبوا داود صحيح على شرط البخارى .

٥١ـ الترحيب بالقادم

● تنصح الدراسات والتجارب البائع باتباع عدة خطوات لكى يتمكن من عملية البيع وانجازها بنجاح وتعقد لذلك دورات تبذل فى سبيلها الأموال والأوقات ، ومنها التبسم والنظر فى العين والترحاب والمصافحة والتخلى عن مشاكله وهمومه وطلاقة الوجوه وحسن الاستقبال ، وهذا أمر جميل من أجل هدف محدود ، فما بالك بهذه الفكرة النبوية التى تقصد هدفا عظيما غير محدود ، فتتحول إلى عبادة ربانية يعطى صاحبها الجنة ، وتفتح له قلوب العباد ، إنه حسن الرحيب بالقادم ، وإن السلام واجب على من تعرف ومن لا تعرف ، ولا يرتبط ذلك بغنى أو فقير ، بصغير أو كبير ، بعظيم أو مغمور ، لأنها فى الأصل تنبع من نهر العبادة الصافى مع الله تعالى ، تستمد تأثيرها من قلب نقى برئ ، وضمير كله حب ومودة ، ومن أصول الترحيب بالقادم عند رسول الله ﷺ .

١ـ طلاقة الوجه : عن أبى ذر قال : قال لى رسول الله ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق (مسرور) » رواه مسلم .

٢ـ المصافحة : عن أنس قال : قال رجل : يا رسول الله ، الرجل منا يلقى منا أخاه أو صديقه أينحنى له ؟ قال : لا ، قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : لا ، قال : فيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : نعم » رواه الترمذى : حديث حسن .

٣ـ العناق والتقبيل : لمن لهم منزلة خاصة مثل الأنبياء والأشقاء والأصدقاء وغيرهم ، عن عائشة قالت : قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول

الله ﷺ فى بيتى فأتاه فقرع الباب فقام إليه النبى ﷺ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله » رواه الترمذى : حسن .

٤ـ تقبيل الأطفال : وهو ترحيب خاص يناسب أعمار الأطفال ، فيسرون ويفرحون عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قبّل النبى ﷺ الحسن بن على فقال الأقرع بن حابس : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فقال رسول الله ﷺ : « من لا يرحم لا يُرحم » متفق عليه .

٥ـ تقبيل يد الكبير والعالم : عن ابن عمرَ رضى الله عنهما قال فى معرض كلام طويل : « فدنونا من النبى ﷺ فقبلنا يده » رواه أبو داود .

٦ـ التخلى عن همومك : وموقف النبى ﷺ فيه مشهور مع كعب بن مالك حينما رحب به على قدر فرحه وسعادته بتوبة الله عليه ، فكان وجه النبى ﷺ يبرق من السرور أى تفوق على فرحة كعب ، وهكذا يجب أن نكون ! .

٧ـ الترحيب على قدر القادم : من التوجيه النبوى أن تخاطب الناس على قدر عقولهم وليس على قدر عقولنا ، وكذلك للترحيب لغة ومخاطبة على أقدار القادمين ومنزلتهم ، وهذا يرجع إلى لباقة واتساع معرفتك بالناس القادمين ، وهذا ما فعله النبى ﷺفى ترحيبه بمن أرسلتهم قريش للتفاوض معه يوم الحديبية ، وهو مشهور فى السيرة .

وكذلك يكون الترحيب على قدر مشاعر وانفعالات القادمين ، فنسعد لسعادتهم ونحزن لحزنهم ونهتم لاهتمامهم .

٨ـ التوجه إلى الله : واستمداد العون منه وحده هنالك ينطلق قبل قيامك للترحيب نور فى قلب القادم بفتح مغاليق قلبه وأسارير وجهه وأبواب مشاعره ، فيتلقى منك الكلمة أو الحرف أو البسمة أو اللمسة أو الهمسة أو الأحساس كالبذرة السحرية فى أرض من الجنة تحصد ثمارها في لحظتها وتجنى حلاوتها على وقتها .

٥٢ـ الإقبال على المتحدث

● فكرة الانصات للمتحدث هى رسالة واضحة توجهها إلى عقل ونفس وقلب المتحدث ، تقول له فيها : (أنا متفهم تماماً لما تقول ، أنا مدرك تماما لما تعانيه ، أنا متعاطف معك فى مشاعرك ، أنا مؤيد معظم ما تعانيه ، أكمل فى أمان وسلام) فإذا بلسانك ينطلق فى آفاق ، وطلاقه وحرية ، وتعبر عن

مشاعرك بطريقة سحرية ، وتفصح عما تعنيه وترمى إليه فى بلاغة وقوة ، هذا عن حال حديثك ، أما عن قلبك : فكأنه يقول لمتحدثك : (والله إنى لأحبك وأخترتك لصحبتى وصداقتى وزمالتى ، لابد أن أقوى صلتى به وعلاقتى وثقتى به) .

هذا الحوار الرشيق الجميل ، الذى يريح النفس ويضفى على المكان رونقاً وعلى الزمان عبقا ، ما كان ينطلق إلا بإقبالك على المتحدث .

● وتروى كتب السيرة أن النبى ﷺ أنصت لجميع شرائح الناس فأنصت للكافر وقال له : « أفرغت يا أبا الوليد » بعد كلام فارغ لا قيمة له ، ولكنه يحقق قيمة الإقبال على المتحدث ، فكل حديث أو كلام هو عند صاحبه أفضل كلام ، وأصح عبارات وراجح تفكير ، فإن قاطعته أو احتقرته أو قللت من شأنه فتحت باباً جديداً من الانفعال وصنعت مشكلة من عدم ، وربما فى خضم ذلك ننسى الحديث أصلاً وموضوعه .

أما فى مجتمع المؤمنين ، فكان النبى ﷺ لا يتحدث إلا إذا فرغ تماماً متحدثه من كلامه ، وقد سبق عرض الكثير من المشاهد النبوية يسمع فيها إلى الأطفال وإلى النساء وإلى عامة الناس وربما قطع فيها ساعات يسمع ، وما ذلك إلا ليعطينا الأسوة فى الاقبال على المتحدث .

● والاقبال كما رأينا قيمة لا تتوقف على وزن وتقدير الرجال ، أو حجم ومعنى الكلام ، وإنما هى رسالة كما تبين ، من طبع صافٍ مع كل أفراد المجتمع : الصغير كالكبير والفقير كالغنى ، والرئيس كالمرءوس ، والأستاذ كالتلميذ ، إنها قيمة فى البيت وفى العمل وفى الشارع ومع الأقارب والجيران والأصحاب ، فلنجربها وهى لا تكلفنا شيئاً ، نجربها مع البائع ومع البواب ومع الصانع ومع السائق وكل من يتردد على البيت والزائرين وعملاء أعمالنا والموظفين وكل من يتحدث إلينا .

● وكان النبى ﷺ : « إذا التفت إلى متحدثه التفت جميعاً » ولذلك فإن الموقف له تلخيص جميل فى خطوات الإقبال على المتحدث : (أن تقبل بوجهك وتنصت لما يقول وتعى ما يقصده وتعمل بما يقول) ، وهكذا يطمئن الناس ، أنك لا تنصت لترضيهم ، ولا تقبل عليهم كدور تمثيلى تتقنه فى لحظات ثم ينتهى ، بل إنك تحقق ما يطلبه من حديثه أو كلامه .



٥٣ــ إدخال السرور

● إدخال السرور فى نفوس الآخرين ، هو اطمئنانك إلى أنهم مسرورين ، وهى فكرة كسوابقها بالتعود عليها يألفها الإنسان ، فإذا به عند مقابلته للآخرين يبدأ بها ، ولا يترك أحداً يفارقه إلا مسروراً ، وبالتالى فإنها لا ترتبط بحزن أو هم أو كآبة الآخرين ، ولا حتى تعتمد على حزن أو ضيق أو هم فاعلها ، فإنه بفعلها متناسياً تماماً همومه ومشاكله ، لأنها أصبحت سجية من سجاياه وخلق لا يستريح إلا بفعله فهو بسرور الآخرين يكون فى راحة ونشوة وانتعاشة .

● قد يظن البعض أن ادخالك للسرور على الآخرين هو امتلاكك لروح الدعابة وهذا حق فروح الدعابة مهمة فى إدخال السرور ولكنها ليست هي كل الوسائل بل هى إحدى الوسائل المهمة ، فالوجه الذى يبرق سروراً سبب ، وقضاؤك لحاجات الناس سبب ، والكلمة الصالحة التي تحمل التفاءل والأمل سبب ، والتبشير والترحيب سبب ، وبالجملة حتي لا نطيل تنفيذك للأفكار النبوية المعروضة والتى لها صلة بالناس تدخل السرور عليهم ! .

● وأنت مطالب بإدخال السرور فى كل لحظة وكل يوم خاصة على أسرتك : زوجتك وأولادك وقد سبق كيف أن النبى ﷺ كان يدخل على عائشة ووجهه يبرق من السرور !! وكيف كان يلتزم طفله ويقبله ويشمه !! وكيف كانت عائشة تصنع الأشياء خصيصاً لرسول الله ﷺ لتدخل السرور على نفسه !! وبنفس الروح يكون إدخال السرور كذلك على جيرانك وعلى زملائك فى العمل وعلى أصحابك وكل من تقابلهم فى يومك ، والأمر لا يحتاج إلى التعرف على وسائل لأنها تصنع من لباقتك وابداعك ومعرفتك بمن تعاملهم .

● والدعابة لابد منها وهى تنمى حتى لا يزعم أحد أنك لا تمتلك هذه الروح ، فتذكرك للأخبار الطريفة التى تقابل الناس ، وروايتها ، والبحث عنها ، والتواصى بها فى كل لقاء للعائلة ، أو الزملاء أو الأبناء أو الأصحاب ، تتكون لديك ذخيرة طريفة ، وتضفى على الجلسات ألواناً من المرح والفرح والسرور ، والقاعدة النبوية فى ذلك : « كان النبى ﷺ يمزح ولا يقول إلا الحق » .

٥٤ـ تؤنس الوحشان

● الوحشان هو الإنسان حينما تمتلكه مشاعر سلبية من أن الناس قد تخلُّوا عنه ، فالوحدة تجعله يعيش فى وحشة ، فلا أحد يسأل عنه ، أو يقف بجواره ، حيث لا دفء ولا لمسة ولا حنان ولا همسة ولا بسمة ولا ضحكة ، وينقلب الكون من هذه الوحشة إلى صمت وإلى ظلام وإلى حزن ، فتزيد من وحشته ، ولا مفر من هذا الجو العجيب إلا بالأنس والمؤانسة ، وأصل الأنس أن يكون بالله تعالى ، ولو علم أن الله أوحشه من كل شئ حتى يلجأ إليه فى شئ لاستراح ، وكفاه أن يأنس بمن بيده الأمر فهو مصرف الأقدار والأفعال ، وبذلك تتبدد الوحشة إلى أنس ، وتبدأ تتجمع مشاعر إيجابية وتتركز فى قيام من قعود أو نهوض من سبات ، فينطلق حراً طليقاً طارداً هذه الوحشة المدمرة .

● ولكن من يأخذ بيد الوحشان ؟ من يرفعه من كبوته ؟ من يبين له الأنس بالله ؟ إنه الصاحب الحنون الذى يمسح بالحنان ، ويبين بالرفق ، ويعرفه بربه فى ايمان ، من باب العمل بقوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾ وعندما سئل ابن عمر عن البر قال : البر شئ هين وجه طلق وكلام لين .

● ولم يشعر النبى فى يوم من الأيام بشئ من الوحشة من قريش ، مثلما كذبته يوم الإسراء والمعراج ، يقول جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لما كذبتنى قريش قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » رواه البخارى .

فلم يتخلَ الله عنه بهذه المعجزة ، وإنما ليخرجه من وحشته ويأنسه بتأييده وعونه .

● ورضى الله عن الزوجة الصالحة خديجة أم المؤمنين وهى تؤنس رسول الله فتصدقه فى وقت تكذبه قريش ، وتقدم له العون فى وقت يتآمرون عليه ، فلم ينس رسول الله ﷺ فضلها ، حتى من كثرة ذكره لها غارت عائشة منها .

وهكذا الطريق إلى مؤانسة الوحشان فإنه لن ينساك أبداً ، وتظل حيّاً فى مشاعره وإحساسه .

٥٥ ـ تأمين الناس وعدم تخويفهم

● العجيب أن بعض الناس يجعل من تخويف الناس وترويعهم مادة للهو والتسلية ، وهذا أمر خطير حذر منه النبى ﷺ ، بل جعل ما يصل إلى ذلك

سواء كان جاداً أو مازحاً أو ناسياً أو غير مدرك منهى عنه ، حتى أنه نهى عن الإشارة فقط بالسلاح ، وكم من حادثات بالخطأ أودت بحياة الأبرياء ، وللأسف قد يكون ابناً أو شقيقاً أو أباً أو صاحباً ، وهى عادة لابد من أن تختفى تماماً فى التعبير عن الفرحة أو الحزن . . !! .

● عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « لا يُشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدرى لعل الشيطان ينزع فى يده ، فيقع فى حفرة من النار » متفق عليه ، وفى رواية لمسلم قال : قال أبو القاسم : « من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى ينزع ، وإن كان أخاه لأبيه وأمه » .

وذلك حتى لا يتصور البعض أن الأمر خاص بالسلاح ولكن بأى شئ من تخويف وترويع ، مثل حديدة أو عصا أو جنزير أو كرسى ، مجرد الإشارة فقط .

● ولتأمين الناس ووقايتهم نهى النبى ﷺ : « أن يتعاطى الناس مسلولاً » رواه الترمذى : حسن ، أى السيف خارجاً عن غلافه ، ومثله اليوم السكين فى بيوتنا ، وفى أعمالنا ، لتأمين الأسرة ، والعائلة ، والأصحاب والزملاء ، وحتى لا يحدث عواقب لا تحمد ، وهذا من جلال وجمال وكمال العلاقات الحميدة بين الأفراد .

٥٦ــ احترام الناس

● لا شئ يقطع صلتك بالآخرين ، ويعجل بكراهيتك منهم ويتمنون به ألا يلتقوا بك ، ويفرون من أمامك إذا رأوك عارضاً ، ويدعون الله إن تحدثت أن ينتهى حديثك ، غير عدم احترامك للناس ، إنك كالذى يلغم منطقة فيجعلها حقلاً للألغام ، وبقدر المواقف التى لا تحترم فيها الآخرين يكون عدد هذه الألغام القابلة للانفجار بمجرد أى نظرة أو كلمة أو لمسة أو حركة .

● قد لا يأبه البعض لهذه الفكرة فيفقد الكثير وهو لا يدرى ، والاحترام قيمة تنفذ بغض النظر عن حجم الناس أو أروابهم الاجتماعية أو مكانتهم السياسية أو أعمارهم أو ثقافتهم أو أفكارهم وقد سبق أن عرضنا الكثير من المواقف النبوية المؤيدة لهذه الفكرة ، وهذا موقف يحكيه المهاجر بن قنفذ أنه أتى النبى ﷺ وهو يبول فسلم عليه فلم يرد ثم توضأ ثم اعتذر إليه فقال : « إنى كرهت أن أذكر الله إلا على طُهر » صحيح أحمد ، والشاهد فى هذا الموقف هو احترام النبى ﷺ للصحابى حينما اعتذر له مبيناً له السبب الذى

جعله لا يرد عليه السلام !! .

● والاستئذان وعدم إجبار الناس على رأى معين ، والإنصات إلى وجهات نظرهم ، وتقدير مواقفهم وتجاربهم وخبراتهم ، كل ذلك من وسائل احترامهم وتقديرهم .

٥٧ــ الهدية

● تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها .

٥٨ــ القالة بين الناس

● أكثر ما يفسد ترابط العائلات ، وزمالة العمل ، وصداقة الأصحاب ، أن تستجيب الأذن لما يقال ، والأخطر من ذلك فساداً وإفساداً هذا الذى يمشى بين الناس بالقالة التى سمّاها النبى ﷺ « النميمة » وفسرّها بالقالة بين الناس ، لأن من نمّ لك نمّ عليك ، فهو لا يتورع عن الوقيعة بين الناس ، لأن نيته الإفساد والفرقة وإثارة الاختلاف ، عن طريق نقل الكلام بين الناس ، وهي مهمة خسيسة تجعل صاحبها ساقطاً من الأعين ، منبوذاً فى الصلات ، مقطوعاً من العلاقات ، ولذلك فالتثبت والتبين أصل نواجه به النمام ، وقاعدة فى العلاقات تمحق عمل النمامين .

● والنمام لا تهتز مكانته بين الناس فحسب ، بل ينتظر سوء العقاب والنهاية السوداء فى الآخرة ، عن حذيفة قول النبى ﷺ : « لا يدخل الجنة نمّام » متفق عليه .

وقد أوضح النبى ﷺ لماذا هذا العقاب ؟ لأنه قائم على نية الكذب والبهتان والإفساد فخرج يوماً على أصحابه يسألهم : « ألا أنبئكم ما العَضْهُ ‹ على وزن الوَجْهُ والمعنى الكذب والبهتان › ؟ .

هى النميمة القالة بين الناس » رواه مسلم .

فالنمام يقع فى الكذب كما يقع فى البهتان ، وهما من أشر سوس المجتمعات ، الذى تتآكل فيه العلاقات ، وتنهار منه الصلات .

٥٩ــ نقل الكلام إلى الإدارة

● هناك من الناس هواة لهذا الأمر ، وهو نقل الكلام إلى المسئولين فى إى إدارة ، وهى عادة قميئة توغر الصدور ، وتغير النفوس ، وتصيب العواطف فى مقتل ، وهى إن سرت فى داخل الأسرة من أحد الأبناء يجب العمل على علاجها بالبتر لأنها سرطان مدمر ، ومرض فتاك ، وتكثر فى الأعمال وبين الأصحاب ، وقد تظهر بين الأقارب والجيران ، والرجل الذى يفعلها بمرور الوقت عليه يفقد رجولته ، لأنه أصبح أسيراً لما يقول ظاناً أن ذلك يقربه من الإدارة التى فى نفس الوقت تحتقره ودائماً تصغر من شأنه ، لأنه هو يقوم بين يديها بأعمال خسيسة دنيئة ، والعالى دائماً غالى .

● والإدارة النابهة هى التى تكتشف وبسرعة هؤلاء وتمنع هذا السرطان عملياً بعدم الإنصات إليهم ، وزجرهم عن فعلهم ، ونهيهم عن هذا السلوك ، وهكذا كان النبى ﷺ :

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئاً فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » رواه أبو داود والترمذى .

وقد يتصور البعض أن الإبقاء على هؤلاء يزوده بالمعلومات التى تجعله محيطاً بالعمل أو البيت أو العلاقات مع غيره ، وبالتالى تجعله بينهم مهاباً ، وهذا تلبيس من إبليس يقنع به ضعيفى الثقة بأنفسهم وقليلى الخبرة وعديمى التميز ، الذين غالباً ما يلجئون إلى هذا الأسلوب ليغطوا به عجزهم وبدلاً من تطوير امكاناتهم وهذا هو الحل الممتد والنافع لهم يشوهون أنفسهم أمام من دونهم ؟! فإن كانوا يدرون فتلك مصيبة وإن كانوا لا يدرون فالمصيبة أعظم !! بل أصبحت المصيبة مصيبتين !!.

● ولذلك فالأب فى بيته والأم فى عرينها، والمدير مهما كبر أو صغر، والصاحب والجار وكل أفراد المجتمع عليهم أن يكونوا منتبهين إلى العمل على وقف هذا السرطان وملاحقته،وهى فكرة نبوية جليلة الأداء ، مضمونة النتائج .

٦٠ــ صاحب الوجه الواحد

● إن الله قد خلقنا بوجه واحد ، فلماذا يصرّ البعض وهم قلة والحمد لله أن يكون صاحب وجهين ، إنها مقدرة فائقة على التمثيل بل وبراعة عالية على

التشخيص ، فيغير من دمه ولونه وشكله وانفعالات وجهه فى لحظة واحدة ، هذا أمر لا يتحمله أحد ، فكيف بصاحب الوجهين أن يتقنه ؟!! فيأتى هؤلاء بوجه ثم يأتى الآخرين بوجه آخر ؟!! .

● ولم أفهم حديث النبى ﷺ : « تجدون الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا » متفق عليه إلا حينما رأيت صاحب الوجه الواحد ، الذى لا يتغير ولا يتبدل فيه الخلق القويم والشهامة والمروءة والرجولة ، ويزيده الإسلام إشراقاً وبهاءً ، وكما يقولون (على الأصل دوِّر) فعن أصول الناس ومعادنها ابحث ، ولذلك قيل : (إياك أن تخالط إلا مَنْ له أصل يخاف عليه الدنس فالغالب معه السلامة ، وإن وقع غير ذلك كان نادراً) وهذا ما قاله أبو اسحاق للمعتصم حينما شكا له المعتصم أن أخاه نجح أعوانه مع أخيه بينما فشل أعوانه معه ، فقال له : (نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها ، واستعملت فروعاً لا أصول لها فلم تنجب) فقال له : (يا أبا اسحاق مقاساة ما مر بى طول هذه المدة أهون علىّ من هذا الجواب) .

ومن أجل هذا حذّر النبى ﷺ من ذى الوجهين بل عدّه من شر الناس فقال ﷺ : « وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ، وهؤلاء بوجه » متفق عليه .

● والأصل فى ذى الوجهين أن يقول لهؤلاء بخلاف ما يتكلم مع هؤلاء ، وأخطر هذه الصور المشينة ما جاء به جماعة من الناس لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما قائلين :

(إنا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم) قال : (كنا نعدُّ هذا نفاقاً على عهد رسول الله ﷺ) رواه البخارى .

أما صاحب الوجه الواحد ، فكلامه ثابت أمام السلطان وأمام العامة ، أمام الجمع الصغير كالكبير ، فى سفره كما فى إقامته سواء بسواء وهى فكرة ناجحة بكل المقاييس فجربها وأنت مطمئن .

٦١ـ لا تلعن إنساناً أو دابة

● لا أتصور إنساناً ربطتك به علاقات ومودة ، تضطرك الانفعالات فى وقت ما إلى التلفظ بلعنه !! .

ولا أتصور إنساناً ربطته علاقات يومية بدابته فى الريف ، أو سيارته فى

المدينة ، يتنكر تماماً ، لهذه الصلات الحميمة ، فيلعن دابته إن استعصى عليه قيادها ، أو سيارته إن ثقلت عليه فى إدارتها ؟!!! .

● ومن باب الوزر والاثم لشدة الايذاء للإنسان الذى كرمه الله ، فقد غلّظ النبى ﷺ فى عقوبة اللاعن حتى لا تسول له نفسه فعل هذا القبح مرة أخرى ، لأنه يغلق أبواب الرحمن ، ومعنى غلقها فتح أبواب الشيطان فى علاقات الناس من الشحناء والتقاطع التى هى تحلق الدين .

عن أبى زيد ثابت بن الضحاك قول النبى ﷺ : « ولعن المؤمن كقتله < فى الاثم > » متفق عليه .

● وكذلك لتظل العلاقة الدافئة بينك وبين دابتك أو سيارتك أو مواصلتك أياً كانت فى السماء أو الأرض أو البحر ، لا تضجر بها ولا تيئس من إصلاحها وعلاجها ، فأنت تتحرك بها وتصول وتجول بالله تعالى ، والذى سخرها لك وذللها هو الله تعالى ، فحينما ضجرت المرأة من الناقة ويئست من علاجها لعنتها ، فقال النبى ﷺ : « خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة » حتى يقول عمران راوى الحديث فكأنى أراها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد » رواه مسلم .

٦٢ـ لا تسب أحداً مهما كان

ما الدافع لأن يسب أحدنا الآخر ؟ ربما يكون فى موقف غضب ، ربما يكون فى جرم ارتكبه فيستحق عليه السب من وجهة نظر البعض ، ربما يكون فى عقوبة قد تمادى فى إجرامها ، ربما يكون فاجراً مجاهراً بفجره وفسقه ، والسؤال الآن : هل هذه الدوافع طبيعية فى أن يسب الرجل الناس ؟! أرى أن هذه الدوافع كلها ليست بمدعاة للسب فالسبّ خلق عقيم ، يفتح أبواب الشيطان أمام الإنسان للتمادى فى غيه والرد القبيح ، حتى ولو كان فى أوج وأعلى هذه الدوافع ، وهذا ما حدا برسول الله ﷺ ونحن فى معرض الأفكار النبوية ، أن ينبه إلى التحذير منه ، ففى حد شارب الخمر وبعد أن انصرف الرجل قال بعض القوم : (أخزاك الله) فقال ﷺ :

« لا تقولوا هذا

لا تعينوا عليه الشيطان » البخارى .

● إن الواجب علينا فى حال ضعف الناس أن نقف بجوارهم أكثر ، فالشيطان لا يهجم إلا فى حال الضعف ، فمن يعينه ويقوى مناعته ويمده بما

يستطيع به المواجهة ؟ ولذلك فلابد من التثبت جيداً قبل سب أحد أو رميه بصفه مذمومة كالفسق أو الفجور أو النفاق أو المداهنة أو القعود أو الكسل أو الجهل أو الكفر ، لأن النبى ﷺ جعلها ترد على قائلها إن لم تكن فعلاً موجودة فيمن وصفته بها !! وهذا أمر خطير لا يجرؤ عليه إلا عارف متثبت أو أحمق أبله يرمى نفسه بالفسق والفجور !!! .

عن أبى ذر أنه سمع النبى ﷺ يقول : « لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » البخارى .

● وقد يظن البعض أن الميت قد انقطعت صلته بالدنيا ، ولا شيطان يغريه ، ولا يحتاج إلى إعانة ، وهذا فهم مغلوط ، فالميت له حرمته ، وكم من أموات أحياء بين الناس ، وكم من أحياء موتى يتحركون على الأرض ، والإنسان إنما بعد موتة أحدوثة وأسوة ، فالميت لا ينقطع عمله من ثلاث : « صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » فالموتى باتصال عملهم أحياء بين الناس ولذلك نهى النبى ﷺ عن سبهم لقوله ﷺ : لا تسبوا الأموات

فإنهم أفضوا < وصلوا > إلى ما قدموا » البخارى .

٦٣ـ لا تتبع عوارت الآخرين

● قيل : (فى نظرك إلى الناس وأنت تتحدث معهم أنظر إلى أعينهم) . والسر فى ذلك أن العين لماحة فإذا حمل أحد الناس شيئاً فى يده ، فالعين تحدثه وهى تنظر إلى هذا الشئ وهذا أمر يقلقه ، فكى تجعله مطمئناً من ناحيتك أنظر إلى عينيه !! فالعين تقع على السوءات وتسبقك إلى العورات وتكتشف العيوب وتكبر الصغير ، ولذلك فتتبع الأمر دليل على التوغل فيه ، وكلما أوغلت توغلت فيما لا ينفع !! بل فتحت باباً وأبواباً من المفسدة .

● فالناس من عادتهم إخفاء عوارتهم وسوءاتهم وعيوبهم ومساوئهم ، فعليك مساعدتهم فى ذلك لعلاجها بأنفسهم ، هنالك تكبر فى أعينهم وتعظم فى نفوسهم ، ولكن أن تقرأها لتتلوها على كل الناس فتفضحهم فربما جهروا بها ليعاندوك ، فتكون قد أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم . كما قال معاوية أنه سمع النبى ﷺ يقول : « إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم » صحيح أبو داود .

٦٤ـ لا تظهر الشماتة بالآخرين

● الناس إذا نزلت بهم البلايا والمصائب كالشدائد والكوارث والأمراض والفقر والحوادث والموت ، يعملون على سترها بالتجلد حتى لا ينزلون منزلتهم لدى الناس ، وصنف آخر يكتمها حتى لا تتجه إليه أيدى الناس بالشفقة والحنان والرحمة ، أما الصنف الثالث فهو يتحامل حتى لا يشمت فيه الآخرون ممن عافاهم الله من مصائبه وبلواه ، والعاقل ممن يريد صلة تمتد بغيره أن يفهم ذلك لا للشماتة فيما أصابه بل لمساعدته فى تجلده أو تحمله أو تحامله ، عن وائلة بن الأسقع قول النبى ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك » الترمذى : حسن ، وكم لذلك من شواهد فى حياتنا ، يقول أحدهم : (عايرت تاجراً بالإفلاس فأفلست) ، ومثلها : (فرحت بافتقار فلان فافتقرت) .

● وكما لا تظهر الشماتة بالاخرين ، تجلد واصبر وتحمل وتحامل ، حتى لا تشمت فيك الخصوم ، والغيورين والحاسدين ، وهذا ما فعله النبى ﷺ فى يوم مكة وقد أصاب أصحابه الحمى ، فخاف أن يشمت بهم الأعداء وهم يرونهم يسعون فى ضعف حول الكعبة فقال : رحم الله من أظهر من نفسه الجلد فترملوا (الرمل شدة السعى) » .

واستأذنوا على معاوية وهو فى مرض الموت فقال لأهله : أجلسونى ، فقعد متمكنا يظهر العافية فلما خرج العواد أنشد :

وتجلدى للشامتين أريهم
أنى لريب الدهر لا أتضعضع

٦٥ـ لا تغش ولا تخادع

● يقول النبى ﷺ : « من غشنا فليس منا » مسلم ، وهو توجيه من النبى ﷺ لعدم الغش فى كل شئ ، مما يشعر الناس بالأمان والاطمئنان ، وتعلو قيمة الاخلاص واتقان العمل والتعامل مع الله ، وهى أمور لو اختفت من ضمائر الناس حل محلها الفساد ، فى كل دوائر المجتمع .

● والمخادع يسقط من عين الناس ، ويقطعون صلاتهم به ، وتظهر الخديعة فى البيع أكثر من شئ آخر ولذلك يقول ﷺ : « من بايَعْتَ فقل . لا خِلابة » متفق عليه ، والخلابة هى الخديعة .

● وليست هذه الفكرة فى عدم الغش والخداع بل أيضاً فى ألا يخدعك أحد أو يفسد عليك أوقاتك ، أو يغشك أحد ، ولذلك كان عمر بن الخطاب يقول : (لستُ بالخب < الخادع > ولكن الخب لا يخدعنى) .

ولذلك فالذين أيضاً يحاولون خداع وإفساد الناس ، خاصة أقرب الناس إليه ، فليس أيضا من العمل القويم السديد ، يقول ﷺ : « من خبَّب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا » أبو داود ، أى أفسده وخدعه .

٦٦ـ لا تغدر

(إنه غدار فلتحذره) هذه عبارة كثير من الناس يحذرونك من فلان أو علان ، ويؤكدون لك أن كل ما فيه جميل إلا أنه غدار ، وهذا أمر لا يستقيم للإنسان الصالح ، فإن الغادر يأتى يوم القيامة يحمل لواء الغدر ، ويكون الله تعالى خصيمه ، فكيف بمن خصيمه الله هل ينجو من عذاب يوم القيامة ؟ !! .

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : قال الله تعالى : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة :

رجل أعطى بى ثم غدر
ورجل باع حراً فأكل ثمنه
ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه
ولم يعطه أجره » البخارى .

٦٧ـ لا للتعذيب

● مهما كانت مبررات التعذيب ، فإنه عمل لا يليق بإنسان أن يفعله مع نفسه أو مع غيره ، وقد سبق هذا الذى نذر أن يحج مشياً فقال له النبى ﷺ : « إن الله لغنى عن تعذيب هذا لنفسه » فليركب ، فركب .

وقد ابتكر بعض الصحابة تعذيباً خاصاً بأنفسهم بأن يربط نفسه بسارية المسجد ، وآخر أن يواصل الصيام وغير ذلك فنهى النبى ﷺ عن كل ذلك .

أما تعذيب الإنسان للإنسان فهو أمر ممقوت بغض النظر عن ديانته ، عن هشام بن حكيم بن حزام مر بالشام على أناس من الأنباط < الفلاحون من العجم > وقد أقيموا فى الشمس وصب على رءوسهم الزيت !! فقال : ما هذا ؟ قيل : يعذبون فى الخراج وفى رواية : حبسوا فى الجزية فقال هشام :



أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يعذب الذين يعذبون الناس فى الدنيا » فدخل على الأمير فحدثه فأمر بهم فخُلُّوا (تركوا) رواه مسلم .

● ولا يقف الأمر عند الإنسان بل أيضاً الحيوان والطير ، بل لكل ذى روح يقول ﷺ : « لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » متفق عليه .

والغرض : (الهدف الذى يُرمى إليه) .

بل إن الأطرف من ذلك كله الإحسان والرفق بالحيوان قبل ذبحه ، فلا يشار إليه بسلاح ولا يحبس للقتل ويرى غيره يذبح ، عن أنس قال : نهى رسول الله ﷺ أن تُصبر البهائم (تحبس للقتل) متفق عليه .

٦٨ــ غض البصر

● يقول تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ النور : ٣٠ ، ويقول تعالى : ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾ الإسراء / ٣٦ .

والفكرة العملية هى وقاية الإنسان من أخطار كثيرة لا يحمد عقباها ، بسد الطرق إلى الخطيئة خاصة أن نصيب العين والسمع واللسان واليد والرجل والقلب من اللوثات كثيرة ، فإن زادت وانتشرت كان الوقوع فى الخطأ الأكبر ، ولذلك فالنبى ﷺ اختار نموذجاً للزنا وشرح الوقوع فيه ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا ، مدرك ذلك لا محالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخُطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » متفق عليه فلو سد الإنسان ذلك كله بغض البصر ، فإنه لا محالة يبدد هذه الوثات ويجعلها سراباً وأوهاماً فيكذبها أى لا يفعلها .

● وغض البصر حق من حقوق المجالس التى فى الطرقات ، والمقصود بالمجالس التى فى الطرقات ، التى يتحدث فيها الناس ويتذاكرون ويجلسون لأمر غير محرم وليس على محرم ، وهذا واضح فى إجابة الصحابة على سؤاله ﷺ : اجتنبوا مجالس الصعدات (الطرق) فقلنا : إنما قعدنا لغير ما بأس (حرام) قعدنا نتذاكر ونتحدث ، فالنبى ﷺ سمح لهم بذلك بعد أداء حقها من : « غض البصر ورد السلام وحسن الكلام » رواه مسلم .

● وغض البصر قيمة فى بيوتنا مع زائرينا لا فرق فى أدائها بين الرجل

والمرأة ، حتى المرأة مع الرجل الأعمى ، وهذا ما حكته أم سلمة عندما كانت عند ميمونة فأقبل ابن أم مكتوم وكان ضريراً ، فقال لهما النبى ﷺ : « احتجبا » فقلنا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصر ولا يعرفنا ؟! فقال النبى ﷺ : « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » الترمذى : حسن صحيح .

● ولقطع الطريق فى العلاقات والصلات ، للوصول إلى الخطأ ، كانت هناك من القواعد الناجحة ، والمجربة منها، والغير مانعة لاستمرار الصلات :

١ـ عدم الدخول على النساء لأقارب الزوج فى غيابه كأخيه وابن أخيه وابن عمه ، عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : « اياكم والدخول على النساء ؟ فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو ؟ < قريب الزوج > قال : الحمو الموت » متفق عليه .

٢ـ عدم الخلوة بامرأة إلا مع ذى محرم لها كزوجها أو أخيها أو أبيها أو ابنها ، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : « لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم » متفق عليه .

٣ـ عدم خيانة القائم على رعاية البيت فى غيبة لأى سبب كسفر أو عمل أو حج أو دراسة ، وقد حذر النبى من يخلف المجاهدين فيخونه فقال : « ما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين فى أهله ، فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة ، فيأخذ من حسناته ما شاء حتى يرضى ثم التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال : ما ظنكم ؟ » رواه مسلم .

٦٩ـ حسن الكلام

● وكما مر أنه حق من حقوق المجالس فى طرقات الناس ، كالنوادى الرياضية والاجتماعية والحفلات والشواطئ والصالات وردهات الفنادق والقهاوى وما شابه ذلك ، وهى فكرة اجتماعية بحتة ، إذا أن الكلام المنتشر فى مثل هذه الأجواء يسرق بعضه بعضا ، والجميع مجبرون على سماعه **إذ كانت القواعد النبوية فى ذلك واضحة تماماً ومنها :**

١ـ التحدث بكل ما هو حسن وطيب وكريم فى ذوق ولباقة ، ولذلك يروى ابن مسعود قول النبى ﷺ : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ » الترمذى : حسن .

٢ـ التحدث على استحياء فى الصوت والحركة عن أنس قال رسول الله ﷺ : « ما كان الفحش فى شئ إلا شانه < نقصه > وما كان الحياء فى شئ

إلا زانه » الترمذى : حسن .

٣- التحدث بطريقة طبيعية بعيداً عن التنطع أو الميوعة أو إظهار الفصاحة وإبراز البلاغة أو المبالغة فى الأدب أو تصنع القوة عن ابن مسعود أن النبى قال : « هلك المتنطعون » مسلم ، وهم المبالغون فى الأمور .

٤- الابتعاد عن الثرثرة والتشدق والتفيهق عن جابر قول النبى ﷺ : « وإن أبغضكم إلىّ وأبعدكم منى يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون » الترمذى : حسن .

٥- الابتعاد عن الخوض فى وصف محاسن النساء إلا لغرض شرعى كالزواج ، حتى الزوجة فى حديثها مع زوجها عن ابن مسعود قول النبى ﷺ : « لا تباشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها » متفق عليه .

٦- الابتعاد عن التحدث بلغات غير مفهومة للجالسين سواء كانت لغات أجنبية أو لهجات غريبة ، وذلك قياساً على النهى عن تناجى اثنين دون الثالث ، فإن ذلك يحزن الجالسين ويفتح أبواب الشيطان .

٧٠- أدب التحدث سراً

● القاعدة فى ذلك ألا يتحث اثنان ويتركان الثالث فإن ذلك يحزنه ، ويجرح مشاعره ، ويترك أثراً سيئاً ، وحديثاً فى النفس يقوده الشيطان ، مما يوغر الصدور ، ويغلق النفوس ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث » متفق عليه ، قال أبو صالح : قلت لابن عمر ، فأربعة ؟ قال : (لا يضرك) .

وكان ابن عمر ينفذ هذه القاعدة عملياً ، يقول عبد الله بن دينار : كنت أنا وابن عمر عند دار خالد بن عقبة التى فى السوق ، فجاء رجل يريد أن يناجيه ، وليس مع ابن عمر أحد غيرى ، فدعا ابن عمر رجلاً آخر حتى كنا أربعة ، فقال لى : وللرجل الثالث الذى دعا : استأخرا شيئا ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يتناجى اثنان دون واحد » .

● وتطبيق هذه القاعدة أولى لتحقيق المصلحة . وإن لم يكن هناك أحد من الناس ، فليتأخر الحديث سراً حتى يجتمع الناس ، للحرص على سلامة الصدور والمشاعر الطيبة ، عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إذا كنتم ثلاثة ، فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس ، من أجل أن ذلك يحزنه » متفق عليه .

● ومن الصور القميئة فى ذلك أن يتعمد بعض الناس التحدث سراً لإدارتهم لايهام الآخرين بمكانتهم عند رئيسهم ! أو أن الموضوع جد خطير ! أو أن الحديث عن أناس معينين ! أو عن الإنسان المتروك ؛ ! وكل ذلك منهى عنه ، وقد فعلها المنافقون مع رسول الله ﷺ يقول ابن وهب : كان الرجل يأتى رسول الله ﷺ يسأل الحاجة ليُرى الناس أنه قد ناجي رسول الله ﷺ وكان النبى لا يمنع من ذلك أحداً ، بل كان الأخطر من ذلك حينما يناجيه لمصلحته الشخصية أو رياء وسمعة فى وقت الحرب فتلعب الظنون بعقول الناس ، يكمل ابن وهب فيقول : (والأرض يومئذ حرب على أهل هذا البلد ، وكان ابليس يأتى القوم فيقول لهم إنما يتناجون لأمور قد حضرت وجموع قد جمعت لكم وأشياء ، فقال تعالى : ﴿ **إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله** ﴾ المجادلة / ١٠ ، وفي رواية : كان المسلمون إذا رأوا المنافقين يتناجون يشق عليهم ، فنزلت الآية < راجع المشاعر المؤثرة ص ١٣ > .

٧١ـ منحة العنز

● وهذه تنتشر فى مناطق الريف عن المدن ، عن عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « أربعون خصلة أعلاها منحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها أو تصديق موعودها إلا أدخله الله بها الجنة » البخارى .

قال حسان بن عطية : فعددنا ما دون منحة العنز من رد السلام وتشميت العاطس وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا أن نبلغ خمس عشرة خصلة .

● ومعنى منحة العنز أن يمنح أحد الناس غيره الشاة ليأخذ لبنها أو لبن البقرة ثم يردها مرة أخرى ، وكذلك قيل إذا أطلقت كلمة (منيحة) لم تنصرف إلا إلى هذا المعنى ، فى المسند عن ابن مسعود قول النبى ﷺ : « أتدرون أى الصدقة أفضل أو أخير ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : المنحة تمنح إخال الدراهم أو ظهر دابة أو لبن شاة أو لبن بقرة » أى تمنحه بقرة أو شاة يشرب لبنها ثم يعيدها إليه .

● وفى فضل منحة العنز ، حديث البراء بن عازب عن النبى ﷺ : « من منح لبن أو ورق أو أهدى زقاقاً كان له مثل عتق رقبة » رواه أحمد .

٧٢ـ استعارة الدابة

● كما سبق فى قوله ﷺ : « أو ظهر دابة » ومنحة ظهر الدابة إعارتها لمن يركبها ثم إعادتها ، ومثلها اليوم السيارة فى المدن أو الدراجة أو الموتوسيكل ، وما أجمل تحقيق هذه الفكرة خاصة فى المناسبات المختلفة ، وهذا يزيد فى قوة الصلات بين الناس ، وإزالة الفروق بينهم .

٧٣ منحة القرض

● وقد مر عن النبى ﷺ حينما سأل الصحابة : أتدرون أى الصدقة أفضل ؟ فكانت من إجابته : « المنحة تمنح إخال الدراهم » رواه أحمد < بمعنى قرض المال > .

ومر أيضاً قوله ﷺ : « من منح لبن أو ورق أو أهدى زقاقاً كان له مثل عتق رقبة » وقال الترمذى فى معنى قول ﷺ « أو ورق » أى قرض الدراهم .

٧٤ـ لا تحقرن معروفا

● أحيانا كثيرة يستصغر الإنسان بعض الأشياء فى حياة الناس ، ويحتقر من شأنها ، مع أنها تكون مهمة جداً بالنسبة لهم حال احتياجهم لها ، ولذلك فالفائز هنا من يكون مدرباً على المعروف ، ولا ينظر إلى حجمه صغيراً أو عظيماً ، ولا لمن يمنح المعروف عظيماً أو ضعيفاً ، وإنما عينه على فعل المعروف ولا يحتقر فى فعله شيئاً ، ولقد ضرب النبى ﷺ من البيئة العربية بعضاً ممن يحتقره الناس ، فقال ﷺ : « لا تحقرن معروفا ولو أن تعطى صلة الحبل ، ولا تحقرن معروفا ولو أن تعطى شعس النعل » والقصة كما فى المسند أن جاء أبو جرئ الجهنى يسأل رسول الله ﷺ عن المعروف ؟ فقال ﷺ : « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تعطى صلة الحبل ، ولو أن تعطى شعس النعل ، ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ، ولو أن تنحى الشئ من طريق الناس ، ولو أن تؤنس الوحشان فى الأرض » .

● وعلى مثال ما سبق لا تحقرن معروفاً ولو أن تعطى قلماً أو إبرة أو ورقة أو حبلاً أو شعس النعل وهو رباط الحذاء ، ولقد مرت بنا لحظات كانت هذه الأشياء التى لا يهتم بها أحد ، هى أغلى وأثمن الأشياء وكان شكرنا عميقاً لمن

أعطاها لنا .

٧٥ــ افرغ من دلوك فى دلو أخيك

● إنها قبل أن تكون حركة إناء لإناء ، وشراب تفرغه فى إناء الآخر ، هى حركة مشاعر وعواطف وأحاسيس ، فالأشياء التى يمتلكها الإنسان تصبح لديه عزيزة ، وأن يفرغ منها فى إناء الآخر طيبة بها نفسه فكأنه يقول له : إنى أحبك وأرجوا أن تتفضل بقبول ما هو عزيز لدى ، فهذا من نصيبى الخاص وهو من إنائى الخاص ، وها هى يداى تفرغ فى إنائك اجلالاً وإكراماً وتعظيماً وحباً ، أما المستسقى فكأنه من شدة سعادته ، يتلعثم لسانه وربما يقف مشدوهاً يشكرك ، وقلبه ينفتح لك بنبضات صادقات كلها حب وود ، أليست بالفعل هى حركة مشاعر وأحاسيس .

● جرّب هذه الفكرة مع جالسك سواء كنت تعرفه أم لا تعرفه ! وانظر الأثر الذى تتركه هذه الفكرة التى لا تكلف شيئاً ؟!! .

٧٦ــ إبرار القسم

● لعلنا قبل أن نتحدث عن هذه الفكرة السهلة ، نتساءل لماذا يقيم الناس ويحلفون بالأيمان المغلظة ثم يتراجعون ولا يفعلون ولا يبرون بقسمهم ؟! لقد نهى النبى ﷺ عن ذلك وزجر فاعله عن ابن مسعود قول النبى ﷺ : « من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه ، لقى الله وهو عليه غضبان » ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ مصداقه من كتاب الله عز وجل : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلاً** ﴾ آل عمران : ٧٧ إلى آخر الآية » متفق عليه .

ولقد أطلق عليها الإسلام « اليمين الغموس » أى اليمين الكاذبة عن عمد ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قول النبى ﷺ : « الكبائر : الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس » البخارى .

● ولا يرتبط إبرارك بقسمك بالشئ الكثير أو اليسير ، أو المهم والتافه ، أو بمن أقسمت له ومكانته الاجتماعية ، إنما هو خلق ثابت فى صاحبه ، ولذلك قال النبى ﷺ : « من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه ، فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال له رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يارسول الله ؟ قال : « وإن كان قضيباً من أراك » رواه مسلم ، نعم وإن كان شيئاً صغيراً كالسواك أو



ما كان مثل السواك .

● **والجميل فى ديننا أنه وفّر لك المساعدات على الإبرار بالقسم منها :**

١- السماح له إذا حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فيأتى الخير ويكفر عن الأولى لقوله ﷺ : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير » متفق عليه .

٢- العفو عن عما يجرى على اللسان بغير قصد اليمين ، كقوله عادة للسان لا والله ، نعم والله ، بلى والله ، عن عائشة قالت : أنزلت هذه الآية : ﴿ **لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم** ﴾ فى قول الرجل : لا والله ، بلى والله » رواه البخارى .

٣- التحذير من كثرة الحلف فى البيع وإن كان صادقاً ، عن أبى قتادة : قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إياكم وكثرة الحلف فى البيع ، فإنه يُنفق ثم يمحق » رواه مسلم .

٤- مساعدة من سأل بالله تعالى . وإعاذة من استعاذ بالله لقوله ﷺ : « من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سأل بالله فأعطوه » صحيح أبو داود .

٧٧- نشر العلم وطلبه

● يقول ﷺ : « إن من الصدقة أن تتعلم العلم ثم تعلمه ابتغاء وجه الله عز وجل » صحيح ابن ماجة ، وهذه الفكرة النبوية تفتح الطريق أمام كل من علم علماً فعليه أن ينشره لوجه الله تعالى ، وهذا هو الضامن الحقيقى لاستمراره على هذا الخير .

● ولذلك فكل من خرج يلتمس علماً فى أى فرع من فروعه ، سواء كان عن أستاذ أو معلم أو كتاب أو بحث أو دراسة ، مهما كلفه ذلك من مال أو جهد أو سفر أو وقت ، عدّه النبى ﷺ فى سبيل الله حتى يرجع ، عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » الترمذى ، وعن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة » المسند : حسن .

● وما أروع قول معاذ بن جبل الذى توفى فى طاعون عمواس ولم يبلغ عمره ثمان وعشرين سنة ، يقول : « تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة » رواه الحافظ بن عبد الله فى كتابه العلم وهو حديث حسن وقيل فى

معناه :

والناس صنفان موتى فى حياتهم
وآخرون ببطن الأرض أحياء

تأبى المواهب فالأحياء بينهم
لا يستوون ولا الأموات اكفاء

ولذلك كان يقول أبو الدرداء : « مثل العلماء فى الناس ، كمثل النجوم فى السماء يهتدى بها » .

وكرم الله وجه الإمام على بن أبى طالب وهو ينشد :

كلام الحكيم حياة القلوب
كوبل السماء غياث الأمم

فنطق الحكيم جلاء الظلام
وصمت الحكيم دعاء الحكم

حياة الحكيم جلاء القلوب
ضوء النهار يجلى الظلم

٧٨ــ بر الوالدين

● تحدثنا عن هذه الفكرة كبوابة للجنة ، وهى فكرة نبوية عملية ، وهى « من أحب الأعمال إلى الله » متفق عليه ، « والوالدان من الذين هم أحق الناس بحسن صحبة الرجل » متفق عليه ، « والخاسر من أدرك والديه أو احدهما ولم يدخل الجنة » مسلم « وحسن صحبتهما لمن يبتغى الأجر أفضل من الهجرة والجهاد » مسلم ، « وحسن صحبتهما جهاد » .

وهذه هى المعانى التى علمها النبى ﷺ للصحابة ، فكانت أجمل حياة مع الوالدين .

● ونهى النبى ﷺ عن عقوق الوالدين « فاعتبر ذلك من الكبائر » البخارى ، أو « أن يتسبب الرجل فى سب أمه وأبيه ، بسب أبى رجل آخر فيسب أمه وأباه » متفق عليه ، وقد جر ابن عاق والده حتى وصل به إلى مكان فقال له يا بنى : حسبك فقد جررت أبى إلى هنا ، فالجزاء من جنس العمل ، ومنفذ هذه الفكرة يصنع مستقبلاً طيباً كريماً مع أبنائه حتى بعد موته ، فكان بعضهم يزيد من صلاته وصلاحاً يدّخر ذلك لأبنائه مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما**

رحمة من ربك ﴾ الكهف / ٨٢ .

٧٩ــ صلة الرحم

● وهذه الفكرة كذلك تم تفصيلها كبوابة للنجاة فمن أراد الاستزادة فليرجع إليها .

وإهمال هذه الفكرة النبوية ، فى هذه المعانى التى أراد النبى ﷺ أن يرسخها فى قلوب أصحابه وعقولهم : « لا يدخل الجنة قاطع » متفق عليه ، يعنى قاطع رحم ، وفى رواية للبخارى قال الله تعالى للرحم : « من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته » ، « والله تعالى ظهير لمن يصل قرابته وهم يقطعونه ولمن يحسن إليهم مع إساءتهم ويحلم عنهم ويجهلون عليه » رواه مسلم ، « ويبسط الله الرزق للرجل ويؤخر له فى أجله وعمره ، إن كان يصل رحمه » متفق عليه ، وقال النبى للمرأتين فى صدقتهما لأقاربهما « لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة » متفق عليه ، وقال ﷺ : « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة » الترمذى : حسن .

● وقد أردنا بعرض هذه المعانى ، توضيح العمل بهذه الفكرة وتنفيذها ، فهناك الكثير من الوسائل ، وهو يعتمد على إخلاص ولباقة وحرص وأخلاق الفرد وهو يقيم علاقاته مع أقاربه .

٨٠ــ الإحسان إلى الجار

وتختصر الفكرة فى هذه المعانى التى أراد النبى ﷺ أن يستوعبها الأفراد فى المجتمع :

١ـ هى وصية جبريل الدائمة « ما زال جبريل يوصنى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه » متفق عليه .

٢ـ كثرة اعداد الطعام من أجل الجار لقول النبى ﷺ : « يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك (اعطهم منها) » رواه مسلم .

٣ـ لا يؤمن المؤمن إلا إذا أمن الجار شره لقوله ﷺ : والله لا يؤمن ! والله لا يؤمن والله لا يؤمن ! قيل من يا رسول الله ؟ قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه (شروره) متفق عليه .

٤ـ لا يدخل الجنة من صنع شراً بجاره ، لقوله ﷺ : « لايدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » مسلم .

٥ـ الهدية والعطية للجار :
لقوله ﷺ : « يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَ ‹ ظفر الشاة › » متفق عليه .
٦ـ تحمل الجار ولو خشبة يغرزها فى الجدار لقوله ﷺ : « لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة فى جداره » متفق .
٧ـ عدم إيذاء الجار بأى كلمة أو فعل لقوله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » متفق عليه .
٨ـ الهدية لأقرب جار ، لسؤال عائشة : يا رسول الله إن لى جارين فإلى أيهما أُهدى قال : « إلى أقربهما باباً » البخارى .
٩ـ الحَصول على لقب (خير الجيران) :
لقوله ﷺ : « وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره » الترمذى : حسن .

٨١ــ إكرام الضيف

● إكرام الضيف من الأفكار التى تزيد من رابطة الأفراد وتقوى الصلات بين الناس ، وتفتح مجالات للتعارف والعلاقات لا تنسى على مدى الأعوام والسنين والنبى ﷺ يتحدث عن هذه الفكرة فى نقاط منها :

١ـ إكرام الضيف من الإيمان : لقوله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » متفق عليه .

٢ـ المبادرة فى الاستضافة من الاكرام : عن حديث أبى هريرة : فقال النبى ﷺ : « من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله ﷺ » .

٣ـ أعلى مراتب الاكرام ايثار الضيف : وفى رواية قال لامرأته : هل عندك شئ ؟ فقالت : لا إلا قوت صبيانى قال : علليهم بشئ غير هذا الطعام » وإذآ أرادوا العشاء فنوميهم وإذا دخل ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاوين ‹ جائعين › فلما أصبح غدا على النبى ﷺ فقال : « لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة » متفق عليه .

٤ـ إكرام الضيف خير الإسلام : جاء رجل يسأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » متفق عليه .

ومن أراد الاستزادة ففى ‹ بوابة الضيوف › تفصيل وتوضيح وتبيان .

٨٢ـ الإحسان إلى الحيوان

● هذه الفكرة النبوية الجليلة قدمهما النبى ﷺ ورفع لواءها ، ومارسها فى المجتمع برقة ناعمة وعاطفة صادقة ، وإحسان إلى الحيوان بغض النظر عن نوعه أو حجمه أو شكله ، وبعيداً عن امتهانه أو تعذيبه أو العبث به .

● ويمكننا اختصار هذه الفكرة من النبى ﷺ فى النقاط التالية :

١ـ التحذير من تعذيب الحيوان : عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى اطعمتها وسقتها إذ هى حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » متفق عليه .

٢ـ التحذير من اتخاذ الطير غرضا : مر ابن عمر رضى الله عنهما بفتيان قد نصبوا طيراً وهم يرمونه فقال : « إن رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً » متفق عليه .

٣ـ النهى عن حبس البهائم للقتل : عن أنس قال : نهى رسول الله ﷺ أن تُصبر < تحبس للقتل > البهائم » متفق عليه .

٤ـ النهى عن وسم وجه الحيوان : عن ابن عباس قال : رأى رسول الله ﷺ حماراً موسوم < مكوى الوجه لتمييزه > الوجه فأنكر ذلك ؟ » رواه مسلم .

وفى رواية : فقال : لعن الله الذى وسمه .

٥ـ النهى عن حرمان الحيوان من صغاره : عن ابن مسعود قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة < طائر صغير كالعصفور > معها فرخان < ولدها > فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة تعرش ، فجاء النبى ﷺ فقال : من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها » أبو داود بإسناد صحيح .

٦ـ تحريم الحرق بالنار : ويكمل بن مسعود : « ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال : من حرق هذه ؟ قلنا نحن . قال : إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار » أبوا داود .

٧ـ النهى عن سب الحيوان ولعنه : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة » أبو داود بإسناد حسن .

٨ـ العمل على راحة الذبيحة : لقوله ﷺ : « وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » مسلم .



٨٣ــ فك العانى

● العانى وهو الأسير ، وفكه أى تحريره من الأغلال والقيود التى تحول بينه وبين حريته وعودته إلى أهله وأبنائه سالماً ، وإن كان الأسير الذى يأخذه العدو فى حرب وقتال ، إلا أن الأسير اليوم أصبح من أبناء الوطن الذى يعتقل بلا جريرة ويحبس بلا ذنب لخلافات سياسية مع حكومته ، بل الأدهى من ذلك أن يؤخذ المدنيون عنوة من بيوتهم ومن متاجرهم ومن شوارعهم ويصبحون أسرى من قبل قوات غاشمة ظالمة تحتل الوطن والأرض مثلما يحدث فى فلسطين على يد يهود أو فى العراق على يد أمريكا ، ومن الصور القميئة ما يحدث لأسرى ما يسمى الحرب على الإرهاب لأناس رهن التحقيقات بغض النظر عن أفكارهم فيتعرضون لأنكى ألوان التعذيب البدنى والنفسى على مسمع ومرأى من العالم أجمع فى معسكرات سرية بجوانتينامو وغيرها .

● وأيما كانت صور الأسر ، ففك الأسير فكرة دعا إليها النبى ﷺ ، حتى تختفى صور الظلم فى المجتمعات ويعيش الناس فى حرية ولا تحرم الأسر والأقارب من عوائلهم ، وجعلها النبى ﷺ من الخصال التى توجب لفاعلها الجنة ، لدفع الناس إلى تنفيذ هذه الفكرة ، والمحافظة الدائمة على مواجهة الظلم وتحرير الضعفاء وسماه النبى ﷺ : « العانى » لما يعانيه الأسير من ضغوط وآلام وحرمان وألوان من الإيذاء والتعذيب .

٨٤ــ العطف على المسكين

● يوضح هذه الفكرة النبوية (قدوتنا فى أدائها) رسول الله ﷺ فيقول : « ليس المسكين الذى تردّه التمرة والتمرتان ، ولا اللقمة واللقمتان إنما المسكين الذى يتعفف » متفق عليه .

فالمسكين يعيش فى المجتمع لا يعلم أحد عنه شيئاً وهو لا يسأل أحداً ، وهذا معنى إنما المسكين الذى يتعفف ! فكيف يمكننا اكتشافه حتى نؤدى حقه وينفذ هذه الفكرة النبوية ؟ ومن أجل أن تقترب أكثر منا صورة المسكين يشرحها النبى ﷺ بشئ من التوضيح فيقول : « ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يُفطن < لا يُعلم > به فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس » متفق عليه ، وبهذه الصفات النادرة يمكننا اكتشافه فى المجتمع ،

والتعرف عليه ، ثم العطف عليه ، فما فضل العطف عليه ؟.

● عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله وأحسبه قال : « وكالقائم الذى لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر » متفق عليه ، فما أعظمها من غنيمة وأجر وفير من ثواب يساوى ويكافئ أجر المجاهد القائم الصائم .

ومن حق المسكين أن يمارس حياته فى المجتمع بصورة طبيعية ، ولم يعرف الإسلام حياة خاصة بالأغنياء وأخرى لغيرهم ، والمجتمع الذى يتخلى أفراده عن هذه الحقيقة يصل إلى الهاوية ويهوى فى التعاسة ويصاب أفراده بالكآبة التى تدفعهم إلى الانتحار كما نسمع ونرى اليوم !! .

ولذلك يروى سعد بن أبى وقاص : « كنا مع النبى ﷺ سبعة نفر فقال المشركون للنبى ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا . وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هزيل وبلال ورجلان لست اسميهما ، فوقع فى نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه بالغداة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه** ﴾ ‹ الأنعام : ٥٢ › » رواه مسلم .

● ولذلك فدعوتهم إلى الولائم والحفلات والتجمعات والمجالس واجبة ، بل إن النبى ﷺ أطلق على الطعام الذى يمنعون من حضوره « شر الطعام » فقال ﷺ : « شر الطعام طعام الوليمة ، يمنعها مَنْ يأتيها ويُدعى إليها من يأباها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » رواه مسلم .

وعلى المسكين كذلك أن يعيش فى هذه الأجواء الصالحة ، فيجب الدعوات ولا يعتذر بحجة أنه مسكين ومستواه غير مستوى الحاضرين ، فحضوره يجعل الطعام خير الطعام والمجالس خير المجالس ، فإن أبى فقد عصى الله ورسوله .

● والمساكين هم أهل الجنة ، لرضاهم بما قسم الله لهم ، وقناعتهم باختيار الله وأقداره ، عن أسامة عن النبى ﷺ قال : « قمت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجد محبوسون ‹ أصحاب الحظ والغنى لم يؤذن لهم بعد فى دخول الجنة › ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار » متفق عليه .



٨٥ـ سلامة الصدر

● والمقصود سلامة الصدر وأنت تخالط الناس ، وتتعامل معهم ، فكم من تغيير حدث لصدرك ، لمقالة عن أحد ، وأنت فى الطريق لمقابلته ، فإذا باللقاء ينقلب إلى شحناء وتنقلب الإهداف ، والسبب فى ذلك أن تغير القلب !! لقد فقه النبى ﷺ لذلك ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئاً ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » أبو داود والترمذى .

● لقد تحدثنا عن فكرة نقل الكلام إلى الإدارة وأثرها السئ ، ونقل كلام الناس وليس هناك ضرورة لذلك ، والآثار السيئة كذلك على الناس جميعاً ، ولكن الذى يشغلنا هنا هو الحرص على سلامة الصدر ، فلا يأبه الإنسان العاقل بكلام عن أحد ، بل عليه أن يمنع هذا الكلام أصلاً ، فلا يستمع أصلاً لأحد ، ولن تتوقف هذه العادات إلا بنشر هذه الفكرة النبوية ، حينما ينتشر الأمان بين الناس ، فلا يقابلك أحد بكلام معسول وقلب يحمل عليك ممتلأ بالضغينة والكراهية ، فأى علاقات هذه بين الناس ؟ والنبى عندما سئل عن مخموم القلب ؟ قال : « القلب النقى التقى » .

٨٦ـ كفالة اليتيم

●كافل اليتيم هو القائم بأموره ، وما أروع أن تمتد العلاقات بين الناس دون رحم أو قرابة ، ومع الزمن تقوى هذه الصلات ، ولذلك كان جزاء كافل اليتيم أن يكون رفيقاً لرسول الله ﷺ فى الجنة عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما » رواه البخارى .

● وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين فى الجنة » رواه مسلم ، والمعنى « اليتيم له أو ليغيره » قريبه أو الأجنبى منه فالقريب مثل أن تكلفه أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من قرابته ، وهكذا يتسع مفهوم كافل اليتيم ، وكلهم مع رسول الله ﷺ فى الجنة .

● وقد حذّر النبى ﷺ عن تضييع حق اليتيم فدعا عليه قائلاً ﷺ :
« اللهم إنى أُحرِّج حق الضعيفين اليتيم والمرأة » النسائى : حسن صحيح .

ومعنى « اللهم أُحرِّج » أى الحق الحرج وهو الاثم بمن ضيع حقهما .

ولذلك يقول تعالى : ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن** ﴾ الأنعام : ١٥٢ .

ويقول تعالى : ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾ النساء : ١٠ .

وجعل النبى ﷺ أكل مال اليتيم من السبع الموبقات ، فعن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات ! قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات » متفق عليه .

٨٧ـ التزوار فى الله

● عن أنس قال : قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ انطلق بنا إلى أم أيمن رضى الله عنها نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلم انتهيا إليها ، بكت فقالا لها : ما يبكيك أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ فقالت : إنى لا أبكى أنى لا أعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ ولكن أبكى أن الوحى قد انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها » رواه مسلم .

فزيارة أهل الخير ومجالسهم كلها خير وتذكر بالله تعالى .

● والتزاور فى الله ، هو الذى يدفع إليه الحب فى الله ، لا لمصلحة لك أو نعمة عليك ، عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ : أن رجلا زار أخاً له فى قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى على مدرجته ملكا ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لى فى هذه القرية قال : هل لك عليه من نعمة تربها عليه ؟ قال : لا غير أنى أحببته فى الله تعالى ، قال : فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » مسلم .

● والتزاور فى الله يحظى بدعاء الملائكة ، ويتبوأ الزائر مقعده من الجنة ، عن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « من عاد مريضاً أو زار أخاً له فى الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً » الترمذى : حسن .

● وإذا انقطع الزائرون عليك أن ترسل إليهم وتسألهم بحب وود وألفة لماذا لا تزورونا ؟ وهذا ما فعله النبى ﷺ مع جبريل عليه السلام عن ابن عباس قال :

قال النبى ﷺ لجبريل : ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت : ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك** ﴾ » رواه البخارى .

● والتزاور فى الله كما يكون لأناس تحبهم ، يكون أيضاً لأماكن تحبها ، ومساجد يتعلق القلب بها ، أو بلدان تحب الإقامة فيها ، وهذا ما كان من فعل النبى ﷺ الذى يحكيه ابن عمر يقول : « كان النبى ﷺ يزور قباء راكبا وماشياً فيصلى فيه ركعتين » متفق عليه .

وفى رواية أنه خصص يوم السبت من كل أسبوع للزيارة : كان النبى ﷺ يأتى مسجد قباء كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن عمر يفعله .

٨٨ــ الحب

● أحسب أن كل الأفكار النبوية فى تحقيقها تحتاج إلى ثلاث خصال أساسية ، فإن توفرت فكل ما جاء يكون قوياً متيناً ، وهذه الخصال هى : التوجه الصادق لله تعالى ، والحرص على صلات وعلاقات قوية مع الناس ثم الحب الصادق فى القلب لكل الناس فى الدوائر المختلفة ، والحب وحده فكرة نبوية عظيمة ، لأنها الضامن لنجاح كل الأفكار الأخرى ، وهى سر الاختلاط الأول بين المهاجرين والأنصار فى قوله تعالى : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم** ﴾ الحشر : ٩ .

● ولذلك فالحب « من ثلاثة أشياء من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان » متفق عليه ، والحب « بين الرجلين تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه من سبعة يظلّهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله (أى ظل عرشه) » متفق عليه ، حيث يقول ﷺ : « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى » رواه مسلم .

والحب « يجعل للمتحابين منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » .

● والحب يتجدد بالزيارة والمجالسة والبذل والسؤال الدائم والمؤانسة ، قال رجل لمعاذ بن جبل : والله إنى لأحبك لله فقال ثلاث مرات : الله والرجل يقول الله فقال معاذ : أبشر فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : وجبت محبتى للمتحابين فىّ والمتجالسين فىّ ، والمتزاورين فىّ ، والمتباذلين فىّ » صحيح رواه مالك .

● ومن جلال وجمال الحب أن يخبر الناس بعضهم بعضاً ويعبرون عن

عواطفهم ويفصحون عن حبهم لقوله ﷺ : « إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه » الترمذى / حسن .

وقد قالها النبى ﷺ لمعاذ فقد أخذ بيده وقال : « يا معاذ إنى لأحبك » صحيح أبو داود .

● فلماذا لا نجرب ذلك ؟ ونرى أى أثر فى حياتنا مع الناس يكون ؟!! .

٨٩- المكافأة

● كان المنهج النبوى فى هذه الفكرة قائم على قاعدة عظيمة : « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تكافئوه فادعو له » **وبالتأمل فى هذه القاعدة النبوية نجد فيها عدة نقاط** :

١-« معروفا » فأنواع المعروف كثيرة وجاءت الكلمة على صيغة النكرة لهذا التنوع ولكثرة أصنافه ، وفيها دلالة على معنى المعروف وليس حجمه أو شكله أو عظمه ، فأى معروف ولو كان ضئيلا تافهاً متواضعاً ، فهو فى المعنى معروف وقد يتعدى كما رأينا فى « صلة الحبل » أو « وهبة الشسع » أو « السواك » أو « التمرة » أو غير ذلك مما لا يحتقره الفرد احتراماً لمعنى المعروف فيه .

٢-« أسدى » بما تحمله هذه الكلمة من جميل العطاء وحسن الاستقبال ورائع الترحاب على تذكره لنا وعطيته ومنحته ، ولابد من شكره على هذا الخلق وتلك الدوافع النبيلة .

٣-« فكافئوه » وهذا هو بيت القصيد ، فالمكافآت الفورية على أقل معروف لا ينساها أحد مثل ثوب جديد أو ساعة يد أو لوحة حائطية أو قلم ثمين أو ما تدخره فى بيتك وقتها أو مكتبك من هدايا قيمة ، أو كارت شكر أو كلمة غالية أحيانا تساوى الدنيا وما فيها ، أو برقية أو فاكس أو رسالة نت ، أو غير ذلك مما يخرج من لباقتك وذوقك الرفيع

« والمكافأة » ليست رداً أو تعويضاً على معروفه وإنما هى تعبير عن فرحتك وسرورك وسعادتك ولذلك فهى حركة عفوية بلا ترتيب ، وصادقة صافية شفافة بدون تعقيد ، وأثرها يدخل فى القلوب مباشرة ويؤثر فى المشاعر بقوة

٤-« فادعو له » وأقل ذلك إن خلا المكان والزمان من المكافأة ، فباب الدعاء مفتوح وغالباً ما يحب الناس بفطرتهم الدعوة الصالحة ورب دعوة يستجيب لها الله خير من ألف ألف مكافأة منك ، وأثر الدعاء فى نفس

الإنسان يدعوه إلى التفاؤل وفتح آفاق الأمل مما يدفعه إلى ايجابية فى الحياة وعمل مستمر .

● وفى داخل بيوتنا وأعمالنا وحياتنا تأتى المكافأة للجادّين والناجحين والمتفوقين والمتميزين فى حياة الأفراد ، كالشامة ، التى تدفعهم ويفرحون بها ، وجميل أن تقام الحفلات لهذا فى لقاء الأقارب والجيران ولقاءات العائلة والأبناء وزملاء العمل أو الأصدقاء فى النوادى والمراكز والشوارع .

٩٠ـ تعين صانعاً أو تصنع لأخرق

هذه الفكرة بهذه الألفاظ النبوية لها تأملات ووقفات وخواطر ، منها الاهتمام بالصناعة وتشجيع أهل الحرف ، وإعانتهم فيما يصنعون بكافة أنواع الإعانة ، كالمال والخبرة والتدريب والتأهيل والتجارب والجديد ، وعدم حجب أى تطوير لخبراتهم أو صناعتهم ، وهى دعوة لأفراد المجتمع للعمل الحرفى والصناعى ، ومن تشجيع النبى ﷺ أنه كان بنفسه يجمع المال ويشترى الآلات اللازمة ويدفع الرجل إلى العمل والتواجد فى السوق ، بدلاً من البطالة والكسل أو الإرتكان إلى أحد يقوم بالصرف عليه ، عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحداً ، فيعطيه أو يمنعه » متفق عليه .

● وقد أوضح النبى ﷺ أن الأنبياء كانوا يأكلون من عمل أيديهم فقال : « كان زكريا عليه السلام نجاراً » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده » البخارى .

بل إن النبى ﷺ كان يبايع الناس ألا يسألوا أحداً شيئاً حتى يدفعهم إلى العمل وهذا نوع من الإعانة أيضاً ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تكفل لى أن لا يسأل الناس شيئاً ، وأتكفل له بالجنة ؟ فقلت : أنا ، فكان لا يسأل أحداً شيئاً » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

● عند المبايعة وبسط الأيدى يقول عبد الرحمن بن عوف : وأسر كلمة خفية : « ولا تسألوا الناس شيئاً » فلقد رأيت بعض أولئك النفر < الذين بايعوا > يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه » مسلم .

● « أو تصنع لأخرق » وهو الذى لا يتقن ما يحاول فعله وصناعته ، وهذا دليل على التأهيل والتدريب والتطوير والدورات لتنمية قدرات الصناع واعدادهم للاتقان فى صناعتهم وجودتها ، وتميز هذه المنتجات بجانب المعروض

عند الآخرين ، وهو نوع من التنافس المحمود فى الصناعات وخاصة الصناعية الخفيفة القروية التى تحتاج دائماً إلى الابتكار والتطوير والتحسين .

٩١ـ النظام

● تحدثنا من قبل عن اتباع القواعد المتفق عليها واحترام النظام ، وحب العمل به ، وهذا كله فى معنى النظام وآثاره على أفراد المجتمع ، وعلى المجتمع ككل ، وضمانات نجاحه فى حياة الناس وواقعهم ، هذا على المستوى العام والمبادئ العامة ، ولكن قد يتفق أفراد الأسرة من الزوجين والأبناء على نظام معين فيما بينهم فى الأوقات والأجازات والأماكن والمهام والأعمال والمسئوليات والبرامج والخطط ، وكذلك اتحاد العمارة الواحدة ، أو أبناء القرية والمركز ، أو أبناء الحى الواحد ، أو زملاء العمل ، أو الأصدقاء فيما بينهم ، وبالالتزام بالنظام المتفق عليه واحترامه والعمل على تنفيذه فى حب ووئام ، يقوى العلاقات ويمتن الصلات

● وكان النبى ﷺ كثيراً ما يلجأ إلى المشروعات المشتركة ويضع لها نظاماً يلتزم بقواعده الجميع ، ويرون فيه ﷺ القدوة والمثل : فى بناء المسجد وحفر الخندق والسفر والغزوات ، أو فى الحركة اليومية فى بيته أو شوارع المدينة أو المسجد أو ممارسة العبادات أو غير ذلك ، وقد تقدمت شواهد كثيرة تؤيد ذلك ، **وحول النظام عدة نقاط مهمة منها** :

١ـ النظام وسيلة وليس هدفاً وبالتالى لا يكون مجالاً للتصارع والاختلاف .

٢ـ النظام متغير فيجب التعامل معه بمرونة وتطويره مما يحقق الهدف ولا يصطدم بالثوابت .

٣ـ تغيير القواعد وليس على مراد أو مزاج أحد .

٤ـ من الأفضل أن توجد لائحة عقاب وجزاء لمن يخرج عن النظام تحقق عودته إلى الالتزام به .

٥ـ حساب المسئول الذى ينفذ النظام على هواه أو مصلحته أو مجاملات أو حب وكره ، وإنما مسئوليته تكمن فى مراقبة تنفيذه والقدوة لغيره .

٦ـ إنكار الذات فى تنفيذ الأعمال والجزاء الجماعى لايجاد جو نقى من التنافس البنّاء .

٧ـ وضع لائحة مكافآت للجادين والمتميزين لرفع قيمة الإتقان ودفع

الأعمال .

٨ـ التعاون والتكافل من أجل انجاح النظام وتجاوز العقبات ومواجهة الصعاب بروح الفريق .

٩ـ لك أن تزيد من خبراتك فى الحياة فليست هذه النقاط وحدها تكفى .

٩٢ـ الأناقة والتجمل

● أنت عنوان يتحرك فى الناس ، تترك فيهم رسائلك هذه الرسائل من أناقتك ونظافتك وتجملك وعطرك وأدبك فى الطعام والشراب وأسلوبك وطريقة كلامك وحديثك ، ولكن العين أول ما تقع على أناقتك وتجملك دون أن تتكلم أو تتحدث ، والنبى ﷺ كان يتجمل وينوع ملابسه فارتدى جبة شامية وجبة رومية وحلة حمراء وكساء منقوش من شعر أسود ، وإزار من قطن وبردة سوداء ، حتى وصل الأمر بجابر بن سمرة إلى قوله : « رأيت النبى ﷺ فى ليلة أضحيان وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر فلهو أحسن فى عينى من القمر » الترمذى .

وأم المؤمنين عائشة تنبهر بأناقته ﷺ فتقول : أن النبى لبس بردة سوداء فقلت : « ما أحسنها عليك يشرب بياضك سوادها وسوداها بياضك » المسند .

● ومن تجمله ﷺ المحافظة على نظافة الأسنان ، فأول ما يدخل بيته كان يستاك ليبدأ لقاء أسرته فى أجمل صورة « سئلت عائشة بأى شئ كان يبدأ النبى ﷺ إذا دخل بيته قالت : بالسواك » مسلم .

ويحافظ على خصال الفطرة ويدعو إليها حيث يقول : « خمس من الفطرة : الختان والاستحداد وتقليم الأظافر ، ونتف الابط ، وقص الشارب » متفق عليه ، والاستحداد حلق العانة .

● وكان النبى ﷺ يحب الطيب ولا يردّه، ويأمر أصحابه بعدم رده ، وكان يؤنس الزوجة بتلك الحال ، كما يؤنس الأصحاب بهذا الطيب ، وبهذه الأناقة وبهذا التجمل أسر النبى ﷺ قلوب الناس ، وكذلك يجب أن نكون ، مما يقوى رابطة المجتمع ، « إن الله جميل يحب الجمال » مسلم .

٩٣ـ الحرص على وقت الآخرين

كما تحب أن تكون حريصا على وقتك فالآخرون يحبون أيضاً أن يكونوا حريصين على وقتهم ، فإن أضاع أحد وقتهم تمللوا منه ، وجعلوه فى قائمة من

لا يتوجهون إليه ، وتظهر عليهم علامات الملل من حك الأحذية بالأرض ، أو عدم التركيز معك ، أو النظر بأعين منسحبة ، أو الجلوس على طرف المقعد ، ولسان حالهم يقول : لابد أن تنتهى ، لابد أن تخرج ، لابد أن تسكت ، فوقتنا ثمين فلم تضيعه لنا ؟!! **ولذلك فمن الحرص على وقت الآخرين مراعاة هذه النقاط المهمة .**

١- الاستئذان فى محادثته أو مقابلته وعدم مفاجآته بذلك ، واحترام الموعد الذى يحدده من الطرفين .

٢- استخدام بعض الكلمات السحرية مثل : (هل يمكن أن أقابلك لدقائق) (هل يمكن استكمال حديثى الآن) (هل أنت مشغول الآن) .

٣- مراعاة الزمان المناسب للزيارة أو التحدث أو قضاء الحاجات فوقت العمل غير وقت الراحة ، غير وقت النوم وهكذا .

٥- مراعاة المكان المناسب من بيت أو عمل أو نادى أو منتدى أو مسجد أو مكان تعزية أو مستشفى هكذا .

٦- عدم الإسراف فى المحادثات والبريد الالكترونى ، فقد ينقلب إلى ضده .

٧- إن كانت لك حاجة ضرورية فأوجز فى قضائها بقدر الإمكان .

٨- وما زاد فهو من ذوقك ولباقتك وتجاربك وخبراتك وهو كثير .

٩٤- تنفيس الكربة

● عن ابن عمر قول النبى ﷺ : « ومن فرج عن مسلم كربة فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة » متفق عليه .

وعن أبى هريرة قول النبى ﷺ : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة » مسلم .

هكذا دعا النبى ﷺ إلى هذه الفكرة العملية ، وكيف أن فاعلها يجزى من نفس العمل ، مع الفارق الكبير والضخم بين كربة الدنيا وكربة يوم القيامة !! .

● والتنفيس مأخوذ من تنفس المخنوق فإنه يحتاج لمن يرخى له الخناق حتى يأخذ نفساً ، ومن وقع فى الكربة وهى الشدة أو الكارثة أو المصيبة ، كأنه مخنوق بها ، ويعانى من نفس الآلام التى يصاب بها المخنوق ، فمن يرخى الخناق ؟ من يجعله يأخذ نفساً ؟ من ينقذه من هذا الخناق ؟ .



وبقدر التنفيس عن كربة الناس يكون تنفيس الله لك من كرب يوم القيامة مع الفارق الهائل !! .

● أما التفريج فهو إزالة الكربة وهى درجة أعلى من التنفيس ، ويحتاج إلى جهد جهيد ، وإرادة واصرار وعمل متواصل ، من أجل إزالة كربة المكروبين ، وتمتعهم بالحياة الطبيعية ، وكذلك جزاء التفريج للناس تفريج لك يوم القيامة !!! .

٩٥ـ المواساة

● فى قوله ﷺ : « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » مسلم .

ولقوله ﷺ : « ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته » متفق عليه .

وكل ما هو زائد عن حاجتك من مال أو طعام أو مواصلة ، هو حق للآخرين ، خاصة المحتاج منهم يقول تعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** ﴾ الإنسان / ٨ .

يروى عن أبى سعيد الخدرى قال : بينما نحن فى سفر مع النبى ﷺ إذا جاء رجل على راحلة له ، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالا ، فقال رسول الله ﷺ : « من كان معه فضل ظهر ‹ مركب زائد عن حاجته › فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد ، فليعد به على من لا زاد له » فذكر من أصناف الكمال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل ‹ الزائد عن حاجة الإنسان › » مسلم .

● وأجمل ما فى المواساة أن تتوفر هذه الفكرة فى الأسرة الواحدة أو العائلة أو العمارة أو العمل ، وخير من حقق هذه الفكرة : الأشعريون ، وقد أعجب النبى ﷺ بهم فقال : « هم منى وأنا منهم » فماذا كانوا يصنعون ؟! عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : إن الأشعريين إذا أرملوا فى الغزو ‹ فرغ زادهم أو قارب الفراغ › ، أو قل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم » متفق عليه .

وكان النبى يذبح الشاة فيواسى بها الناس ويسأل عائشة ما بقى منها ؟ فتقول : ما بقى منها إلا كتفها ، فيقول بقى كلها غير كتفها » الترمذى : صحيح .

٩٦ـ حسن الظن بالآخرين

● الماء الجارى عنوان للنهر النقى الحى الطاهر ، الذى يريح منظره النفوس ، ويعطى للناس من عطاياه الكثيرة ، وكذلك حسن الظن بالناس ، هو الماء الجارى ، لنهر الصلات والعلاقات بالآخرين ، وإن سوء الظن هو الذى يعكر هذا الماء فيأسن والا يجرى ، وتتوقف عطاياه فيعفن ، وينتشر خبائثه ونتنه ، والعلاج فى تطهيره من جديد ، ولذلك كان النبى ﷺ يحذر من الظن بالناس ، واعتبره الحد الأقصى للكذب ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قول النبى ﷺ : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » متفق عليه .

● والمسئ الظن هو الذى يخترع اكذوبة من وهم ، ويبنى بيتاً من خيال ، ويستجيب للشيطان الذى يبيع له قصوراً من رمال ، فيزعم أنه يحلل ويركب ويرقب ويصل إلى نتائج وكلها على أساس منهار فيحاسب الناس على نياته هو وليس على نياتهم ، فيقع فى ظلمهم أو الغدر بهم أو التنكيل بحياتهم ، وبهذا يعرض نفسه للقطيعة فى الدنيا من الناس ، والعقاب الشديد من الله تعالى الذى يسمع ويرى ، يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾ الحجرات : ٢١ .

●وبحسن الظن يكتمل ايمان المؤمن حيث أنه يكتمل بأمرين : بحسن الظن بالله ثم حسن الظن بالناس ، فيعيش فى أمان وكذلك يأمنه الناس ، **والطريق إلى حسن الظن بعدة خطوات منها :**

١ـ التماس الأعذار لأى فعل أو قول فربما كان يريد كذا أو كذا ، وذلك للوقاية من باب الظن السئ .

٢ـ الحكم بالظاهر وعدم شق القلوب ، ومشهور موقف أسامة ، حينما قتل رجلا بعد أن قال لا إله إلا الله وفى التحقيق النبوى معه قال : إنما قالها خوفاً من السلاح فقال النبى ﷺ : « أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟!! » رواه مسلم .

٣ـ العلاقات بالظاهر وليس بالسرائر : وفى هذا يقول عمر بن الخطاب : « فمن أظهر لنا خيراً أمنّاه وقربناه وليس لنا فى سريرته شئ الله يحاسبه فى سريرته ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة » البخارى .

٤ـ قطع مجارى الشيطان عن الناس حتى لا تلعب بهم الظنون ، وفى هذا

موقف النبى ﷺ المشهور حين نادى الرجلين الذين مرا بجواره وهو يقف مع زوجه صفية وقال لهما : هذه صفية زوجتى !!! .

٥- التثبت والتبين من المعلومات عن الآخرين حتى لا يفتح أحدنا باب الظن فيقع فى المحظور .

٦- اصلاح القلب والإبتعاد عن الشبهات فذلك الرادع لإساءة الظن ، وفتح باب الورع .

٧- خفض الجناح للناس وعدم التكبر عليهم أو احتقارهم لقول النبى ﷺ : « الكبر بطر الحق وغمط الناس » مسلم ، أى دفع الحق ورده على قائله واحتقار الناس .

٩٧- الاتقان

● اتقان العمل فى كل شئ ، وهذه الفكرة النبوية أساسها قول النبى ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ، فكم من علاقات وبنايات وزيجات وصلات وصناعات قد انهارت لعدم الاتقان ، مما ترتب على ذلك زهق أرواح ، وتضييع أوقات واندثار جهود ، وتغيير نفوس ، وانكسار عواطف ، ولذلك فالاتقان فى الأعمال التى بينك وبين الناس هى الشعرة التى تربطك بالآخرين ، فإن انهارت تحطمت علاقاتك بهم ، وما سمعنا عن كوارث الأهمال ومآسى الاستهتار ، فماذا لو اتقن الطبيب والمهندس والمدرس والمحامى والمحاسب والصانع والفلاح والموظف والرئيس والمرءوس والحاكم والمحكوم ، والعامل والحرفى والطالب ، وكل فرد من أفراد المجتمع له صلة عملية بالآخرين ، ماذا لو أتفق الجميع أعمالهم ؟ لتكونت علاقات قوية ، وتقدير متبادل ، وصفا للجميع بحر الحياة فى عيشة هنية وميتة سوية ومرد غير مخزى ولا فاضح .

● ونجاح الاتقان فى تحقيق الإحسان وهى الدرجة التى يحبها الله من عباده ، فى أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فالعمل لله وبالله ومن الله وإلى الله ، وفى مجال العمل مع الآخرين مطلوب الإحسان كذلك ﴿ **وقولوا للناس حسناً** ﴾ ، ﴿ **ادفع بالتى هى أحسن** ﴾ ، « إن الله كتب الإحسان على شئ » ، « إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » ، ﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾ وغير ذلك كثير ، وكله يؤكد أن الاتقان كذلك ينطلق ويتحقق بالإحسان .

● ولاتقان التجارة والبيع والشراء نهى النبى ﷺ عن التناجش وبيع البعض على بعض والغش والخديعة وأكل حقوق الناس فى الميزان والمكيال ولاتقان الماليات نهى النبى عن الربا والخيانة والمطل فى رد الحقوق وسوء التقاضى .
بل الاتقان فى كل حركة سواء كانت فى اسرتك أو عائلتك أو عملك أو عمارتك أو مع أصحابك وجيرانك أو فى سائر يومك مسافراً أو مقيما « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

٩٨ـ الكسب الحلال

● تحدثنا من قبل بالتفصيل عنه ، وأساس هذه الفكرة اليومية التى يتعرض لها كل منا ، قول النبى ﷺ : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً » رواه مسلم .
وباقتراف الحرام سواء كان فى مطعم أو مشرب أو ملبس أو غذاء ، فإن الفرد يحرم نفسه من استجابة الدعاء ، ورفع الأعمال والأقوال ، وقبولها عند الله ، ولا ينظر الله إلى مال وصل به رحمه أو تصدق به أو أنفقه فى سبيل الله بل كما قال النبى ﷺ : « جمع ذلك جميعاً ثم قذف به فى نار جهنم » .
● ماذا لو تحلى الناس بتحرى الحلال فى كسبهم وعملهم وتجارتهم يقول تعالى : ﴿ **قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث** ﴾ فهل انتفع قارون بالبغى على الناس بماله الذى زعم أنه كونه بجهده ﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾ ، هل نفعه ذلك يوم ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾ ؟! .
● لقد كانت أموال الأرض كلها بين يدى رسول الله ﷺ لو شاء تصرف فيها ، ولكنه اختار حياة الكفاف والقوت ، ومع ذلك كان حريصاً على ألا يبيت فى بيته شئ من مال الناس ، وتأمل معى هذا المشهد الحى : عن عقبة بن الحارث قال : صليت وراء النبى ﷺ بالمدينة العصر ، فسلم ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم ، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته ، قال : ذكرت شيئاً من تبرٍ (قطع ذهب أو فضة) عندنا ، فكرهت أن يحبسنى (يشغلنى التفكير فيه عن الإقبال على الله) فأمرت بقسمته » البخارى ، وفى رواية : كنت خلّفت فى البيت تبراً من الصدقة فكرهت أن أبيّته » البخارى .

٩٩ـ المبادرة

● فكرة المبادرة هى الإسراع فى الطاعة بالتنفيذ ، دون تشكك أو ريب أو

تردد أو تلكؤ أو تسويف أو تأجيل ، ودائماً المبادر هو الفائز ، إن لم يفز بحصول قصده فاز بالسبق والتجربة واكتساب الخبرة ، والمهم أجر المبادرة يقول تعالى : ﴿ **فاستبقوا الخيرات** ﴾ البقرة / ١٤٨ ، ويقول تعالى : ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ آل عمران : ١٣٣ .

● **لماذا المبادرة ؟ يجيب على هذا السؤال النبى ﷺ :**

١ـ الخروج من الفتنة :

لقوله ﷺ : « بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » مسلم .

٢ـ الحصول على الجنة :

لقوله جابر : قال رجل للنبى ﷺ يوم أحد أرأيت إن قتلت أين أنا ؟ قال : فى الجنة ، فألقى تمرات كن فى يده ثم قاتل حتى قتل » متفق عليه .

٣ـ نيل شرف السبق :

لقول أنس : « أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد فقال : فمن يأخذه بحقه ؟ فأحجم القوم فقال أبو دجانه : أنا آخذه بحقه ، فأخذه ففلق به هام المشركين » مسلم .

٤ـ ترتيب الأولويات :

لقوله ﷺ : « بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً ، أو هرما مفنداً أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمرُّ » الترمذى : حسن .

٥ـ المبادرة وفقط :

بادر ولا يهمك كلام الناس ، بادر ولا تنظر إلى حجم ما تقوم به المهم أنك حققت المبادرة ، يقول أبو مسعود البدرى : لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا ، فجاء رجل فتصدق بشئ كثير فقالوا : مراء ، وجاء رجل آخر فتصدق بصاع ، فقالوا إن الله لغنى عن صاع هذا ! فنزلت ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم** ﴾ التوبة / ٧٩ ، متفق عليه .

٦ـ تُبعث على المبادرة يوم القيامة :

لقوله ﷺ : « يبعث كل عبد على ما مات عليه » مسلم ، فاحرص على

المبادرة تبعث على الطاعة ، حتى لا يفوتك شرفها ويقال : سبقك بها عكاشة !!!

٧ـ لك أجرها وإن قعدت :

فالمبادر دائماً فى طاعة وعمل فإن قعد لعذر كالمرض أو السفر ، فإن الله تعالى بمبادرته ومحافظته على الطاعة والعمل ، يكتب له ما كان يعمل فى حال صحته وعافيته وإقامته ، عن أبى هريرة رضي الله عنه قول النبى ﷺ : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل مقيماً صحيحاً » البخارى .

١٠٠ـ التفاؤل والأمل

● التفاؤل والأمل ونبذ التشاؤم واليأس من أساسيات الانطلاق فى المجتمع ، وروح الحركة تكمن فى ذلك ، والواثق فى ربه ، وفى ظهور الدين ، وتمكين الإسلام ، وانتشار الصلاح ، هو المداوم على الحركة فى المجتمع ، **ومن أجل التحقق بهذه الحقيقة عليك بهذه الأسرار :**

١ـ التذكر والتذكير بأحاديث المبشرات :

ولن نطيل فى ذلك فهى والحمد لله فى عقل كل مسلم :

على الأمة : روى ثوبان قول النبى ﷺ : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها » .

على مستوى العرب : روى أبو هريرة قول النبى ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تعود العرب مروجا وانهاراً » مسلم .

■ وزاد أحمد فى روايته « حتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق » .

على مستوى المجتمع : روى أبو موسى قول النبى ﷺ : « ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه » متفق عليه .

على مستوى الجهاد : روى ابن عمر قول النبى ﷺ : « تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم ثم يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله » متفق عليه .

على مستوى القيادة : روى أبو هريرة قول النبى ﷺ : « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد لها دينها » صحيح : الحاكم .

٢ـ الفرج مع الكرب والنصر آت لا محالة :

يقول تعالى : ﴿ **وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته** ﴾ ، يقول ﷺ فى تفسير هذه الآية : « ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره » الامام أحمد ، ويضحك الله أي يعجب من قنوط عباده ويأسهم من الرحمة عند انقطاع الغيث وقد اقترب وقته بإنزال الغيث وتغيير حالهم وهم لا يشعرون .

وقوله تعالى : ﴿ **حتى استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب** ﴾ .

وسر ذلك : لأن شدة الكرب تقطع اعتماد العبد على المخلوق ويتجه إلى الخالق فيتعلق قلبه بالله وحده ، ولذلك يقول الفضيل .

(والله لو يئست من الخلق
حتى لا تريد منهم شيئا
لأعطاك مولاك كل ما تريد) .

٣ـ تعرف على الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة :

المعرفة نوعان : معرفة عامة وهى علمه تعالى بنا جميعاً فى قوله تعالى : ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذا أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم** ﴾ .

ومعرفة خاصة : وهى محبة الله للعبد وتقريبه إليه وإجابة دعائه ، وإنجائه من الشدائد فى قوله تعالى فى الحديث القدسى : « فإن أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه » .

والقاعدة فى ذلك : « من عامل الله بالطاعة والتقوى فى حال رخائه ، عامله الله باللطف والرعاية فى حال شدته » لقوله ﷺ : من سرّه أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء فى الرخاء » ولقوله تعالى عن يونس عليه السلام : ﴿ **فولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون** ﴾ ، على عكس ما كان من فرعون كان طاغيا ناسياً لذكر الله فما نفعه ذلك عندما أدركه الغرق فقال تعالى : ﴿ **آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** ﴾ .

٤ـ الثقة بالله وسؤاله هو المخرج من الأزمات :

عن أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود « أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ

فقال :

يارسول الله إن بنى فلان أغاروا علىّ
فذهبوا بابنى وإبلى

فقال له النبى ﷺ :

« إن آل محمد كذا وكذا أهل بيت مالهم مد من طعام أو صاع ، فاسأل الله عز وجل » .

فرجع إلى امرأته فقالت : ما قال لك ؟ .

فأخبرها فقالت : نعْمَ ما رد عليك فما لبث أن ردّ الله عليه ابنه وابله أوفر مما كانت ، فأتى النبى ﷺ فأخبره ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وأمر الناس بمسئلة الله عز وجل والرغبة إليه ، وقرأ :

﴿ **ومن يتق الله يجعل مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ .

***

سابعاً : وأخيراً
دليلك العملى فى المجتمع
« وتطبيقات عملية »
تمهيد

● حينما نتحدث عن الدليل العملى نكون بذلك قد اتفقنا على الحركة فى المجتمع ، بصفات قد أجملناها وعقبات نتخطاها ، وخصائص لهذه الحركة تضمن لها النجاح ، ثم مهارات الحركة التى يصل بها الإنسان الصالح فى مجتمعه إلى قطف الثمار وجنى السعادة فى الدوائر التى يتعامل معها سواء كان فى أسرته أو عمله أو أصدقائه أو أقاربه أو سائر الناس الذين يقابلهم ويتعامل معهم فى حياته اليومية ، وقد أرشدنا النبى ﷺ إلى أفكار عملية تزداد إشراقاً من لباقة وخبرة وتجارب الفرد الصالح ، والكلام فيها لا يجدى لأنها تقوم على العمل ، ولغة العمل غير لغة الأقوال ، لأنها تستمد حياتها من أعصاب ودماء ومشاعر وخلجات وعقل وقلب الإنسان .

● حينما نتحدث عن الدليل العملى نكون بذلك قد فتحنا الباب للانطلاق ، وهيأنا الطريق للسير ، وامتزجنا مع النفس والمجتمع بل والكون فى حركة أرادها الله لإسعادنا فى الدنيا ، وانتظار البهجات الطيبات فى الجنات برحمته ، ولذلك فهذا الدليل بتطبيقاته العملية ، يتطلب من القارئ الحبيب أن يراجع الكتاب من أوله مرة ثانية إن قرأه ، فإن لم يكن قد قرأه ، فأنصحه بقراءته من أوله حتى إذا وصل إلى الدليل فليكن على أهبة الاستعداد للبدء والعمل ، وأراك بخبراتك وتجاربك لديك الكثير والكثير مما لم يستوفيه الكتاب ، وهذه هى الحقيقة التى كان من أجله هذا الكتاب أن نزيل معاً التراب عن كنز عظيم نمتلكه ، فيه سعادتنا وبه بهجتنا ، والله تعالى الموفق والمستعان .

● فإن جاء الدليل مختصراً فذلك لأن فيما سبق شرح وتفصيل وبيان هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أيها القارئ وأنا أراك متحركاً فى المجتمع ، قد اكتسبت الكثير من الخبرات ، ولا تحتاج إلا إلى تذكير ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ نفعنا الله وإياك بما نقول ووجهنا إلى الصلاح والتقوى أنى توجهنا ، وجعل ذلك فى ميزان حسناتنا ، ورزقنا جنته ومجاورة نبيه ﷺ اللهم آمين .

١ ــ دليلك العملى فى المجتمع

● **منك الانطلاق :**

من داخلك الانطلاق الحقيقى ، والذين يهيمون بالصور والأشكال دون الاهتمام بداخلهم عقلاً وقلباً ونفساً وروحاً ، فقدوا معنى علاقاتهم المؤثرة مع الآخرين .

● **المبدأ أولاً :**

فى حركتنا ننطلق بنموذج يملك تفكيرنا وعقولنا وهى مجموعة الخبرات والتجارب فى حياتنا ، التى توجهنا لاتخاذ مواقف معينة ، فالبعض يرى الواقع كما هو والبعض الآخر يراه كما يجب أن يكون أى بالقيم والمبادئ ، والذى يحكم كل ذلك الثوابت التى لا تتغير ، وهى كل ما أمر به الشرع ، أما التصرفات فهى متغيرة ولكنها تكون وفق مبادئ الشرع أيضاً .

● **سنن لا تتبدل :**

السنن الكونية تحكم حياتنا ولا يمكننا أن نتخطاها ، أو ندعى شيئاً ليس موجوداً أو قبل نضجه وأوانه ، فكم هى خيبة الأمل والفشل والفضائح التى تلاحق المدّعين بماليس فيهم ، الذين سرعان ما ينكشف أمرهم فى خداع أنفسهم أو خداع الآخرين ، وكل انسان يعرف نفسه وإن ظهر أمام الآخرين على غير ذلك .

● **اصلح نفسك :**

ولذلك أن تكون قدوة للآخرين فهذا هو سر النجاح ، ولن تكون قدوة إلا بإصلاحك لنفسك ، فالزوج الناجح هو الزوج الصالح الأسوة ولذلك هو الذى يتمتع بالسعادة ، وكذلك الوالد الذى يتفهم أبناءه وأسوة لهم هو السعيد معهم ، والمنتج فى عمله والذى يحس بالمسئولية ، والتعاون مع غيره هو الذى يتعاون معه موظفوه ، وهكذا مع الناس جميعاً .

● **جاذبية الأرض :**

التثاقل إلى الأرض ، هو الشلل الذى يصيب الإنسان فلا يتحرك ، وهذه الجاذبية ممثلة فى الذنوب والآثام والعادات السيئة التى يجب كسرها ، وتحطيم حاجزها ، لينطلق الإنسان بحرية أكبر وسرعة أكثر .

● **الحياة تعاون وتكامل :**

بقناعتك بالحركة فى المجتمع ، والتزامك بصفات وخصائص الحركة ،

وتغلبك على العقبات ، تمتلك شخصية مستقلة ، تتحرك فى الناس بسنة الله وناموسه ليتكامل الناس جميعاً ، فى حياة التعاون والتكامل ، لا حياة التصارع والمصارعة ، بمهارات تتيح للإنسان الصالح تحقيق الحياة الطيبة كما وعد الله بها عبادة الصالحين .

● **هيا نواجه الحياة :**

■ نواجه الحياة بالإيجابية بالدافع القوى **أولاً** : بالرغبة الجامحة للخير **ثانياً** : مهما كانت الظروف المحيطة أو آراء الآخرين **ثالثاً** : فإننى بعقلى وقلبى وروحى أغر بل بهم كل ذلك لأصنع **رابعاً** : سلوكا فى الحياة لا يعرف الإنسحاب أو التخاذل أو الضعف أو الجبن أو الخور .

■ وهنالك تكون سعادتنا بأيدينا وليست فى أيدى غيرنا ، فثوابتنا تدفعنا وتثبتنا ، ولا يلهو بنا الآخرون ، أو تجرفنا الظروف .

■ فهيا معاً نواجه الحياة بثقة فى أنفسنا وفى قدراتنا ، نوظف كل المتاح بمالا يتعارض مع الشرع ورضا الله ، للوصول إلى الهدف الأسمى من الحياة الطيبة الكريمة ، باذلين قصارى الجهود من أجل ذلك ، راضين بتصريف الله فى أقداره فينا فهى فرص ننتهزها وفيها خيرنا ، وبذلك فالحل بأيدينا لما يعترضنا من مشاكل وصعاب وبأنفسنا .

● **كن فاعلاً :**

■ ركز جهودك كما يقولون فى دائرة نفوذك ومملكتك وفى دائرة تأثيرك ، وهى دوائر حركتك الطبيعية والتى هى بوابات النجاة كما رأيت :

■ ابدأ الحركة مستعيناً بالله متوكلاً عليه سائله التوفيق والسداد ، ولا تهرب من الصعاب .

■ جاهد نفسك على تنفيذ أخلاق الحركة وصفات المعايشة مع الناس .

■ كن ضوءاً هادياً بدلاً من أن تكون قاضياً حاكما ، لتضمن الاستمرار .

■ كن قدوة وأسوة للجميع فى عائلتك ، فى أقاربك ، فى زملاء العمل ، فى أصدقائك بدلاً من أن تكون ناقداً واعظاً عاتبا .

■ احرص دائما أن تكون جزءاً من الحل فى كل المشكلات بدلاً من أن تكون جزءاً من المشكلة .

■ جرِّب العمل بما سبق بقدر المستطاع ، فتكف عن عيوب الناس ، وتعترف بالخطأ وتصله ، وتكف عن لوم الناس واتهامهم وسوء الظن بهم والاستهزاء والاحتقار ، وتبدأ بنفسك أولاً ، وتنطلق شاعراً بمسئوليتك

ومهمتك ورسالتك ، وابدأ فى علاج مشكلة ولو صغيرة عملياً .. جرّب .

● **تذكر مهمتك :**

■ حدد أهدافك بوضوح ، فى كل حركة ، فى كل لحظة من لحظات يومك ، لأن يومك جزء من حياتك بأكملها .

■ قد يحقق الكثير من الناجحين أهدافهم التى أفنوا فيها حياتهم ولكنهم لم يحققوا ما هو أكثر أهمية لسعادتهم ، كعائلاتهم وزوجاتهم وأبنائهم وأقاربهم وأصحابهم .

■ ليس المهم ما نأخذه من الناس ولكن المهم ما نعطيه لهم ، ولذلك علينا التفكير جدياً فى هذا الأمر من أجل التنفيذ ، وهذه هى الواقعية والعقلية العملية ، فالبناء يرسم مرات من أجل أن يبنى مرة واحدة ، والنجار يقيس مرات ليقطع الخشب مرة واحدة .

● **نظم حياتك :**

وهذا ما فصلناه فى الصفات ، لضمان الاستمرار فى الحركة ، فالفوضى تعنى التوقف وعدم التواصل ، احترام الأولويات ، وكن يقظاً للأفضليات ، بما يخدم أهدافك ، ووازن بين شئون أسرتك والعمل وأصحابك ، واهتم بالناس خاصة علاقتك بأقاربك والجيران والأصدقاء ، واختار من الأعمال ما تنجح فى أدائه وإن قل ، فالذى يقول (نعم) لشئ ما معناه أنه يقول (لا) لشئ آخر ، فيفقد الاتقان ، ويحرم النتائج الناجحة ، وأخيراً كن مرناً فترضى بما أنت عليه أو تسعد بانجاز يحقق هدفك .

● **تفاعل مع المجتمع :**

■ معناه أن يتفاعل الإنسان تفاعلاً طبيعياً ايجابياً متوازناً قائم على الأخذ والعطاء مع غيره من الناس .

■ لا يعتمد النجاح فى علاقتك بالآخرين على الكلمات المعسولة أو المظهر الجذاب أو الأدب الرشيق ، ولكن يعتمد أساساً على ثقتك بنفسك والتزامك بما أمر الله من ثوابت ومبادى ، فأنت سيد نفسك لا أسير هواك ، تعرف أولوياتك وتسعى لتحقيقها ، واهتماماتك مركزها المبادئ التى لا تموت ولا تتغير ولا تحبسها الأسوار ولا تفنيها الأسفار ، ولا تتبدل مهما كانت الظروف .

■ الناس بنوك ورصيدك فيها هى ثقتهم فيك والحب لك والعلاقة التى تجعلهم دائمى الاطمئنان إليك ، ويحبون مستقبلاً أن يتعاملوا معك فزد من هذا الرصيد من الصدق والأمانة والحب والتعاطف والتقدير والحترام ، فإن زاد

الرصيد تغاضى الناس عن أخطاء بعضهم ، وتحمل بعضهم بعضاً فهم يتغافلون ويغفرون ويصفحون ، أما إذا نفذ الرصيد فالعلاقة تراشق وتصارع وإهانات وتتحول العلاقة إلى (حقل ألغام) كما يقولون ، قد تفجره كلمة أو حركة من أحدهم وإن لم تكن مقصودة .

■ ومن أجل اطمئنانك على تفاعلك مع الناس

اسأل نفسك هذه الأسئلة :

١- هل فهمت الشخص الآخر ؟

٢- هل أهتم بآرائه وأشيائه ؟

٣- هل التزم معه بالاستقامة والنزاهة ؟

٤- هل اعتذر إليه باخلاص عن الخطأ ؟

٥- هل أوضحت له توقعاتى فيه ؟

٦- هل أصدق له فى الوعد والعهد ؟

٧- هل تنطلق علاقتى به عن حب مجرد ؟

٨- هل ساعدته فى حل مشكلة ما ؟

● **فى معارك الحياة :**

■ بعض الناس يستخدمون نفوذهم وأموالهم وعلاقاتهم ليحصلوا على ما يريدون بأى ثمن ، ولا يأبهون بغيرهم نجحوا أم فشلوا ، فازوا أم خسروا ، سعدوا أم حزنوا ، عاشوا أم ماتوا ، ويبحثون عن حقوقهم ليأخذوها كاملة وربما سلبوا حقوق غيرهم !! .

■ فهل هذه الصورة تتكرر فى تعاملاتنا مع دوائرنا أى بأسرتنا أو أصدقائنا أو أقاربنا أو زملاء العمل ؟! لا هذه الصورة يجب أن تختفى تماماً من وجودنا فى دوائرنا ، فليس هناك فائز وخاسر ،ولا يجب أن يكون هناك خاسر ، فالطرفان لابد أن يفوزوا معاً ، وإلا خسرت الطرف الآخر ، والذى قد يكون الزوج أو الزوجة ، الابن أو الابنة ، أحد أقاربك ، أحد زملائك أو أصدقائك ، جارك أو رفيقك .

■ وأعلى هذه العلاقات (الايثار) بأن تضحى أنت وتخسر من أن أجل أن يفوز الآخر وينجح ويعيش !! وإن الأعلى يحتاج لبذل الأغلي ولذلك فهو نادر فليكن مسلكنا فى معارك الحياة ، أن نفوز معاً وأن ننجح معاً ، وأن نحيا معاً ، وأن نسعد معاً ، فلا يدفعنا الحقد إلى أن أخسر لتخسر ، ولا تسقطنا الأنانية فأفوز أنا وحسب ، ولا يهوى بنا الحسد فأفوز أنا وتخسر أنت .

■ ولتطبيق هذا النموذج المطلوب فى معارك الحياة ، ففى شرح الصفات متسع لتطبيق مائة فكرة عملية مع الناس ، لتقول لك : لست وحدك فى الحياة ، ففى الحياة متسع للجميع ، وكذلك القمة تسع الجميع فى حالات النجاح والسعادة .

● **هل تفهم الآخرين ؟:**

■ هل تستطيع قراءة الآخرين ؟ ومعرفة دوافعهم ؟ وأسرار مشاكلهم ؟ وكشف حقيقة مشاعرهم ؟ والإصغاء لآرائهم ؟ هل سألت نفسك فى لحظة ما : أنا أحب أن يفهمنى الناس فهل أنا فهمتهم ؟ بحيث أصبحوا أمامى صفحة واضحة ناصعة معلومة ؟!.

■ لماذا لا يصغى بعضنا لمشاكل من يأتيه قاصداً إياه دون أن يتفهم حجم المشكلة أو خبايا الإحساس بها ، فيقول له : لقد مررت بهذه المشكلة من قبل ونصيحتى إليك كذا وكذا وكذا دون أن يكمل حتى مشكلته ؟!!.

وبهذا يمكننا أن نسأل مرة أخرى أنفسنا هل نحن حقيقة ننفع الناس بتجاربنا ومواعظنا ونصائحنا وحلولنا أم تزيد الأمر تعقيداً ؟!.

■ لذلك فمعرفة الظروف التى يمر بها الشخص ومدى تأثر مشاعره بها والاستماع الجيد لما يحكى من مشكلة والاهتمام التام لما يقول وبما يقول ، والوعى بالحل ، والعمل على تنفيذه ، قد يكون ذلك مفتاحاً لأول خطوة فى فهم الآخرين !.

■ لقد رأيت البعض كأنه يصغى إليك ولكنه مشغول للتحدث فيجهز نفسه وربما قام بتمثيل عرضه وأنت تتحدث ! فهل هذا يفهمك ؟.



والبعض يستمع إليك وهو مشغول بتحضير نفسه للرد عليك وربما صححت أنت ما سيرد عليه دون أن يدرى ؟ فهل هذا يفهمك ؟ .

والبعض يستمع إليك باختيار ما يريد من حديثك ، وانتقاء ما يرغب فى سماعه فهل هذا يفهمك ؟ .

فمن الذى يسمع بفهم ويفهم مقصودك ، إنه الذى لا يهدف الرد أو النصح أو اثبات أنه على حق أو مشغول بترتيب حديثه هو ، والأحسن من ذلك الذى يتعاطف معك وهو يسمعك وغالباً ما يكون مع القريبين منك أو مع من تحب .

■ فأنت بالاقبال على متحدثك وسماع وجهه نظره باهتمام ووعى وإدراك ثم العمل على الوصول إلى المصلحة المشتركة ، تستطيع أن يكون لك رصيد

لدى متحدثك ، وتحوز ثقته وتصبح مركزاً دائماً يأتيك عند شكواه أو بث رأيه ، وبالتالى أنت تدفعه لأن يحل مشاكله بنفسه ، وتخفف فقد قيل إن بعض المشكلات حلها فى الحديث عنها .

■ مستوى النجاح فى بيوتنا أو عملنا أو فى أى مكان أن نتفهم وجهة النظر الأخرى باخلاص وتجرد ، وتكون جزءاً من الحل لا جزء من المشكلة ، **وخطوات ذلك يسيرة وسهلة :**

١ـ ابدأ بشرح فهمك لوجهة النظر الأخرى .

٢ـ افصح عن تقديرك واحترامك لوجهة النظر ثم بين وجهة نظرك وانقد وجهة نظره أو رد عليها ، وكما فعلت معه يفعل هو فيستمع ويحترم وجهة نظرك .

● **ولتمضى رحلة الحياة :**

وحتى تمضى رحلة الحياة مع شريكة حياتك فى البيت ، مع أبنائك فى أعمارهم المختلفة ، مع مرءوسيك فى العمل ، مع أقاربك ، مع أصحابك ، مع جيرانك ، مع الشارع ، مع الناس جميعاً ، **هذه الخطوات لكى تكون ملهماً للآخرين :**

١ـ التكافل :

■ هو أن تحترم الاختلافات العقلية والعاطفية والنفسية من كل شخص عن الآخر .

■ هو أن تعلم أن كل شخص يرى الكون من منظوره ومن حواسه وكما يفسره عقله .

■ هو القناعة بأن كل شخص له من التجارب والخبرات التى تختلف بالتأكيد عن الآخرين .

■ هو الاستفادة مما سبق سواء الناجحة أو الفاشلة فى استكمال منظومة واحدة .

■ هو التواضع فالرأى يحتمل الخطأ وإن كان حصيفا ذكيا ورأى الغير يحتمل الصواب وإن كان ضعيفا خاطئا ، والاستفادة من عقول وأراء وخبرات الآخرين .

■ هو الحكمة والنضج فليس هناك أبيض وأسود أو صواب وخطأ وإنما هناك تعدد الآراء وكثرة البدائل ، ووجود عدد هائل من الاختبارات والمساحات المشتركة .

■ هو اليقين بأنه ليس من التأكيد أن نكون جميعاً متشابهين ومتماثلين في المواهب والقدرات والآراء .

٢ـ التعاون :

■ هو ألا ننظر أو نتعامل مع الآخرين بحكم مسبق أو رأى متعصب ، ودائماً تظل قنوات الاتصال مفتوحة .

■ هو تفاعل الآراء حتى نصل إلى مساحة مشتركة وهو ما يعرف (بالحل الثالث) الذى قد يختلف أو يكون أفضل .

■ تشجيع الآخرين ودفعهم إلي الأمام وعدم تحمل المسئولية عنهم وتفجير الطاقات .

■ الثقة المتبادلة والاحترام بين الطرفين والتفاهم المشترك .

■ النظرة إلى الآخرين أنهم أصحاب امكانات وقدرات ممكنة بدلاً من النظرة إلى عيوبهم فقط .

٢ـ تطبيقات عملية
ثلاثون سؤالاً حول (فقه الحركة فى المجتمع)

١ـ اختر بعض الصور التى تأثرت بها من أفراد ملهمين ، وبعض الصور التى كان لها تأثير منك فى الآخرين واستخرج منها العبر .

٢ـ حدد بعض العلاقات التى تخفف عن معاناة الناس وأثرها عليك وعلى الناس .

٣ـ اذكر خمس تجارب ناجحة أو فاشلة مرت بك فى تعاملك مع الناس .

٤ـ اكتب كشفا ببعض الأنشطة الخدمية التى يمكن أن يقدمها الفرد فى المجتمع وأثرها على الناس .

٥ـ اذكر ملامح المجتمع المنشود فى مبادئه وعدله وطهره وكيفية تحقيق ذلك .

٦ـ اختر شخصية اجتماعية أعجبتك وما اكتشفته فيها من صفات .

٧ـ اكتب بحثا عن أهمية الحرية فى المجتمع وأثرها على حركة الفرد .

٨ـ اذكر مثالاً تأثرت به فى حياتك سواء كان منك أو معك عن العفو والصفح مع وصف مشاعرك .

٩ـ ابتكر جدولاً لتنظيم برامج يومك وجرّبه فى يوم كامل واذكر النتائج .

١٠ـ اذكر بعض الأمثلة فى اسرتك وعملك أو مع الناس ، واجهت فيها



مشاكل حياتية ، وكيف اجتزتها .

١١- حدد بعض العقبات التى تعرضت لها فى حركتك مع الناس وما الدروس التى استفدتها منها .

١٢- اذكر بعض الإخفاقات التى حالت دون حركتك مع الناس وكيف تغلبت عليها .

١٣- اكتب كشفاً بأناس أغلقوا الباب معك من أسلوبهم ، من أقاربك أو جيرانك أو زملاء العمل ، وعاود الاتصال بهم واذكر النتائج .

١٤- اختر شخصية جافة وابدأ التعامل معها باللين والحب والاعتدال واذكر آثار ذلك عليك وعليه .

١٥- حاول أن تتذكر أعمالاً خدمية كنت تفعلها وقصرت فى أدائها ، وابدأ من جديد فى إعادتها مع وصف مشاعرك ومشاعر الآخرين .

١٦- اذكر بعض المواقف المؤثرة التى تعاملت فيها باراً بوالديك مع ذكر أثرها على الوالدين .

١٧- اذكر بعض المواقف السيئة مع الوالدين وكيف عالجتهامع ذكر أثرها عليك .

١٨- حاول أن تتذكربعض المواقف الحرجة مع ضيوف نزلوا عليك سواء كان من الحالة المالية أو النفسية أو الوقت وأثرها عليك وعلى الضيف .

١٩- حاول تنفيذ بعض الأفكار العملية مع جار لك تختاره واذكر النتائج .

٢٠- اكتب بحثا عن الوسائل العملية لتحويل مجالسنا إلى عبادة وطاعة .

٢١- اختر زميلا لك فى العمل واذكر أسباب استمرار علاقتك به الطيبة .

٢٢- اختر شخصية تراها ناجحة ووضح المهارات الشخصية التى يتميز بها عن غيره ؟ .

٢٣- قرأت الخطوات العشرين فى التعامل مع الناس ، حدد دراسة نقدية مع توضيح وجهة نظرك .

٢٤- اختر بعض الشخصيات المختلفة فى المجتمع والتى نجحت أو فشلت فى التعامل معها وأثر ذلك عليك .

٢٥- ابتكر جدولاً تنفيذياً للأفكار العملية المائة ونسبة تحقيقك لبعضها أو تقصيرك فى ذلك .

٢٦- اكتب ما نفذته يومياً ولمدة شهر من الأفكار المائة وتابع أثرها خلال الشهر على الناس .

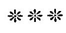
٢٧- اختر أحد أبنائك أو أصدقائك وحاول أن تزيد من رصيد الثقة لك عنده واكتب الأثر على العلاقة بينكما .

٢٨- اختر أحد الذين فشلت فى العلاقة معه وحاول أن تصغى لوجهة نظره بالتعاطف معه واكتب الأثر .

٢٩- ناقش زوجتك فى أمر مختلف فيه وحاول أن تصل معها إلى الحل الثالث واكتب أثر ذلك عليك .

٣٠- لست وحدك فى الحياة ، فالحياة تتسع للجميع ، وكذلك القمة تسع الجميع فى حالات النجاح معاً .. (أذكر أمثلة مرت بحياتك تؤيد هذا القول) .

تم بحمد الله وتوفيقه





الموضوع	الفهرس	الصفحة

الموضوع	تابع الفهرس	الصفحة

ثانياً : أفكار عملية نبوية
لحركة الفرد فى المجتمع

الموضوع	تابع الفهرس	الصفحة

الموضوع	تابع الفهرس	الصفحة

تم بحمد الله وبتوفيقه

كتب للمؤلف

١ـ الدعوة المؤثرة .	دار المدائن
٢ـ القيادة المؤثرة .	دار المدائن
٣ـ المشاعر المؤثرة .	دار المدائن
٤ـ فقه النفوس .	دار المدائن
٥ـ فقه القلوب .	دار المدائن
٦ـ فقه السالكين .	دار المدائن
٧ـ دليل المسافر.	دار المدائن
٨ـ الجنة والنار رأى العين .	دار المدائن
٩ـ الغزوات فى ظلال القرآن .	دار المدائن
١٠ـ العراق إلى أين ؟ .	دار المدائن
١١ـ فلسطين تحت الحصار .	دار المدائن
١٢ـ ورد القلوب وشرح ورد الرابطة .	دار المدائن
١٣ـ الحب روح الحياة الزوجية .	دار المدائن
١٤ـ حياة القلوب .	دار المدائن
١٥ـ حياة الأرواح .	دار المدائن
١٦ـ أيام وليالى رمضان .	دار المدائن
١٧ـ أمير الشهداء أحمد ياسين .	دار المدائن
١٨ـ الطبيب الشهيد عبد العزيز الرنتيسى .	دار المدائن
١٩ـ تربية النفوس.	دار المدائن
٢٠ـ الزوجان فى مملكة الحياة الزوجية .	دار المدائن
٢١ـ فقه الحركة فى المجتمع .	دار المدائن

الاتصال بالمؤلف : محمول : ٠١٢/٣٢١٧١٤٥
Gmady 2004 @ Yahoo . com